المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية
إدارة تطوير الخطط والمناهج



قررت الجامعة تدريس هذا الكتاب
بمعاهدها العلمية وطبعته بمطابعها

# التفسير وأصوله

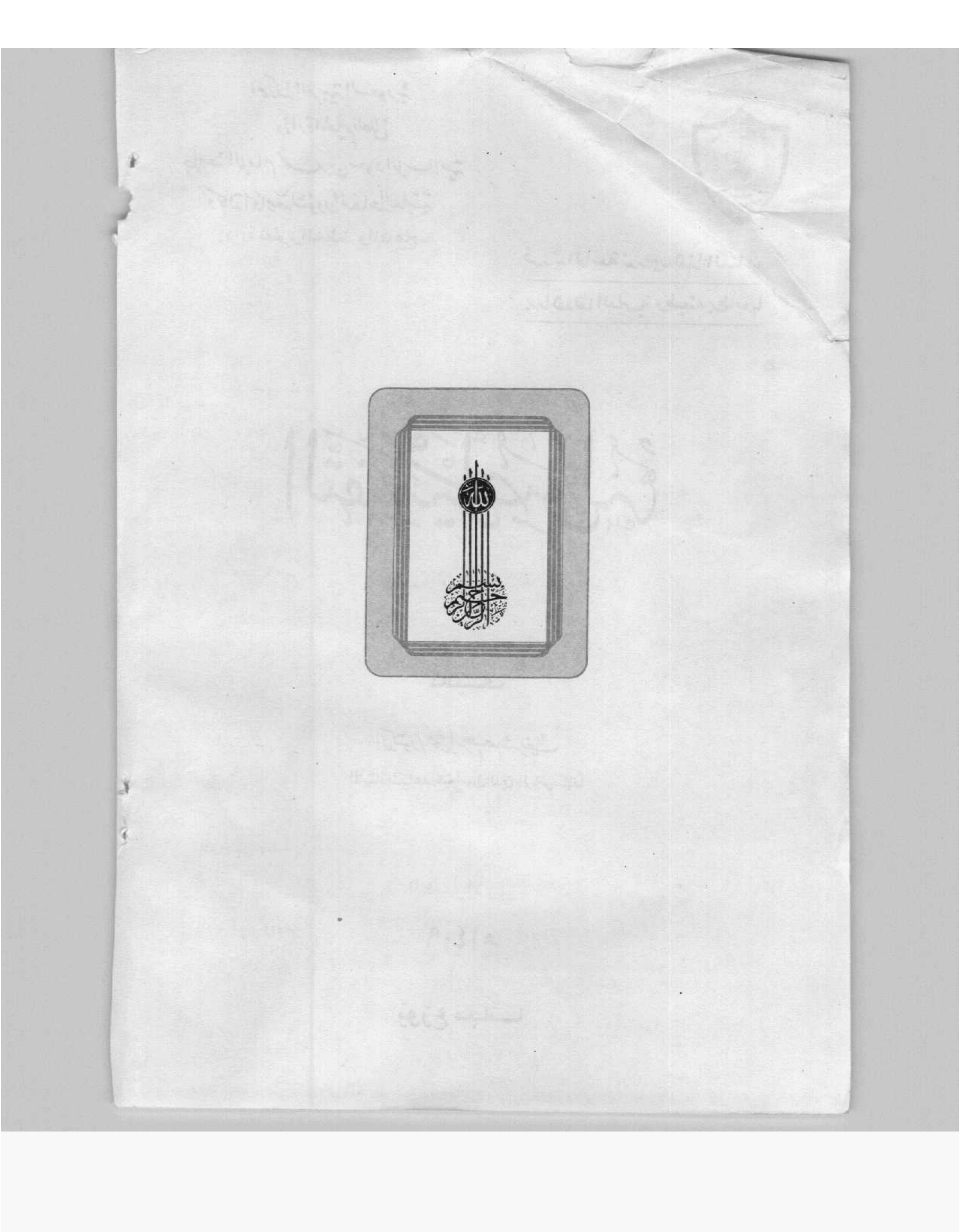
للسنة الثالثة الثانوية

تأليف

الدكتور/ محمد إبراهيم شريف
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض سابقاً

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ

يوزع مجاناً



بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمــة

بسم الله الرحيم الرحيم، والحمد لله رب العالمين، الذي أنزل كتابه الكريم، قرآناً عربياً لقـوم يعقلون، وفصل آياته لقوم يعلمون، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الهدى والمتقين، وخير من عقل عن الله ما أنـزل من كلامه، وعلم عنه ما فصل من آياته، فكان بيانه لأمته هو البيان، وفي التمسـك ببيانـه وهديه: العصمة والأمان؛ صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام، الذين حملوا عنه بيانه وهديه، وأدوهما عنه إلى الأمة والأجيال من بعدهم، الذين اتبعوهم بإحسان؛ فكان هؤلاء وأولئك في خدمة كتاب الله الكريم، رضـي الله عنهم وعمن سلك مسلكهم ونهج نهجهم إلى يوم الدين؛ وبعد:

فهذا منهج التفسير، للصف الثالث الثانوي بالمعاهد العلمية، الذي يشتمل على تفسير السور القرآنية (يس ، الصافات، ص ، الزُّمر) وفقاً لما جاء بالخطة التي قررتها إدارة تطوير الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية، والتي تقضي بإلمام الطلاب في المرحلتين المتوسطة والثانوية بتفسير قدر مناسب من سور القرآن الكريم قصداً إلى:

١ - تزكية نفـوس الـطلاب بما اشتمل عليه القرآن الكريم، من تقرير أصول العقيدة الصحيحـة، وتـربيتهم بما جاء فيه من قصص القـرون الأولى، وأحـوال الآخرة، وما فيها من جزاء.

٢ - إثـارة ملكـة الفهم لدى الـطلاب، وحفـزهم على استيعاب معاني القرآن الكريم، وفهم أحكامه ومقاصده، والوقوف على هديه في جوانب الحياة المختلفة،

بغية العمل الجاد لبناء الحياة الحديثة في المجتمعات الإسلامية، طبقاً لهذا الهدي الذي يحقق للإنسانية رقيها وسعادتها.

٣ ـ إمداد الطلاب بثروة لغوية في شرح الآيات القرآنية، سواء في مفرداتها أو في معانيها الإجمالية، كي يمكنهم الاستفادة منها في التعبير عما في نفوسهم من معان، بألفاظ فصيحة ويسيرة، وبأساليب متنوعة.

٤ ـ إبراز وجوه الإعجاز القرآني المتنوعة أمام الطلاب في صور تتناسب مع مستواهم وإدراكهم خاصة في الجوانب اللغوية والتشريعية، وما تعرض له الآيات ـ بالإشارة أو الإجمال ـ من أسرار الكون ومظاهر مخلوقات الله الدالة على عظمته وقدرته، كي يدرك الطلاب أن التحدي القرآني ـ الذي وجه به أساطين البلاغة والبيان في عصر التنزيل ـ ما زال قائماً وموجهاً إلى الإنسانية كلها، التي أعجزها من قبل وما يزال حتى يوم الدين.

وإدراكاً منا وتقديراً لهذه الأهداف الكبيرة: نقدم هذا الجهد، إسهاماً في إزكاء الحياة الإسلامية الصحيحة، ومشاركة في بناء دعائم هذه الحياة ولبناتها الشابة، التي تؤهَّل لحمل الراية الإسلامية وحراسة عقيدتها الصحيحة، على هدي كتاب الله الكريم، وسنة نبيه الأمين.

وقد راعينا في هذا التفسير: تحقيق هذه الأهداف، من خلال الخطوات المنهجية التالية:

أولاً : تقديم موجز للسورة القرآنية وتعريف بها تحت عنوان «بين يدي السورة»، ويشتمل على:

أ ) حديث عن اسمها الذي عرفت به، وغيره من أسماء إن وجدت.

ب) مكيةَ السورة، أو مدنيتها، وعدد آياتها.

جـ) فضائل السورة وما ورد فيه من آثار، مع الالتزام بالصحيح من الآثار في ذلك.

د ) أهم موضوعات السورة ـ بإيجاز ـ مع عدم شرحها أو ذكر أرقام الآيات التى عرضتها.

ثانيا : تفسير السورة ؛ وقد التزمنا فيه مايلى :ـ

أ )تقسيم السورة إلى مقاطع، يضم كل منها مجموعة من الآيات تجمعها ـ غالبا ـ فكرة واحدة أو تعالج موضوعا بعينه، جعلناه عنوانا لهذا المقطع.

ب) كتابة آيات المقاطع المفسرة بالرسم العثمانى، وذكر سبب نزولها الصحيح إن وجد.

جـ) ذكر معانى المفردات، وشرح غريبها، والمراد بها فى سياقها، فى جدول مستقل.

د ) المعنى الإجمالي لآيات كل مقطع، مع مراعاة سبك المعنى، وترابط معاني الآيات، واتصالها بما قبلها وما بعدها في سلاسة ويسر، ومع رقة في اللفظ وعذوبة في العبارة، يدركها الطلاب ويأنسون لها.

هـ) وإتماماً للفائدة: قمنا باستنباط الفوائد من المقطع المفسر، وتسجيلها مستقلة عقب المعنى الإجمالي، والاستشهاد لكثير منها بآيات القرآن الكريم، والآثار الصحيحة التي بمعناها.

و ) كما أتبعنا ذلك بمناقشة وأسئلة، تثير في الطلاب محصولهم العلمي، وتشحذ عقولهم للتفكر والتدبر أثناء التحصيل والدرس، وتذكرهم بأهم ما تضمنته مقاطع السورة، وسوف يجد الطلاب والأساتذة معاً في هذه المناقشة والأسئلة: جدة وطرافة، تتطلبها أصول التربية الحديثة، والمنهج العلمي الصحيح.

هذا وقد التزمنا في تنفيذ هذه الخطة ـ ما وسعنا الالتزام ـ الضوابط المحددة التي تضمن سلامتها وصحة المنهج، للوصول إلى الأهداف سالفة الذكر، ومن ذلك: توخي المصادر الموثوقة والإحالة إليها، والالتزام في مجال العقيدة بصريح الكتاب والسنة، والاقتصار في تفسير الآيات ومعانيها على الراجح منها، والإشارة إلى غيره نادراً، إن كان لذلك فائدة معتبرة، وعزو الآيات إلى سورها وأرقامها فيها، وتخريج الأحاديث في كتبها وأبوابها من الصحاح والسنن مع ذكر رواتها، وإبراز الحقائق

القطعية في المعارف البشرية المجملة ـ أو المشار إليها ـ في القرآن الكريم، والتنبيه على هدي القرآن الكريم، وخاصة فيما يمس واقع الحياة الحاضرة وتشتد حاجة الناس إلى معرفته لإصلاح حياتهم، وغير ذلك من ضوابط يلحظها القارىء دائماً ولا يفتقدها أبداً.

والله من وراء القصد، وله الحمد على ما أعان ووفق، ونسأله أن ينفعُ بهذا العمل، وأن يجعله في ميزاننا، والحمد لله رب العالمين.

**المؤلف**

**٢٥ / ٥ / ١٤٠٧هـ**

# تفسير سورة «يـــس»

## بين يدي السورة

### (أ) اسم السورة

وردت تسمية السورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وغيره، في حديث طويل عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «البقرة سنام القرآن وذروته . . . ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم»[1]، ولا يعلم في باب تسمية السورة شيء غير ذلك إلا ما ورد في غير الصحيح مما تعقبه الأئمة وأنكروه.

### (ب) تنزلات السورة ومكيتها

نزلت سورة «يس» بعد سورة «الجن» وتأتي في المرتبة الحادية والأربعين من حيث نزول سور القرآن الكريم، على حين يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة السادسة والثلاثين، وقد نقل القرطبي إجماع العلماء على مكية السورة، ويدل عليه ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سورة «يس» نزلت بمكة)[2].

وعدد آيات السورة ثلاث وثمانون آية عند قراء الكوفة[3] الذين حصرت

---

(١) الفتح الرباني - باب سورة البقرة وما جاء في فضلها ١٨/٧٠، سورة يس باب ما جاء في فضلها ١٨/٢٥٣.

(٢) ولا يعلم في مكية السورة بتمامها خلاف إلا ما نقله القرطبي وغيره، من استثناء فرقة بعض آياتها، حيث قالوا بمدنية الآيتين الثانية عشرة والسابعة والأربعين، ولامانع عندهم من تخلل المدني من آيات القرآن الكريم في المكي منها، والمكي في المدني منها، راجع الجامع لأحكام القرآن ١٥/١، فتح القدير ٤/٣٥٨، روح المعاني ٢٢/٢٠٩.

(٣) وعند قراء المدينة ثنتان وثمانون آية راجع: غيث النفع ص ٣٣١، المكتفى في الوقف والابتداء ص ٤٧٢، التبصرة ص ٤٧٩.

آيات المصحف على قراءة أحـدهم، وهـو عاصم بن أبي النجـود (ت ١٢٧هـ) برواية حفص بن سليمان.

(جـ) فضائل السورة

أخرج الإمام أحمد وغيره عن معقل بن يسار، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... ويس قلب القرآن لا يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرأوها على موتاكم»[1]، وأخرج البزار عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لوددت أنها - يعني يس - في قلب كل إنسان من أمتى»[2].

( د ) أهم موضوعات السورة:

والموضـوعـات الـرئيسة في هذه السورة بعامة هي موضوعات السور المكية، وبخـاصـة المبتدأة منها بالحروف المقطعة، وهي الموضوعات التي تستهدف بناء أسس العقيدة، والاستدلال لها بالمشاهد الحسية، والتأمل في كون الله ومخلوقاته، ومحاورة الكفار والمشركين، وسوق الأمثال والقصص، ليفتح الله بهذه الموضوعات قلوب البشر، ويحيي نفوسهم.

١ - فالسورة تعرض للوحي وصدق الرسالة والرسول صلى الله عليه وسلم، وتحذر من عاقبة التكذيب بهما فيما تعرضه من عاقبة الرجل المؤمن وأصحـاب القرية التي جاءها المرسلون، وفيما تقرره من نفي الشعر عن القرآن الكريم، والشاعرية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ - وتعـرض الـسـورة لموضـوع الألـوهية والتوحيد، وإبطال الإلحاد والشرك في عبادة الله .

---

(١) راجع: الفتح الرباني ١٨/ ٧٠، ٢٥٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٥٦٣، فتح القدير ٤/٣٥٩.

٣ ـ أما الموضوع الذي يشتد تركيز السورة عليه من موضوعات العقيدة، فهو البعث والنشور، وقيام الناس لرب العالمين، الذي يشيع في السورة من أولها حتى آخرها.

٤ ـ وإذا كانت موضوعات العقيدة تتكرر كثيراً في القرآن الكريم، وبخاصة في السور المكية ـ فإنها تعرض في سورة يس مصحوبة بمؤثرات مختلفة، من مشاهد القيامة بصفة خاصة، ومن مشاهد القصة ومواقفها وحوارها، ومن مصارع الغابرين، ثم من المشاهد الكونية الكثيرة المتنوعة، كمشهد الأرض الميتة تدب فيها الحياة، ومشهد الليل يسلخ منه النهار، ومشهد الشمس تجري لمستقر لها، ومشهد القمر يتدرج في منازله حتى يعود كالعرجون القديم، ومشهد الفلك المشحون يحمل ذرية البشر الأولين، ومشهد الأنعام مسخرة للآدميين، ومشهد النطفة وهي تتحول إلى إنسان خصيم مبين، ومشهد الشجر الأخضر تكمن فيه النار التي يوقدون[1].

٥ ـ وإلى جوار هذه المشاهد مؤثرات أخرى وجدانية، كصورة المكذبين الذين حقت عليهم كلمة الله بكفرهم، فلم تعد تنفعهم الآيات والنذر بعد أن غُلَّت أعناقهم وأيديهم إلى أذقانهم، ومنها صورة نفوسهم في سرهم وعلنهم مكشوفة لعلم الله لا يحجبها عنه صمت أو إنكار، فحيث يختم على أفواههم تتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم.

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٩٥٧.

## المقطع الأول

## صدق الرسالة وموقف الناس منها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يس ۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِىَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾

### سبب النزول :

من القرآن الكريم ما نزل ابتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعليم الناس دينهم، دون تعلق لهذا النزول بسبب معين، أو ارتباط بحادثة خاصة، أو سؤال عن شأن من شئون الناس، وغالب القرآن الكريم من هذا القسم، أما ما نزل من القرآن الكريم متعلقاً بسبب معين، أو ارتبط نزوله بحادثة أو إثر استفهام ما وغير ذلك،

فيقال عنه: إن سبب نزوله كذا، أو إنه نزل بسبب كذا على ما عليه عبارات العلماء بأسباب النزول.

ولا يفهم من هذا بالطبع أنه لولا هذا السبب أو ذلك الاستفهام ما نزلت هذه الآيات، وإنما كان ذلك الارتباط لحكمة يعلمها الله في مصاحبة نزول هذا القدر من القرآن الكريم لذلك السبب أو هذا الاستفهام، وإن كان المعتبر دائماً في مثل هذا هو عموم لفظ المنزل من القرآن الكريم، دون خصوص السبب، أو الشأن الذي نزل فيه.

ويروى هنا مع تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ . . .﴾ (يس ١٢) عن أبي سعيد الخدري أن بني سلمة اشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم عن المسجد، فأرادوا الانتقال عنها إلى قريب من المسجد، فنزلت الآية[1].

وهذا الذي روى عن أبي سعيد، فيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بتمامها مكية على نحو ما نقل القرطبي من إجماع العلماء، وغاية ما يقال في هذا: إنه من معنى هذه الآية، بدليل ما جاء في هذه الرواية من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبني سلمة، وأخرجه مسلم من رواية جابر بن عبدالله قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «يا بني سلمة دياركم تُكتَبْ آثاركم، دياركم تُكْتَبْ آثارُكم»[2].

## معاني المفردات:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| يـس: | معناه يا إنسان، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم؛ |

(١) سنن الترمذي ١٢/١٠٦ ـ ١٠٧، أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٤.

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب المساجد ـ باب فضل كثرة الخطى إلى المساجد ١/٤٦٢.

وقيل : إنه من الأحرف المقطعة، التي أشير بها إلى أن القرآن الكريم مصوغ من جنسها الميسر لهم[١]، ولكنه فوق ما يستطيعون صياغته منها، يدل عليه ذكر القرآن بعدها.

والقرآن الحكيم : الواو للقسم، وجوابه ما ذكر بعد «إنك لمن المرسلين»، والحكيم المحكم الآيات من الإحكام؛ وقيل: من الحكمة، فهو يخاطب كل أحد بما يسعه من الفهم، وبالحكمة التي توجهه وتصلحه .

صراط مستقيم : طريق معتدل لا عوج فيه؛ والمراد رسالة الإسلام ودين الأنبياء من قبل .

ما أنذر آباؤهم . «ما» نافية، والمعنى: لم ينذر آباؤهم الأقربون، وإن أنذر آباؤهم الأقدمون بإسماعيل عليه السلام[٢].

حق القول : ثبت العذاب ووجب، لإصرار أصحابه على الكفر وموتهم عليه .

أغلالاً : قيوداً تشد أيديهم وتجمعها إلى أعناقهم .

مقمحون : المقمح : المرفوع الرأس الغاض البصر، فلا يرى ما تحت بصره من شدة الغل البالغ إلى الذقن .

سداً : مانعاً وحاجزاً يمنعهم عن الإيمان .

فأغشيناهم : غطيناهم وألبسنا أبصارهم غشاوة، فلا يقدرون على إبصار شيء .

وآثارهم : أعمالهم الصالحة أو السيئة، التي لا ينقطع أثرها بعد موتهم. أو المراد بها خطاهم التي يمشونها إلى المساجد .

(١) راجع في معناها أقوالاً أخرى عند الشوكاني، فتح القدير ٣٥٩/٤.
(٢) ويجوز أن تكون «ما» هي الموصولة أو المصدرية؛ والذي في الأصل هو الأولى.

أحصيناه : كتبناه وأثبتناه باستقصاء واستيعاب، فلا يند منه شيء ولا ينسى.

إمام مبين : كتاب موضح لكل شيء كصحائف الأعمال التي يسطر فيها كل صغير وكبير. أو المراد به اللوح المحفوظ.

## المعنى الإجمالي :

في هذه الآيات التي افتتحت بها سورة «يس» يخاطب الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم، ويقسم له بالقرآن ذي الحكمة والإتقان، على صدق الوحي والرسالة إليه، وأنه صلى الله عليه وسلم واحد من المرسلين الذين اصطفاهم واختارهم لإبلاغ رسالته إلى خلقه، وأن طبيعة رسالته الاستقامة التي لا عوج فيها ولا التواء، فالحق فيها واضح قريب لا تعقيد فيه، يدركه البادي والحاضر والأمي والعالم، ويجد فيها كلٌّ حاجته، وما تستقيم به حياته وعلائقه مع غيره؛ لأنها مستقيمة مع سنن الكون وناموس الوجود، ثم هي - من هنا - مستقيمة على الطريق إلى الله، لا يخشى تابعها أن يضل عن خالقه أو يلتوي به الطريق.

والقرآن الكريم: هو أساس هذه الرسالة، ودليل الصراط المستقيم؛ ولكي يدرك عباد الله هذه الحقيقة في القرآن الكريم المنزّل إليهم - يعرف الله عباده بمن نزّله عليهم: إنه الله العزيز القوي في ملكه الذي يفعل ما يريد، والرحيم بخلقه الذي يريد أن يرحمهم فيما أنزل.

أما غاية تنزيل القرآن الكريم وحكمته فهي: إنذار قوم طال عليهم الزمن، وتتالت أجيالهم دون أن ينذرهم منذر، حتى غفلت قلوبهم، فكان الإنذار هو اللائق بالقوم[1] لتنبيههم من غفلتهم عن طريق الحق، وإيقاظهم لتعرف الهدى والاستجابة له.

---

(١) يرى بعض المفسرين أن المراد بالقوم العرب، وليس هذا بقادح في عموم رسالته صلى الله عليه وسلم، فذكر

ويكشف الله سبحانه عن مصائر هؤلاء الغافلين ، فيقسم باستحقاق أكثرهم عذابه ووجوبه عليهم ، وثبوته لهم لا جبراً عليهم أو إلجاء ، وإنما قضاء وقدرا بما علم الله من حقيقتهم التي تؤثر الضلال على الهدى ، فهم في موقفهم هذا محال بينهم وبين الهدى والإيمان بحواجز وسدود تحيط بهم فلا يمكنهم تجاوزها ، ولا حتى تخطيها بأبصارهم التي غشيت فما عادت ترى الأشياء أو تبصرها على حقيقتها ، لأن أيديهم مقيدة بأعناقهم تحت أذقانهم ، فلا تستطيع رؤوسهم حراكاً ، ولا أبصارهم جولاناً ، وهم فوق هذا تحول بينهم وبين الحق سدود من هنا ومن هناك ، والحال أنه قريب منهم .

وهكذا يكون حال من لا يدرك الحق ولا يريده ، وقضى فيه الله بأمره ، فختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة ، فلا يفيده الإنذار ولا تنفعه الموعظة ، وحينئذ يستوي عند أصحاب مثل هذه القلوب إنذارهم وعدم إنذارهم ، فالنتيجة واحدة ، لأنهم لا يؤمنون بالحق وهو يصدع بحجته ، وكيف لهؤلاء أن يؤمنوا وقلوبهم مغلقة لا تؤمن بغير المادة وأحوالها ، فلا يرجى لها نفع ولا ينتظر منها ثمار .

أما الذي ينتفع بالموعظة ويفيده الإنذار ، فهو صاحب القلب الحي الذي اتبع ذكر الله وكلامه ، واتقى الله وخافه دون أن يراه ، كأنه وحده الذي وجه إليه الإنذار ، ودُعي إلى الحق والإيمان ، ومن ثم كان هذا - وحده كذلك - المستحق للبشارة بمغفرة ما وقع فيه من آثام غير مصر عليها ، ثم الأجر الكريم على خشيته الرحمن بالغيب ، واتباعه لما أنزل الرحمن من ذكْر في جنة عرضها السماوات والأرض .

وينتهي هذا المقطع بتحديد وقت تحقيق هذه البشارة العظيمة يوم يبعث الله الخلائق ليحاسب كل نفس بما قدمت وأخرت ، فكل ما قدمت أيديهم من أعمال ،

---

= العرب وحدهم لا ينفي غيرهم ، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم ، والاجماع منعقد - بعد الآيات والأحاديث المتواترة - على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف/١٥٨) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥٤ ، ٣/ ٥٦٤ .

وكل ما خلفته أعمالهم من آثار يكتب ويحصى، فلا يند منه شيء أو ينسى؛ لأن الله سبحانه الذي يحيي الموتى هو الذي يكتب ما قدموا وآثار ما عملوا، وهو الذي يحصى هذا ويثبته ليحاسب عليه، كل ذلك على ما يليق بجلاله وكماله.

وهكـذا تشهد الآية بعموم معناها، الذي يتجاوز ما قيل في سبب نزولها، وهو العموم الذي يوضحه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

## من فوائد الآيات:

١ ـ تعظيم الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، حيث أقسم له بالقرآن على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم واستقامتها، وهو أبلغ رد على منكري الرسالة من المشركين والكفار.

٢ ـ الإخبار عن القرآن الكريم بأنه منزل من العزيز الرحيم إشارة إلى مكانته العظيمة عند الله؛ لأنه معجزة الدين الباقية والدليل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته.

٣ ـ إثبات علو الله سبحانه وتعالى على خلقه، لأن التنزيل لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل.

---

(١) أخرجه مسلم من رواية المنذر بن جرير عن أبيه، كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة. راجع: الصحيح ٧٠٥/٢.

(٢) أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة، كتاب الوصية ـ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. راجع: الصحيح ١٢٥٥/٣.

٤ ـ أن من حقت عليه كلمة الله وعذابه، لا ينفع معه نصح ناصح ولا إنذار منذر، فهو يتقلب في الكفر ليله ونهاره، ثم هو يوم القيامة مردود إلى أشد العذاب وبئس المصير.

٥ ـ أن فعل العبد كله ـ ما تقدم في حياته وما تأخرت آثاره بعد موته ـ معلوم لله ومكتوب في صحيفة عمله، ثم هو محاسب عليه إن خيراً وإن شراً، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧).

٦ ـ أن فعل الله الذي يختص به كإحياء الموتى يأتي مسندا إلى ضمير العظمة، وسائر أفعاله الأخرى ـ كالكتابة ـ لا تماثل أفعال المخلوقين؛ لأن كل فعل على ما يليق بفاعله ويناسبه، والله جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى/١١).

٧ ـ أن بعث الخلائق وحشرهم بأجسادهم وأرواحهم ومحاسبتهم في الآخرة كُلّه حق، وثابت بالنقل والعقل، وهو أحد أركان العقيدة الإسلامية، لا ينكره ـ أو يشك فيه ـ إلا خارج عن الملة وحائد عن الصراط المستقيم.

## المناقشـــة

١ ـ هل لسورة يـس اسم آخر غير ما عرفت به؟ وما رأيك في القول بمدنية بعض الآيات فيها؟ .

٢ ـ ماذا تعـرف من فضل سورة يس؟ وما أهم موضوعاتها؟ وما العلاقة بين هذه الموضوعات وافتتاحها بالأحرف المقطعة؟ وبم يتميز عرض السورة لموضوعاتها؟ .

٣ ـ يروى في نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ... ﴾ سبب خاص، فهل تتفق الرواية مع مكية السورة؟ وأي الاعتبارين أولى في فهم الآية (عموم لفظها أم خصوص سببها)؟ .

٤ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «يس، حق القول، أغلالا، مقمحون، أحصيناه، إمام مبين».

٥ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وما الذي يدل عليه قسم الله بالقرآن؟ وما جواب القسم في الآيات؟

٦ ـ أقسم الله بالقرآن على شيئين فما هما؟ وما الغاية من المقسم عليه؟ وكيف ينفي الله إنذار آباء القوم والواقع التاريخي يشهد بإنذارهم؟ .

٧ ـ ما سبب رفض المشركين والكافرين للإسلام ووجوب العذاب عليهم؟ وهل في ذلك جبر عليهم أو إكراه؟ . ناقش المسألة في ضوء ما تعرف من أصول العقيدة.

٨ ـ من القوم المُنذَرُون؟ وكيف توفق بين عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وخصوص إنذاره لمتبعي الذكر الظاهر من الآيات؟ .

٩ ـ يحاسب الإنسـان بآثار ما عمل في حياته، ما الأصول الجامعة لهذا الأمر من نصوص الكتاب والسنة؟ .

١٠ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع، واشرح واحدة منها.

# المقطع الثاني

## قصة أصحاب القرية مع رسل الله والرجل المؤمن

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| واضرب لهم مثلاً : | المثل هنا الحال والقصة، وضرب المثل ذكره بقصد تطبيق حالة مورده على حالة مضربه التي تشبهها، والمعنى هنا اذكر يا محمد لحالك مع المشركين حال أصحاب القرية مع رسلهم . |
| القرية : | قيل: إنها أنطاكية، كما قيل عن الرسل إلى أهلها إنهم أصحاب عيسى ولا دليل على القولين ولا يتعلق بمعرفتها غرض معتبر . |
| فعزَّزْنا بثالث : | قويناهما به وأيدناهما، وقرىء مخففا فعززنا بمعنى غلبنا وقهرنا . |
| إنا إليكم مرسلون<br>إنا إليكم لمرسلون | أكد الرسل كلامهم لسبق تكذيب القوم للاثنين، ثم أعادوا التأكيد أبلغ ما يكون، لتكرر التكذيب والإنكار . |
| تطيرنا بكم : | تشاءمنا منكم، وتوقعنا الشر في دعوتكم . |
| طائركم معكم : | أي حظكم وشؤمكم معكم، ونابع من نفوسكم وأعمالكم، وليس من دعوتنا إياكم . |
| أئن ذكرتم : | استفهام تعجب، وشرط محذوف الجواب، والمعنى إن أمركم لعجب! ألئن دعوناكم تطيرتم وتشاءمتم؟! أو ترجموننا وتعذبوننا؟! أهكذا يكون جزاء دعوتنا إياكم؟! . |
| مسرفون : | الإسراف المبالغة في الشيء ومجاوزة الحد فيه، والمراد أنكم |

| | |
|---|---|
| | مفسدون بمجاوزتكم الحق وتهديدكم للرسل . |
| أقصى المدينة : | أقصى الشيء أبعد جوانبه، وأدناه أقربها، والمراد أبعد مكان في المدينة . |
| يسعى : | يسرع في مشيه ويجد فيه . |
| لا يسألكم أجراً : | لا يطلب أجراً ولا مغنماً على ما يقدمه من قول أو عمل، والمراد أن المرسلين لا يطلبون شيئاً من ذلك . |
| فطرني : | خلقني وأبدعني . |
| لا تغن شفاعتهم ولا ينقذون | الشفاعة الوسيلة والسعي في الخير للغير، والمقصود أنها ـ من المعبودات الباطلة ـ لا تحقق ما يغنيه أو يفدي بها نفسه مما ينالها؛ لأن الشفاعة لا تجوز لغير الله إلا من بعد إذن الله للشفيع ورضاه عن المشفوع له[1] . |
| جند من السماء : | المراد بهم هنا ملائكة العذاب، بدليل ما بعده من وقوع عقابهم بالصيحة . |
| صيحة واحدة : | صوتاً مهلكاً من السماء . |
| خامدون : | مهلكون ميتون كخمود النار وانطفائها بعد سطوعها ولهيبها . |

## المعنى الإجمالي:

وتمضي الآيات القرآنية لتعرض لنا قضايا العقيدة ومواقف الناس منها، من خلال قصة واقعية، تبرز فيها عواقب التكذيب، والإيمان بهذه المعتقدات واضحة للعيان، وهي قصة أصحاب القرية والمرسلين الثلاثة الذين أرسلوا إلى أهلها وفيهم الرجل المؤمن، تلك القصة التي صارت مثلاً في التاريخ للعظة والاعتبار.

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ربه بذكر هذه القصة مثلاً لقومه؛

(١) راجع : شرح العقيدة الواسطية ص ١٥٩ .

لكونها منطبقة على ما بينه وبينهم بشأن الرسالة والوحي، فأهل هذه القرية يرسل الله لهم رسولين ـ كما أرسل موسى وأخاه هرون إلى فرعون وملئه ـ ولكن أهل القرية كذبوهما، فقوى الله الرسولين وأيدهما برسول ثالث يؤكد رسالتهما، ليتقدموا ثلاثتهم بدعوتهم من جديد، مؤكدين لقومهم أنهم رسل الله أتوهم بالهدى والخير من عنده.

ولكن أهل القرية غالوا في تكذيبهم، وأصروا على كفرهم وعنادهم، وسوغوا تكذيبهم وإصرارهم بهذه الاعتراضات الثلاثة المكرورة على طول تاريخ البشرية.

١ ـ فالرسل ـ في نظرهم ـ ليسوا كذلك لأنهم بشر مثلهم لا يفضلونهم في شيء، فليسوا ملائكة أو خلقاً فوق مستوى البشر تحيطهم الأسرار والألغاز، وغفل هؤلاء عن حقيقة مهمة هي ضرورة أن يكون الرسل من جنسهم، ليتحقق بحملهم الرسالة القدوة لهم والنموذج الذي يدعونهم لتحقيقه وتقليده.

٢ ـ ويأتي الاعتراض الثاني متعلقاً بالرحمن وما أنزل، وخلاصته أن الرحمن لم ينزل شيئاً مما يدعيه هؤلاء ويأمرون به؛ إذ لم يعهدوا أو يعرفوا واقعة واحدة أنزل الرحمن فيها شيئاً من عنده وتبليغاً عنه.

٣ ـ وما دام الرسل بشرا ولم ينزل الرحمن من شيء فما يراهم قومهم إلا كاذبين على الله فيما ادعوه، وكاذبين على خلقه فيما زعموه من إرسالهم من الله إليهم.

ويكرر الرسل دعوتهم ـ في ثقة الصادقين ـ حيث ردوا العلم برسالتهم إلى الله الذي أرسلهم، كأنهم يقسمون به ـ ويستشهدون بعلمه ـ على إرسالهم، فما كان لهم أن يسلموا من العقاب وقد كذبوا على ربهم، لأنهم يعرفون غايتهم ويؤدون وظيفتهم من الدعوة والبلاغ البين، ولا عليهم بعد ذلك اهتدى الناس أم رفضوا فإن حسابهم على الله وأمرهم إليه.

ولما نفد إنكار القوم وأفلسو في حجاج الرسل ـ وما معهم من الحق ـ ضاقوا بهم

ذرعاً وكشر باطلهم عن أنيابه وأظهروا تشاؤمهم من دعوة الرسل وتوقعوا منها الشر العظيم، وعليه فليس للرسل معهم إلا أن يتخلوا عن دعوتهم، أو يكون للقوم شأن آخر معهم ينالهم فيه صنوف الهوان والإذلال من القتل بالحجارة مرة وإيقاع العذاب الأليم بهم أخرى.

ولقد أقسم القوم على عزمهم، ولكن رسل الله لم يأبهوا لخرافاتهم وتهديداتهم، ومضوا يبينون لهم أن ما يصيبهم من خير أو شر إنما ينالهم بأعمالهم وما كسبوه باختيارهم، وليس صحيحاً ما اعتقدوه من التشاؤم بالدعوات أو الأشخاص أو غير ذلك، وأنهم - في حقيقة أمرهم - مغالون في إعراضهم عن الحق وتهديدهم من بذكرهم به.

وإذ كان هذا موقف أهل القرية مماثلاً لمن أغلقت قلوبهم فلم يستجيبوا للهدى، واستوى عندهم أن يُنْذَرُوا أو لا يُنْذَروا - فقد كان من أهل القرية من فتح قلبه للإيمان واستجاب للهدى، وكان مثالاً لمن أفاد من الإنذار، واتبع ذكر الله وخشيه بالغيب، إنه مؤمن هذه القرية الذي سمع بدعوة الرسل - وهو أقصى ما يكون بعداً عنهم - فتجاوبت بها نفسه، وسعى جاهداً لمناهضة الباطل لدى قومه وكفهم عن البغي والاعتداء على رسل الله، ولم يشأ أن يقبع في داره مكتفياً بسلامة عقيدته، وهو يرى من حوله الضلال يستشري في قومه ويفتك بهم، شأن كثير ممن يرفعون شعار الإسلام وليس لهم من إعماله في حياتهم نصيب.

ويترفق المؤمن بقومه وهو يواجههم: يا أهلي اتبعوا هؤلاء المرسلين فما أراهم إلا صادقين، ودليل صدقهم بين أيديهم، إنهم لا يطلبون على ما جاؤوكم به أجراً أومغنماً، وهم يدعونكم إلى عقيدة صحيحة يسبقونكم على طريقها مهتدين بعقيدة التوحيد، فهل - بعد ذلك - من دليل على صدقهم؟! وينصح المؤمن قومه - في تعريض بهم واستنكار لموقفهم - أيّ مانع يمنعه هو أو غيره من عبادة ربه الذي فطره وأبدعه؟ وهل يليق بكم أن تعبدوا غير الله وقد فطركم وبدأكم أوّل مرة، ثم تعودون إليه

وترجعون كما يرجع كل شيء إلى مصدره وأصله؟ وإذا لم تكن عبادة المبدىء والمعيد هي العبادة فهل عبادة غيره ممن لا يخلقون شيئاً ولا يدفعون عن أنفسهم أو غيرهم ضراً أريد بهم ولا يغنون شيئاً - هل عبادة هؤلاء هي العبادة؟! إن هذا لهو الضلال الذي لا هدى بعده والخسران الذي لا فلاح وراءه.

وما لبث المؤمن أن أفصح عن إيمانه وأشهد قومه عليه، غير مكترث بما يقولون أو آبه بما يتهددون، ويوحي سياق الآيات بعد أن القوم لم يمهلوا الرجل حتى قتلوه، فكان مآله الجنة وغفران الله له، وإعطاءه من المنزلة والكرامة ما يليق بمقام المؤمنين الشجعان والشهداء المخلصين، ويتذكر الرجل قومه في آخرته متمنياً لو يعلمون من حميد عاقبته ليؤمنوا ويصيروا إلى مصيره، ولكن شتان شتان بين أمنياته لهم ومشيئة الله فيهم، لقد حق عليهم عذاب الله، ولكنهم كانوا أهون على الله من أن يرسل جنده بعذابه إليهم، وإنهم لأحقر شأناً من تدمير ملائكة الله لهم، بل تكفيهم صيحة واحدة من أحدهم فإذا هم بعدها موات لا حراك لهم ولا حياة.

## من فوائد الآيات:

١ - أن المبادىء النظرية والقضايا التقديرية تتمكن في النفوس، إذا سيقت في صورة قصصية أو واقع ملموس للناس.

٢ - أن حجج الباطل داحضة وحبال أصحابه منصرمة في مواجهة الحق ودلائله، وصمود أصحابه، ولذا سرعان ما يغدر أهل الباطل بالحق وأهله ويبطشون بهم.

٣ - من واجب الدعاة تسلحهم بالصبر في وجه الباطل، والإيمان بأن ليل الباطل مؤذن لا بد ببزوغ فجر الحق.

٤ - أن شبه المشركين والكفار على رسلهم واحدة لم تتغير على طول التاريخ، ولا تخرج عن: بشرية الرسل، عدم إنزال الله شيئاً عليهم، كذب الرسل.

٥ - أن الطيرة والتشاؤم لا أساس لهما من دين أو عقل، فلا ينتج رأى صحيح من

خرافة ووهم، وأصل ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الطيبة، الكلمة الحسنة»[1].

٦ - من أهم دلائل صدق الدعاة تجردهم عن الأغراض والمنافع العاجلة، وتمثلهم مبادىء دعواتهم في حياتهم.

٧ - أن كل الأولياء والمعبودين لا يملكون لعابديهم نفعاً أو ضراً، بل لا يملكون شيئاً من ذلك لأنفسهم.

٨ - اعتزاز المؤمن بإيمانه والجهر به وإعلانه أمام الولي والعدو ولو كلفه ذلك حياته.

٩ - من نال خيراً أو علماً لم يستأثر به بل يدعو إليه أهله وأحباءه ويشركهم معه فيما أحب ورضي، وهذا شأن النفوس المؤمنة التي تفيض بالخير لأعدائها قبل أوليائها، بل تتمناه لهم في الدنيا والآخرة، وهو سمت المؤمن الذي عرضه القرآن.

ﮜﮜﮜﮜ

---

(١) أخرجه الشيخان عن أنس رضي الله عنه، راجع: فتح الباري - كتاب الطب - باب الفأل ٢١٤/١٠، صحيح مسلم - كتاب السلام باب الطيرة ١٧٤٦/٤.

## المناقشــــة

١ ـ وضــح معــاني الكلمات القــرآنية التــالية: «مثلاً، فعززنا، تطيرنا، مسرفون، يسعى، فطرني، خامدون».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ ولم جاء عرضه في شكله القصصي؟ وما القرية المذكورة؟ ولماذا لم تذكر أسماء رسلها؟

٣ ـ وضح كيف انطبق موضوع هذا المقطع على موضوع سابقه مبرزاً

أ ) الموقفين المتقابلين في كل منهما.

ب) أصحـاب الموقفيــن.

جـ) عاقبـة كل منهمـا.

٤ ـ «سـوغ الكفـار تكـذيبهم للرسـل باعتراضات ثلاثة» اذكر هذه الاعتراضات وناقشها في إجمال.

٥ ـ صور ـ في إيجاز ـ موقف الرسل بعد اعتراض قومهم؟ وماذا انتهى إليه الموقف بعد انهزام الباطل أمام الحق؟.

٦ ـ هل للتشاؤم والتطير مكان في الدين الحنيف؟ وما دليل قولك من الكتاب والسنة؟.

٧ ـ حدد ـ في إيجاز ـ واجبات المؤمن في مناهضة الباطل ودفاعه عن إيمانه من خلال درسك لقصة الرجل المؤمن.

٨ ـ ما أقوى دليل ـ ساقه المؤمن ـ على صدق الرسل؟ وما جزاء من استشهد دفاعاً عن دينه؟ وماذا كانت عاطفة المؤمن نحو قومه حياً وميتاً؟ وهل حالت أمنياته دون نهايتهم المؤلمة؟.

٩ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع واشرح واحدة منهـا.

## المقطع الثالث
## ضلال العباد وإعراضهم عن الآيات الكونية والتنزيلية

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ

وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
| --- | --- |
| يا حسـرة : | الحسرة ندم يصيب النفس من حال مؤسفة، والمراد أن حال مكذبي الرسل تدعو إلى الحسرة وتستحضرها لدى المتحسرين. |
| يستهزئون : | يسخرون ويسيئون الأدب معه . |
| كم أهلكنا : | كثرة من أبدناهم وأمتناهم . |
| القـرون : | جمع قرن وهو من الناس الأمة، ومن الزمان مائة سنة أو كل مدة يكون فيها نبي أو طبقة من العلماء. |
| لما جميع : | إلا مجموعون . |
| محضـرون : | مأتي بهم ومحشورون للحساب والجزاء . |
| وآية لهم : | الآية النعمة والمنة، والعلامة والدليل، والعظة والعبرة |
| الأرض الميتة : | التي لا نبات فيها فهي عارية جرداء عن كل مظاهر الحيـاة . |
| جنـات : | بساتين خضراء من شجر النخيل والأعناب وغيرها. |
| وفجرنا فيها : | شققنا في الأرض وأخرجنا منها الماء ينبع في العيون . |

سبحان : تنزيه لله تعالى عما لا يليق به من العيوب والنقائص، وكفر نعمه، وعدم الإعتبار بآياته.

الأزواج : الأصناف والأنواع المختلفة من مخلوقات الله شكلاً وحجماً ولوناً وصفة في البر والبحر والجو وغير ذلك.

نسلخ منه النهار : السلخ الكشط والنزع، والمعنى نفصل النهار من الليل وننزعه منه.

منازل : جمع منزل أي موضع ومكان، والمراد منازل القمر في سيره وهي ثمانية وعشرون يتدرج فيها هلالاً فتربيعاً فبدراً . . . .

كالعرجون القديم : العرجون القديم عود العذق البالي العتيق ما بين الشماريخ التي يحملها إلى منبته في النخلة.

كلٌّ في فلك : الفَلَك مدار الكوكب، سمي به لاستدارته كفلكة المغزل، والتنوين في «كلٍّ» عوض عن المضاف إليه، وهو ما سبق ذكره من الكواكب سواء لفظ به أو بلازمه.

يسبحون : السبح حركة في انبساط وسهولة تكون في الماء كما تكون في الهواء، وضمير الجمع في الفعل دليل على حدوثه من النيرين وغيرهما.

ذريتهم : ذرية الرجل أنساله، وقيل آباؤه وأجداده، وتطلق على أصول الإنسان من البذور والنطف في الأصلاب وهو المراد.

الفُلْك المشحون : السفن الجارية على الماء، يطلق على الواحد والجمع، والمشحون الممتلىء بالناس الموقر بهم.

مثله ما يركبون : أي مثل السفن في ركوبهم إياه وسبحه كسفائن البر «الإبل والقاطرات والسيارات»، وسفائن الجو «الطائرات والمركبات الفضائية» فكلها مما خلقه الله ويركبه الإنسان.

| | |
|---|---|
| فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون: | لا مغيث يغيثهم من هول ما هم فيه، ولا منقذ لهم من الغرق. إن أراده الله بهم. |
| ما بين أيديكم وما خلفكم: | أي آفات الدنيا ونوازلها المرئية لهم، وأهوال الآخرة وشدائدها الخافية عليهم والتي تأتيهم من حيث لا يحتسبون. |
| معرضين: | الإعراض النفور والانصراف عن آيات الله (تنزيلية أو كونية) وإهمالها وترك النظر فيها. |
| لو يشاء الله أطعمه: | الجملة شرطية، والفعل في آخرها جواب الشرط في أولها، والمعنى كيف نرزق من لو يشاء الله لرزقه؟! |

## المعنى الإجمالي:

يبدأ هذا المقطع بتسجيل حسرة المتحسرين على هلاك المكذبين للرسل عليهم السلام، وما استحقوا به هذه الحسرة، وأن شأنهم في ذلك شأن كثير من العباد الضالين حين تتاح لهم فرص النجاة بإرسال الرسل، ولكنهم يعرضون عن هديهم مسيئين الأدب معهم وساخرين منهم ومما أرسلوا به، غير متعظين بمصارع الغابرين وهلاك الأولين، كأنهم عميان لا يرون كثرتهم، ولا يعرفون أنهم بعد هلاكهم لا يرجعون إليهم، وإن كان هؤلاء جميعهم محشورين لله، ليستوفوا حسابهم وينالوا جزاءهم على استهزائهم بالرسل، وعدم اتعاظهم بمصائر سابقيهم، أو اهتدائهم بآيات الله في الآفاق والأنفس.

ويشرع السياق في عرض هذه الآيات الناطقة بوحدانية الله، والشاهدة بقدرته العامة، لعلهم بتأملها يهتدون:

١ ـ فها هي الأرض يشهدونها اليوم جرداء لا نبات فيها ولا حياة، ومن الغد الباكر تدب فيها الحياة وتزدهر بالنبات والخضرة، مخرجة الحبوب والأرزاق، ومزدانة بالنخيل والأعناب، وريانة بما يتفجر فيها من عيون المياه الجارية التي تجري معها

الأرزاق حيث جرت، فيأكل الناس ويعيشون من حبوب الأرض وثمار الجنات أصنافاً طازجة، وأخرى مما عملوه بأيديهم وأقدرهم عليه الله من ألوان المأكولات وأطايب الطعام، فهلا استأهل ذلك كله شكرهم لله الذي أنعم عليهم بتلك النعم؟! أو لا يشهد هذا كله بكمال قدرة الله وبعثه لهم؟! فسبحان الله ما أعظم قدرته وأجلّ نعمه على عباده التي جعلها أنواعاً وأصنافاً، أشكالاً وألواناً، وهكذا تجري قدرته في مخلوقاته ما عُلِم منها مما تنبته الأرض ومن أنفس البشر، وما لم يُعْلَم من مخلوقات الله ولا يحيط به سواه.

٢ - ومن آية الأرض الميتة تنبثق فيها الحياة إلى آية السماء وأجرامها التي يجريها الله بحساب دقيق ونظام محكم.

أ) فها هو الليل يقدم بظلامه ويغشى ضوء النهار، فإذا الكون سكون وهدوء، والناس في ظلمة دامسة، ثم لا يلبث أن يُنْزَعَ النهارُ من الليل ويسلخ منه بعد أن كان متلبسا به، فهل يفعل ذلك غير الواحد الأحد ذي القوة والقدرة؟

ب) وها هي الشمس تجري في فلكها بسرعة هائلة ولا تتوقف حتى يأذن الله مجريها بتوقفها عند مستقرها وأجلها الذي قدره الله وأذن بانقطاع بقاء العالم عنده[1]، فهل يعقل أن يكون جريان الشمس هكذا في دقة وإتقان دون تدبير وتقدير؟ كلا، إنه تقدير العزيز القوي، وتدبير العليم بكل شيء ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل/٨٨).

---

(١) روى عن أبي ذر قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ قال: «مستقرها تحت العرش» وعنه أيضاً قال صلى الله عليه وسلم: «إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها وذلك قوله: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾، راجع: فتح الباري كتاب بدء الخلق ٢٩٧/٦، صحيح مسلم كتاب الإيمان ١٣٨/١.

قال الخطابي: «استقرار الشمس تحت العرش إخبار عن غيب لا نكذب به ولا نكيفه حيث لا ندركه ولا يحيط علمنا به، وفي الإخبار عن سجودها تحت العرش - يعني في الحديث الثاني لا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها

جـ) وفي هذا القمر آية وعظة أخرى إذ يراه الناس حين يظهر في السماء صغيراً دقيقاً ثم يكبر ويكبر حتى يكتمل بدراً، ثم لا يلبث أن يعود كما كان هلالاً ذابلاً كذبول عذق النخلة حتى يمحق ويختفي.

ويقـرر السياق وجه قدرة الله في سير هذه الأجرام في أفلاكها كالشمس والقمر بحيث إنه يتم سيرهما على نحو دقيق يحفظهما من التصادم فللشمس مدارها الخاص الذي لا تدرك معه القمر أو تلحقه في مداره، ولا يسبق الليل النهار ولكنهما يتعاقبان، ويزيح كل منهما الآخر ليحل محله ولكل منها نظام يخصه في حركته وزمن يستغرقه في دورته، وكلها تسبح في أفلاكها.

٣ ـ وهـذه الآية الأخرى في البحر عبرة وعظة للعباد، حيث حمل الله بذورهم ونطفهم في أصلاب آبائهم الأولين حين ملأ بهم السفينة في عهد نوح عليه السلام، وفوق هذا فقد خلق الله لهؤلاء العباد أمثالاً لهذا الفلك المشحون مما صنعه الناس ويصنعونه من سفائن البر وسفائن الجو، والراكبون لهذه السفائن أكثر إدراكا ـ في هذا الحال ـ لمعنى الرحمة من غيرهم كما يدركها راكبو السفن البحرية وسط أهوال البحر وعـواصفـه المـدمـرة، ولو شاء الله إهلاكهم وإغراقهم آنذاك فلا مغيث يستجيب لصراخهم، بل ولا خلاص لهم من هذا الهول سوى تدارك رحمة الله لهم، ثم بقية باقية من آجالهم تقتضي تمتعهم بها حتى يحين أجلهم.

أفلا تدل هذه الأفعال الإلهية على كمال قدرته تعالى ورعايته لعباده؟ وهلا اتعظ العباد بها؟ إن عباد الله المؤمنين يتعظون، ولكن المطموسين يعرضون عنها، وإذا ما أنذروا وقيل لهم: حاذروا ما يقع لكم من حوادث الدنيا واعتبروا بما حلّ بالسابقين، واحذروا ما ينتظركم من مواقف الآخرة الشداد، واتقوا الله لتكونوا على رجاء من رحمته ـ أصروا على إعراضهم وجحودهم، وكما يعرضون عن آيات الله الكونية لا تجدي

---

= العرش في مسيرها، وليس في سجودها تحته ما يعوقها عن الدأب في سيرها والتصرف لما سخرت له» راجع: شرح السنة للبغوي ١٥/٩٤ - ٩٦.

فيهم آياته القرآنية، بل يزداد إعراضهم وكبرهم حتى يصير دأبهم الإعراض عن كل آية وجحود كل موعظة.

ويتضح إعراض هؤلاء وجحودهم حين يدعون إلى الإنفاق على الفقراء والمعوزين مما أعطاهم الله ورزقهم، حيث يهزأون من هذه الدعوة، زاعمين أن الإنفاق عليهم يخالف المشيئة الإلهية، فكيف يعطون من حرمهم الله، ويطعمون من لو شاء الله لأطعمه؟! إن من يقول بذلك لفي ضلال كبير وسفاهة بينة[1].

ولكن هؤلاء بفهمهم السقيم: هم الغارقون في الضلال البعيدون عن إدراك سنن الله في أرزاق العباد التي تسع خلقه وتتداول بينهم، وتتفاوت حظوظهم فيها على نحو ما اقتضته الحكمة الإلهية، ولا دلالة بعد ذلك لكثرة الرزق لدى بعض العباد على كرامتهم عند الله أو رضاه عنهم.

## من فوائد الآيات:

١ ـ في الآيات سلوى للرسول صلى الله عليه وسلم فيما عرض عليه من استهزاء الكفار بإخوانه من الرسل.

٢ ـ أن عقلاء الناس من يتعظون بغيرهم، ومن لم يتعظ منهم استحق الحسرة والندم.

٣ ـ في إحياء الله للأرض بعد موتها دليل واقعي على إحياء الموتى وبعثهم، وفيه دليل على جواز قياس الشيء على نظيره ومشابهه والحكم عليه بحكمه.

٤ ـ أن سائر المخلوقات قائم خلقها على قاعدة الزوجية وبخاصة الحية منها؛ وقد علم ذلك أخيراً في عالم الجماد والمواد، ابتداء من الذرات حتى كبريات النجوم

(١) هكذا يبادر أهل الضلال فيرمون أهل الحق بما فيهم ويخلعون عليهم من ضلالهم، وقديماً قيل في المثل: رمتني بدائها وانسلت، وهذه شنشنة نعرفها من أخزم، وقد حكى الله مثل هذا عن أمثالهم في قوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ (الأنعام/١٤٨).

في المجرات، قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ . . . ﴾(الذاريات/ ٤٩).

٥ ـ وهذه الزوجية في قاعدة الخلق مؤذنة بوحدة الخالق وتفرده بالأحدية ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء /٢٢).

٦ ـ في الآيات إشارة إلى ما يخلقه الله في القابل من الزمان من وسائل النقل، من مثل ما عرف الإنسان نماذج له وما لم يعرف، قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/٨).

٧ ـ إيثار الكافر للإعراض عن الحق ـ مع وضوح آياته ودلائله ـ ليظل متخففاً من واجبات الحق وتبعاته.

٨ ـ تلبيس الكفار الدائم على المؤمنين والتشنيع على إيمانهم بأفهام باطلة والاستهزاء بهم وبدينهم.

## المناقشـــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «يا حسرة، القرون، وآية لهم، فجرنا، الأزواج، نسلخ، العرجون، الفلك، ذريتهم، صريخ».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وما الحكمة في تسجيل الله الحسرة على العباد؟ ومن المقصودون بذلك؟

٣ ـ وضح وجه دلالة إحياء الأرض الميتة على: أ) إحياء الموتى وبعثهم، ب) عناية الله ورعايته لخلقه؟.

٤ ـ ما القاعدة العامة في خلق الله للأشياء؟ هات دليلاً على ذلك مما اكتشفه الإنسان حديثا؟ وما الذي تدل عليه هذه القاعدة نحو الخالق جل وعلا؟.

٥ ـ وضح ما تعرفه عن مستقر الشمس الذي تجري له وقدره لها العزيز العليم؟ وهل يتعارض ذلك مع سجودها تحت العرش؟

٦ ـ قررت الآيات في وضوح عدم سبق الشمس للقمر أو الليل للنهار، ما السر في ذلك؟

٧ ـ وضح كيف كان حمل الذرية في الفلك آية للعباد ودليلاً بينا على قدرة الله ورحمته؟ وكيف دلت الآيات على ما اخترعه الإنسان بعد عصر التنزيل من المركبات الحديثة؟.

٨ ـ أشارت الآيات إلى كفاية الدلائل على وحدانية الله وقدرته، فما السر وراء عناد الكفار وإعراضهم؟

٩ ـ اتهم الكافرون المؤمنين بالضلال، فما المناسبة التي اتهموهم فيها؟ وأيهما أحق بالضلال؟ وبماذا سوغ الكفار رفضهم الإنفاق على الفقراء؟ وبماذا يمكن الرد عليهم؟.

١٠ ـ اذكر أربع فوائد عرفتها في هذا المقطع مع شرح واحدة منها؟.

# المقطع الرابع

## اليوم الموعود ومشهد من الآخرة لأصحاب الجنة وأصحاب النار

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ

اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| الوعد : | إنباء بخير أو بشر يقع مستقبلاً ، فإن أريد خصوص الشر كان وعيداً[1] ، والمراد يوم القيامة . |
| ينظرون : | ينتظرون ، جعل تكذيبهم ليوم القيامة مع وقوعه لا محالة ، كأنهم في انتظار حدوثه ووقوعه . |
| صيحة واحدة : | هي نفخة إسرافيل الأولى التي يموت بها أهل الأرض ، وتعرف بنفخة الصعق والفناء ، والثانية نفخة البعث والمعاد . |
| يخصِّمون : | يختصمون ويتنازعون في أمورهم الدنيوية ، والمراد أنها تبغتهم وتفجأهم دون توقع أو حسبان . |
| توصية : | الوصية التي يقوم بها الشخص قبل موته ، وتكون آخر عهده بالدنيا وأهلها . |

(١) راجع : المفردات في غريب القرآن ص ٨٢٦، لسان العرب ٤٨٧٢/٦ مادة : وعد .

الصـور : القرن ـ على هيئة البوق ـ الذي ينفخ فيه كما ورد بذلك في السنة[١] .

الأجداث : جمع جدث، وهو القبر .

ينسـلون : ينتفضون ويخرجون سراعاً .

يا ويلنا : الويل الهلاك والثبور، نادوا ويلهم : أن احضر فهذا أوان حضورك .

مرقـدنا : من قبورنا، حيث ظنوا، لاختلاط عقولهم من الهول والفزع أنهم كانوا نياماً .

شغل : كل ما يشغل الإنسان ويصرفه عما ليس من اهتمامه، والمراد به هنا : نعيم أهل الجنة .

فاكهون : الفاكه المتنعم والمتلذذ بما ينعم به، ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به .

الأرائك : واحده أريكة؛ وهي : السرر المزينة الفاخرة .

متكئُون : المتَّكىء من قعد على وطاء متمكناً فيه، وتعرفه العامة بمن مال في قعدته، والمراد بهم المتمكنون على سررهم[٢] .

ما يدَّعـون : ما يتمنونه ويطلبونه، فمن ادعى منهم شيئاً فهو له، ومنه قول العرب : ادّع عليّ ما شئت أي تمنّ واطلب .

امتازوا : انفردوا وتميزوا، وانعزلوا عن المؤمنين.

جِبِلاً كثيراً : بكسر أوله وثانيه الجماعة العظيمة تشبيهاً لها بعظمة الجبل، وبضمهما جمع جِبِلة، أي ثابتين على ما جبلوا عليه[٣].

---

(١) أخرج الترمذي عن عبدالله بن عمرو، أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم : ما الصور؟ قال : «قرن ينفخ فيه»، راجع : سنن الترمذي ـ كتاب صفة القيامة ـ باب ما جاء في الصور ٤/٤١ ـ ٤٢ .

(٢) راجع لسان العرب ٦/٤٩٠٤ مادة وكأ.

(٣) راجع : المفردات ـ مادة جبل ص ٨٧ .

اصلوها : من الصلي والاصطلاء بالنار، والمراد ادخلوها وقاسوا شدتها وحرها.

نختم على أفواههم : نغلقها بالختم كما تغلق الأبواب، بسبب كذبهم وإنكارهم كما في قولهم: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام/٢٣).

طمسنا : غطينا عيونهم حتى تعود ممسوحة لا يظهر لها شق ولا جفن.

استبقوا الصراط : ابتدروا الطريق وتسابقوا إليه، ليجوزوه ويمضوا عليه.

أنّى يبصرون : كيف يبصرون الطريق ويحسنون سلوكه ولا أبصار لهم.

مسخناهم : بدّلنا خلقتهم وقلبناهم حجارة أو جماداً، لا حركة له ولا إرادة ظاهرة.

مكانتهم : المكانة والمكان واحد، كالمقامة والمقام.

مضيا : ذهابا وتقدما إلى الأمام.

نعمّرْه : نطل عمره .

ننكّسه : من تنكيس الشيء وتغيير هيئته؛ والمراد نرده إلى أرذل العمر، ونغير خلقه من قوة وشباب إلى ضعف وهرم[1].

## المعنى الإجمالي:

من إعراض الكفار عن آيات الله وضلالهم استهزاؤهم بوعيد الله، فهم يسألون في استنكار عن زمن ذلك اليوم، كأنهم يستعجلون وقوعه ليصدقوا به، وهم فوق ذلك يسخرون من المؤمنين ويتهمونهم بالكذب فيما يحدثونهم به عن هذا اليوم؛ ولما كان وعد الله لا يستقدم الاستعجال بشر ولا يستأخر لرجائه، أجابهم الله بكيفية وقوع هذا الوعد، فما هم بتكذيبهم لهذا اليوم إلا منتظرون وقوعه بهم حيث يبغتهم ويفجؤهم، وهم في جدالهم في أمور دنياهم وخصامهم في معايشهم، وما هي إلا نفخة واحدة من الملك الموكل بذلك، فإذا هم خامدون على أحوالهم، فلا يمكنهم وصية أهليهم في أمر من أمورهم، ولا يستطيعون الرجوع إليهم في منازلهم.

(١) راجع: لسان العرب ٦/٤٥٤٠ مادة نكس.

ثم ينفخ الملك مرة أخرى، فإذا هم ينتفضون من القبور ويخرجون سراعاً إلى ربهم، ليوفوا حسابهم وهم في ذعر وهلع بالغين، يدعون على أنفسهم بالهلاك والثبور، ويسألون عمن أخرجهم وبعثهم من قبورهم، وحينئذ يتذكرون ما استنكروه في الدنيا واستعجلوه، وينطقهم الله بحقيقة الأمر، فما الذي هم فيه الآن إلا ما وعدهم به الرحمن في الدنيا على ألسنة الرسل، وقد صدق المرسلون، وتحقق وعد الله الذي استعجلوه[1]؛ وهكذا كما أخذ هؤلاء من دنياهم بصيحة واحدة، لم يستغرق بعثهم من قبورهم غير صيحة أخرى[2]، وإذا بهذا الحشر الحائر تنتظم صفوفه، ويتهيأ للعرض والحساب، حيث القضاء العادل والفصل الحق، فلا تبخس نفس حقها، ولا تأخذ أخرى إلا جزاء ما صنعت، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧).

ويطوي سياق الآيات حساب المؤمنين، ليعرض ما صاروا إليه من نعيم مقيم، زيادة في حسرة الكافرين، وتكميلاً لشقوتهم وحرمانهم، نعم إن المؤمنين في جناتهم مشغولون اليوم عن هؤلاء الكفار، بسرورهم وما يتمتعون به ويتفكهون من طيبات الجنة، ويكتمل سرورهم بمشاركة أزواجهم لهم، فهم وإياهم في ظلال الجنة يستروحون نسيمها، ويسمرون مع أهليهم وهم متمكنون في سررهم الوثيرة، ولهم مع ذلك الفواكه الكثيرة، بل لهم كل ما يشاءون فيها ويتمنون حالا منجزا، ثم لهم

---

(١) يقولها بعضهم لبعض، ويجوز أن تكون من جواب المؤمنين أو الملائكة لهم، أو من قول الله سبحانه وتعالى، فتح القدير ٤/٣٧٤.

(٢) عامة العلماء على أن الصيحات من الملك اثنتان: أولاهما في آخر الدنيا للإفناء والإماتة، وثانيتها في أول الآخرة للبعث والإعادة ولا ثالث لهما، ويرى ابن كثير أنها نفختان في الدنيا: الأولى نفخة الفزع والناس في أسواقهم يختصمون، والثانية نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم، ثم نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور، أما صاحب الظلال فيرى أنها صيحتان في الآخرة ـ بعد صيحة الإماتة في الدنيا ـ أولاهما صيحة البعث من القبور وثانيتها صيحة السوق إلى المحشر، وقد جاء الرد على مستنكري يوم الوعد بهذه الثلاثة، راجع: تفسير القرآن العظيم ٣/٥٧٤، في ظلال القرآن ٥/٢٩٧٢.

فوق هذا كله التحية والتكريم، والحفاوة والتعظيم، سلام قولاً من رب رحيم، يتلقونه مباشرة من ربهم الكريم.

أما أصحاب النار: فتعرض سيئاتهم، وتنشر على أعين الناس زيادة في تبكيتهم، وينادون في تحقير أن ابتعدوا عن المؤمنين، وانعزلوا بعيداً، فإنكم مجرمون، وما لكم وللمؤمنين؟ ليس واديكم من واديهم، فلقد حفظوا عهدي إليهم ألا يعبدوا غيري، أما أنتم - يا بني آدم - فقد ختنتم العهد وعبدتم الشيطان الذي أخرج أبويكم من الجنة، وعداوته لكم ظاهرة، فهلا ذكرتم هذا العهد، وعرفتم أن عبادتي وحدي هي الطريق المستقيمة والموصلة إلى رضاي؟ ولكن هيهات أن تفعلوا وتحذروا عدوكم، الذي أغوى منكم أجيالاً وأجيالاً، وأنتم تشهدون آثار عبادتهم إياه، فلم تتعظوا من ذلك، ولم تعقلوا بطلان عبادتكم لعدوكم.

وفي نهاية هذا الموقف المهين يعلنون بجزائهم، ويشار إلى جهنم وقد دنوا منها: هذه هي التي وعدكم بها الرسل فكذبتموهم وكذبتم بها، وها هي تلفحكم بحرها ونارها، فاصلوها اليوم وقاسوا من أهوالها بسبب كفركم بالله وعبادتكم للشيطان، ثم يعرض السياق عن خطابهم استهجاناً لأفعالهم، ويلتفت إلى مشهدهم وهم يخاصمون في خطاياهم وآثامهم، ويحلفون كذباً وإنكاراً لأفعالهم، فيختم الله على أفواههم، ويقيم عليهم شهوداً من أنفسهم - كما طلبوا[1] - فتتكلم الأيدي، وتشهد الجوارح والأرجل بما فعلوه وأنكروه.

وينتهي حساب هؤلاء وهم على هذه الحال العجيبة من انعقاد الألسنة وتكلم الجوارح، ولو شاء الله لأبدلهم بها نهايات أخرى أكثر سخرية وأشد استهزاء، فلو شاء

(١) روي عن أنس رضي الله عنه في حديث طويل، ضحك فيه النبي صلى الله عليه وسلم من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة، يقول له: لا أجيز عليّ إلا شاهدا مني من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا... فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلّى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل. راجع صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٨٠.

الله لمسح أعينهم فصاروا عمياً مطموسين، ثم هم مع هذا العمي يتزاحمون على عبور الصراط، ويخبطون خبط العميان حين يتسابقون، فكيف يبصرون طريقهم على هذا الحال؟ ولو شاء الله لغير خلقتهم فبدلهم في مكانهم جماداً لا حركة لهم ولا شعور وأحالهم كالدمى والأصنام لا تمضي ولا تعود.

ولعل هؤلاء وقد انتهوا إلى هذا الحال يحدثون أنفسهم أن لو تركوا في الأرض وامتدت في الدنيا أعمارهم لتجنبوا ما وقعوا فيه من شرور وآثام، ولكن هذا منهم سفه في الرأي، فلو طال عهدهم بالدنيا لصاروا إلى شر يحمدون معه التعجيل بهم، حيث تتبدل قوتهم ضعفاً وشبابهم هرماً وشيباً، وهذا وذاك نكسة في الخلق وردة إلى الطفولة ولكن بغير براءتها المحببة، ويا ويح من أدركته السنون وبدت عليه مخايل الطفولة وهو عجوز ينحدر إلى أرذل العمر فلا تقال له عثرة إلا من عطف ورحمة!.

## من فوائد الآيات:

١ ـ قيام الأموات وبعثهم: أهم ما ينكره الكفار بعد شركهم بالله وتكذيبهم للرسل (عليهم السلام).

٢ ـ يوم القيامة ـ مثل أجل الإنسان ـ لا يتقدم ولا يتأخر عن زمنه المحدد له في علم الله.

٣ ـ صيحة الملك في آخر الزمان هي آخر الدلائل والعلامات لقيام الساعة وفناء البشرية.

٤ ـ استيقان الكفار في الآخرة ما أعرضوا عنه وأنكروه في الدنيا، حيث لا ينفعهم يقينهم إذ صاروا في دار الجزاء.

٥ ـ في يوم القيامة يكون العدل المطلق، والفصل الحق الذي لا يضيع معه جزاء العاملين، ولا يجازى أحد بغير ما عمل.

٦ ـ أهل الجنة يرفلون في نعيم مقيم وكفاية بها لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٧ ـ عهد الله للبشرية بعبادته وعدم عبادة الشيطان: عهد موغل في القدم إلى ما قبل إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ...﴾ (الأعراف/١٧٢).

٨ ـ أعدى أعداء البشرية هو الشيطان، يقعد لهم كل مرصد، ولن ينجو من غوايته إلا عباد الله المخلصون.

٩ ـ جوارح الكفار تنطق يوم القيامة بأعمالهم في الدنيا، حيث تسقط أكاذيبهم، ويؤاخذون بشهادة أبعاضهم وجوارحهم.

١٠ ـ طول العمر مع فساد العقيدة والعمل وبال على صاحبه، وردة تضاعف من شقاء المعمر وبؤسه.

## المناقشــــة

١ ـ بين ـ في إيجاز ـ معاني الكلمات القرآنية التالية: «الوعد، الصيحة، يخصمون، ينسلون، ويلنا، شغل، الأرائك، امتازوا، جبلاً، لطمسنا، لمسخناهم، ننكسه».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وما أظهر أصول العقيدة التي أنكرها الكفار؟ وكيف رد القرآن إنكارهم؟.

٣ ـ «دلت الآيات على مفاجأة الساعة للكافرين» ما مظاهر هذه المفاجأة؟ وماذا تحفظ من الآي القرآني دليلاً على أن يوم القيامة هو يوم الفصل الحق والقضاء العدل؟.

٤ ـ فسر ـ بعبارتك الخاصة: أ) نعيم أهل الجنة ومظاهر تكريمهم؟ ب) عذاب أهل النار ومظاهر إهانتهم؟.

٥ ـ ما الحكمة في ختم الله على أفواه الكفار عند حسابهم واستنطاق جوارحهم؟ وماذا تحفظ من النصوص في ذلك؟.

٦ ـ عرض الله حالين لو شاء لاستبدل أيا منها بحال الكفار في الآخرة، فصل أحد هذين الحالين مبيناً ما فيه من قبح واستهزاء بالكافرين.

٧ ـ لماذا كان امتداد العمر بالكافرين شراً لهم من التعجيل بموتهم؟ وماذا تحفظ من الآيات في ذلك؟

٨ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع واشرح واحدة منها.

## المقطع الخامس

## عرض جديد لموضوعات السورة مع إبراز القدرة الإلهية

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

## أسباب النـزول :

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . . .﴾ إلى آخر السورة.

ذكر المفسرون أن أبيّ بن خلف ـ لعنه الله ـ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: «نعم يميتك ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار» ونزلت هذه الآيات من آخر «يـس»[1].

ويشهـد لما قالـه المفسرون، ما روي عن ابن عباس رضـي الله عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيى هذا الله بعـد ما أرم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم» وعنه أيضاً أن الفاعل والسائل أبو جهل لعنه الله[2].

والأولى أن يكون فعل هؤلاء وسؤالهم مع وقوعه مما تنطبق عليه الآيات وما هو من معناها، حيث يراد بالإنسان في الآية الأولى: كل منكر للبعث أو شاك فيه، أعم من أن يكون واحداً من هؤلاء المذكورين، طبقاً لما عرفناه قبل من قاعدة «العبرة بعموم لفظ الآية لا خصوص سببها».

---

(١) راجع: أسباب النزول ص ٣٨٥، تفسير القرآن العظيم ٣/٥٨١.

(٢) وهذا الذي روي عن المفسرين وابن عباس صحيح كما قال الحاكم راجع: تفسير القرآن العظيم ٣/٥٨١، فتح القدير ٤/٣٨٤.

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
| --- | --- |
| الشعر : | كلام موزون في نظم وقافية، مميز بخيال وتصوير، ونابع عن انفعال وعاطفة، وقد نبغ فيه كثير من العرب. |
| من كان حياً : | المقصود به من كان ذا قلب سليم يقبل الحق ويأبى الباطل . |
| عملت أيدينا : | أبدعنا وخلقنا؛ وإسناد العمل إلى الأيدي : لتأكيد اختصاص الله بالإبداع وتفرده بالخلق . |
| أنعاماً : | الأنعام جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم، وسائر ما يرعى مما يشبهها . |
| مالكون : | يعني صارت ملكاً لهم ومعدودة من جملة أموالهم المنسوبة إليهم . |
| ذللناها لهم : | سخرناها لهم فلا تمتنع مما يريدون بها حتى ذبحهم إياها. |
| وهم لهم جند : | الجند الأنصار والأعوان، وضمير الرفع المبتدأ للمشركين، والمعنى أنهم ينصرون الآلهة ويقومون بها . |
| أو لم ير الإنسان : | الاستفهام للتعجب والإنكار، والألف واللام في الإنسان للجنس . |
| نطفة : | هي اليسير من الماء الذي يكون منه الولد. |
| خصيم : | المخاصم الشديد الخصومة، والكثير الجدل بالباطل . |
| من يحيى : | الاستفهام من المخاصم للإنكار، حيث قاس قدرة الله المطلقة على قدرته المحدودة، فأنكر إحياءه للعظام البالية. |
| رميم : | من رمَّ العظم إذا بَليَ وتفتت، فعيل بمعنى مفعول. |
| أنشأها : | ابتدأها وخلقها من غير شيء . |
| بلى : | حرف جواب مثل نعم، ولكن يجاب به الاستفهام المنفي أو الانكاري الذي بمعنى النفي . |

أمـره : شـأنه في الخلق والإيجاد والتكوين .

مـلكوت : الملك التام لكل شيء في الوجود والسيطرة المطلقة على هذا الوجود .

## المعنى الإجمالي :

يأتي ختام السورة بهذا المقطع الذي تعاد فيه موضوعاتها في عرض جديد، تبرز فيه مظاهر القدرة الإلهية وآثارها المشاهدة للخلق، ويبدأ السياق بالموضوع الأول، وهو موضـوع الـوحي والـرسـالـة، حيث ينفي الله شاعرية محمد صلى الله عليه وسلم واستعداده الفطري لقرض الشعر، فما جبله الله على ذلك ولا يسره له، ثم هو فوق ذلك ما ينبغي له ولا يصح ـ وهو نبي يتلقى ما يتعبد به الخلق ـ أن يكون شاعرا، فالشاعرية من واد والنبوة من واد آخر، وحيث تعتمد الأولى على انفعال البشر وتقلب عواطفهم والتعبير عن ذلك في خيال قد يبعد عن الحق والواقع ـ تقوم النبوة على الحق المتصـل بالله والتلقي المباشر لوحيه، فالشاعرية ـ في مجملها ـ أشواق بشرية تحاول الصعود من الأرض، أما النبوة فهي ـ في صميمها ـ هداية تتنزل من السماء.

ولوضوح هذه الحقيقة جاء تقرير القرآن الكريم لحقيقته حاسماً: إنه نمط من القول غير معهود في العربية، مع أنه من جنس ألفاظها، وما هو إلا ذكر لله تعالى تشتغل به القلوب والألسنة، وهو كتاب من كتبه المنزلة يتلوه ويتعبد به المؤمنون، ولهذا كانت غايته منحصرة في أمرين: أولهمـا إنذار المهديين بتعاليمه الجديرين بأن يكونوا أحياء حقـاً، أما الضالون عن هديه المعدودون في حساب الأموات فغايته معهم تسجيل أحقيتهم بعذاب الله الذي لا يعذب أحداً حتى تبلغه رسالته، ليعلم الناس جميعاً أنهم إزاء هذا القرآن فريقان: فريق يستجيب فهو حيّ، وآخر لا يستجيب فهو ميت وجب عليه عذاب الله، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (الأنعام/٣٦).

ويأتي السياق إلى موضوع الألوهية والتوحيد وقدرة الله، فيستدل لها من واقع ما يرى الناس ويشاهدون، فيستنكر عليهم كيف أنهم لم يروا هذه الأنعام التي خلقها الله لهم فجعلها ذلولاً طائعة لا تستعصي - بعظمتها - عليهم بل يصرفها الصبي بكل وجه ويحبسها عن الخسف الغرير[1]، وتضربها الوليدة بالهراوى فلا غَيَرٌ لديها ولا نكير، ومن وجوه هذا التذليل ركوبهم إياها وأكلهم وشربهم منها، ولهم فوق هذا منافع عديدة لا تحصى، فهلا شكروا الله الذي مكنهم وحده من هذا كله؟ ومنَّ عليهم وحده بهذه النعم؟.

ولكن الناس هم الناس منهم من يستجيب فيحيا ويشكر، وكثير منهم يكفر فلا يشكر، ويتخذ غير الله آلهة يعبدها ويرجو عندها النصرة والعون إن ألم به مكروه أو دهمه أمر من الأمور، ويا لجهل هؤلاء وغبائهم حين يرجون من هؤلاء ما لا يرجى منهم، فكيف لهذه الآلهة الزائفة أن تنصر عابديها وهي من الضعف والهوان بحيث لا تحمى نفسها ولا تدفع ما يراد بها، بل كيف يتأتى لها ذلك وهي التي في حماية عابديها، وهم جنودها الذين يدفعون عنها[2]، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾(الحج /٧٣)،إن أمثال هؤلاء لا فائدة ترجى منهم، فلا تحزن - يا محمد - لعدم إيمانهم ومزاعمهم فيك وفي القرآن، فأمرهم مكشوف لنا في سرهم وعلنهم، وحسابهم علينا فلن يفوتونا أبداً.

ثم يأتي الموضوع الأخير في هذا العرض، البعث والنشور، وإثباته بالأدلة القاطعة التي يجيء في مقدمتها واقع الإنسان الذي يشهد بأنه لم يك شيئاً مذكورا، فخلقه الله من نطفة صغيرة من ماء مهين، ليصير بعد ذلك إنساناً يخاصم ربه ويجادله، ويطلب

---

(١) الخسف: طيش الدابة وهياجها، والغرير: الطفل الصغير غير المجرب.

(٢) العبرة ماثلة هنا في وقوع كثير من الناس في هذا الغباء والجهل حين يخلطون عبادتهم لله بشوائب من الخضوع لقوى أخرى في الأرض يصنعونها بأيديهم ويبتغون عندها ما يبتغي من الله وحده، والحال أنهم هم الذين يقيمون هذه القوى وينصرونها.

منه الدليل على إمكان بعثه بعد موته، وهو يشهد بعينه نشأته تتكرر وتعاد، ولا ينتبه إلى دلالة ذلك على وعد الله ببعثه ونشره، وهكذا ينسى الإنسان خلقه من الماء المهين، ويتعجب أشد العجب، ويسوق المثل البعيد؛ كيف يحيا في خلق جديد وقد صار عظماً بالياً ورفاتاً مفتوتاً؟ ويأتي الرد على هذا العجب والاستنكار سهلاً ملخصاً حقيقة الإعادة، التي ما تحتمل جدلاً ولا تستأهل عجباً ﴿ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ ﴾ فهو العليم بخلقه أولاً وآخرا، ومن قدر على النشأة الأولى قدر على الإعادة ثانياً لا محالة في ذلك.

ويأتي الدليل الثاني في مشهد واقعي من خارج الإنسان، إنه مشهد الشجر الأخضر الممتلىء بالنضرة والماء، والمحتوي في الوقت نفسه على ما يضادها من عناصر النار والاحتراق، فإذا بعضه مولد للنار عند احتكاكه[1]، وإذا كله وقود للنار بعد يبسه ولدونته، فهل إحياء الله للموتى أكثر عجباً من إخراج النار المحرقة من العود النديّ الرطب؟.

أما الدليل الأخير فيأتي في شكل استفهام ينكر على المشركين رفضهم عقيدة البعث، فيحاكمهم إلى عقولهم، ويعرض عليهم الموازنة بين خلق السماوات والأرض مع عظمهما وخلق الإنسان على صغره وهوانه، أيهما أكثر إمكاناً في القدرة وأقرب إلى التحقق والإيجاد في العقل والواقع؟.

وما دام خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فالنتيجة مقررة وواضحة: بلى، هو قادر على خلق مثلهم، فالله الكثير الخلق والعليم بكل شيء لا يعجزه خلق دون خلق، فالكل في محيط قدرته، ولا يحتاج الأمر عنده إلا لمجرد المشيئة والإرادة لتكوين الشيء وإيجاده وأمره للشيء بقوله كن فيكون فما هو إلا أن يكون ويخلق من غير توقف على شيء آخر أصلاً، تنزه الله وتعالى عن العجز والقصور؛ إذ بيده ملكوت

(١) كما هو حال شجرتي المرخ والعفار اللتين إذا احتك عوداهما انقدحت النار منهما وهما أخضران، فتح القدير ٣٨٣/٤.

كل شيء وله القدرة التامة والسيطرة المطلقة على جميع الخلق يقبضهم إليه، ثم يعيدهم ويرجعهم في الآخرة، فإليه وحده مرجع الخلق ومصيرهم.

## من فوائد الآيات:

١ - لا بأس من إعادة عرض القضايا والموضوعات وتلخيصها، تذكيراً للسامع والقارىء وتأكيداً للمعنى في نفسيهما.

٢ - في نفي الشاعرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وامتناع قرضه للشعر: أبلغ رد على من وصفوا القرآن الكريم بالشعر.

٣ - في مقابلة الحياة بالكفر: دليل على أن المؤمن هو الجدير بالحياة، وأن الكافر لا حياة له بل هو في عداد الموتى حقيقة.

٤ - أن دلائل وحدانية الله وقدرته في القرآن قريبة ويسيرة؛ لأنها من واقع الإنسان ومظاهر الخلق من حوله.

٥ - من أجلّ نعم الله على الناس المستوجبة شكرهم له خلق الأنعام وتذليلها لينتفعوا بها في حياتهم.

٦ - فساد عقول المشركين في عبادتهم آلهة من صنعهم، وطغاة يبتغون نصرهم وهم من صنعتهم.

٧ - جواز ضرب المثل لتوضيح حقيقة خفيت، أو استدلال بوقوع شيء على وقوع شبيهه ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرعد/١٧).

٨ - اختزان الشجر الأخضر لطاقات حرارية تولد النار بعد يبوسه، بل مع خضرة بعضه، وسبحان من ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه/٥٠).

٩ - من تعلقت قدرته بخلق عظائم الأمور وأخطرها، لا يشك عاقل في تعلقها بخلق ما دونها[١].

---

(١) وإن كان الجليل الخطير والهين اليسير من الأمور سواء في قدرة الله، إنما يقرب الله الأمور للبشر ليدركوها بعقولهم قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الروم/٢٧).

## المناقشـــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «الشعر، عملت أيدينا، ذللنا، نطفة، خصيم، رميم، ملكوت».

٢ ـ ما المـوضـوعات البارزة في سورة «يـس»؟ وما الحكمة في إعادة عرضها بآخر السورة؟ اذكر أمثلة على ذلك؟.

٣ ـ ما الفروق المهمة بين الشاعرية والنبوة؟ ولم لا ينبغي لنبي أن يكون شاعراً؟ وما المقصود بنفي الشاعرية عن محمد صلى الله عليه وسلم؟.

٤ ـ ما المعنى في حصر أوصاف القرآن في أنه «ذكر وقرآن»؟ وما الغاية من نزوله؟ وما فائدة مقابلة الحياة بالكفر؟.

٥ ـ ما طبيعـة أدلـة القـرآن الكريم على وحدانية الله وقدرته؟ وهل يجوز في مجال العقيدة: أ) ضرب الأمثال؟ ب) قياس الشبيه على الشبيه؟ استدل على ما تقول بما تحفظ من الآيات القرآنية؟.

٦ ـ ما وجـوه تسخـير الله الأنعـام للإنسـان؟ ومـا وجـه دلالة ذلك على قدرة الله ووحدانيته؟ وما واجب هذا التسخير؟.

٧ ـ يكشف انحراف المشركين عن توحيد الله عن جهلهم وغبائهم، اشرح ـ في إيجاز ـ كيف قرر القرآن هذه الحقيقة؟.

٨ ـ استدل القرآن على بعث الإنسان بدليلين من ذاته ومن خارجه، وضح هذين الدليلين مستشهداً بما تحفظ من القرآن الكريم؟.

٩ ـ «حاكم القرآن الناس إلى عقولهم في قضية البعث» ما وسيلة القرآن في ذلك؟ وهل يقترن تعلق قدرة الخالق بشيء دون آخر من الخلق؟.

١٠ ـ اذكر أربع فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني، وفصل القول في واحدة منها؟.



# تفسير سورة «الصافات»

## بين يدي السورة

### ( أ ) اسم السورة

اسمها «الصافات» أخذاً من أبرز لفظ في السورة أقسم الله به في أولها، ولا يعرف لها اسم آخر غيره، وقد وردت هذه التسمية على لسان بعض الصحابة[1]، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات[2].

### (ب) تنزلات السورة ومكيتها

نزلت سورة الصافات بعد سورة الأنعام، وتأتي في المرتبة السادسة والخمسين من حيث نزول سور القرآن الكريم، على حين يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة السابعة والثلاثين.

وقد نقل القرطبي إجماع العلماء على مكية السورة، ويدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بمكة[3]، وعدد آياتها ثنتان وثمانون ومائة آية[4].

---

(١) جاءت تسمية هذه السورة ـ وغيرها من السور التي لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وفق ما جرت عليه عادة العرب في تسمية الشيء أخذاً من مستغرب يكون فيه أو صفة تخصه، ويكون معها أسبق لإدراك الرائي والسامع؛ البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه النسائي والبيهقي وذكره ابن كثير والشوكاني انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢، وفتح القدير ٤/٣٨٥.

(٣) راجع : الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٦١، فتح القدير ٤/٣٨٥، روح المعاني ٢٢/ ٦٤.

(٤) فيما عدّه المدنيون والكوفيون، وعددها عند البصريين وأبي جعفر من الكوفيين إحدى وثمانون ومائة آية، راجع: التبصرة ص ٤٨٣، غيث النفع ص ٣٣٤.

## (جـ) أهم موضوعات السورة:

تهدف هذه السورة - كسائر السور المكية - إلى بناء العقيدة الصحيحة في النفوس، وتخليصها من الشرك وأشكاله، وتركز على صورة منه بعينها كانت سائدة في بيئة العرب الأولى.

١ - فهي تعرض في موضوعها الرئيسى لهذه الصورة من الشرك، وتقرر خرافيتها فيما زعمته من وجود قرابة بين الله والجن، وأن الملائكة ثمار تلك القرابة والعلاقة، وتتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى.

٢ - فتعرض قضية التوحيد والاستدلال لها بمشاهد كونية.

٣ - وتعرض لقضية البعث مع مشهد مطول من الآخرة، تعرض فيه مصائر المكذبين والمؤمنين وجزاؤهم.

٤ - وتعرض لقضية الوحي والرسالة من خلال اتهام المشركين للرسول بالشعر والجنون ورد الله عليهم.

٥ - ثم تعرض السورة لأطراف منوعة من قصص الأنبياء مع مواقف أقوامهم من دعواتهم وعواقبهم.

٦ - وتبرز بين هذه القصص قصة أبي الأنبياء إبراهيم مع ولده الذبيح إسماعيل عليهما السلام وعظمة الإسلام لله والتضحية عندهما في سياق لم يعرض في غير هذه السورة من القرآن الكريم.

٧ - ويصحب عرض هذه الموضوعات مؤثرات ومشاهد منوعة تعمق معانيها في النفوس، أ) كمشهد السماء الدنيا وكواكبها، ب) ومشهد القيامة وما فيها من نزل الظالمين، والشجرة التي تخرج في أصل الجحيم ويشبه طلعها رؤوس الشياطين، جـ) ثم نشر الصفحات المطوية في بطون التاريخ لإبراز عِبَر القرون والماضين.

## المقطع الأول

## وحدانية الله وحفظه تعالى للملأ الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) ﴾

### معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| والصافات : | الواو للقسم، والصافات جماعات الملائكة المصطفات، في السماء كصفوف المصلين والمجاهدين، انتظاراً لأمر الله[1]، وجواب القسم قوله تعالى بعد: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾. |
| فالزاجرات : | الزجر الدفع بقوة، ويستعمل في المنع والنهي عن الشيء، والمراد جماعات الملائكة التي تزجر العباد عن المعاصي، وتزجر الشياطين، وتزجر السحب وتسوقها . |

(١) هذا هو الأولى من معانيها، وهو الملائم لسياق السورة وموضوعها البارز فيها، وكذا يراد بالزاجرات والتاليات بعد.

فالتاليات : التلاوة القراءة في تتابع، والمراد الملائكة التي تتلو القرآن، وتجيء بالكتب من عند الله .

رب السماوات : رب كل شيء القائم على أمره المتصرف فيه، ولا يعرف منه عند الإطلاق غير الله تعالى، فإذا أريد به غيره لزمته الإضافة إلى الشيء، كرب البيت، ورب السيف والقلم .

المشارق : مواضع شروق الشمس المتعددة بتعدد أيام السنة، وتفاوتها طولاً وقصراً[1]، فهو رب المشارق ورب المغارب[2] .

السماء الدنيا : السماء كل ما علاك فأظلك؛ والمراد: ما يشاهد حاويا النجوم والكواكب، والدنيا القريبة من الأرض مؤنث الأدنى .

الكواكب : الأجرام التي تظهر في السماء الدنيا مع مغيب الشمس لامعة براقة .

شيطان مارد : المارد العاتي المتمرد على الطاعة المتعري عن الخير، ومنه الغصن الأمرد العريّ عن الورق .

الملأ الأعلى : الملأ الجماعة المجتمعة على الشيء والقائمة به، فهم يملأون العين والقلب، والمراد بالملأ الأعلى أهل السماء الدنيا فما فوقها من الملائكة، فهم أعلون بالنسبة إلى ملإ الأرض.

يقذفون من كل جانب: يرجمون من جميع جوانبهم ومن كل الإتجاهات، وقد كانوا قبل البعثة يرمون من بعض الجوانب والاتجاهات .

دحورا : مطرودين مبعدين من الدحر وهو الطرد والإبعاد.

واصب : دائم لا ينقطع، والمراد به عذاب الآخرة قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (الملك/٥).

---

(١) هو هذا المتبادر، ويجوز أن يكون المراد بها مشارق سائر النجوم والكواكب في جوانب السماوات الفسيحة .

(٢) اكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليها، وقد صرح بذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج/٤٠)، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن/١٧)، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (المزمل/٩).

إلا من خطف الخطفة : الخطف اختلاس الشيء بسرعة، والمراد هنا إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي العلمة فيسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها والاستثناء إما منقطع عما قبله لبيان حال المختلسة منهم أو متصل بقوله : ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ .

شهاب ثاقب : الشهاب الشعلة من النار المتقدة، ووصفه بالثاقب لشدة إضاءته، أو لثقبه ما ينزل عليه .

## المعنى الإجمالي :

تبدأ السورة بإبطال عقيدة عبادة الملائكة، والزعم أنهن بنات الله من نسب بينه وبين الجنة، وتعرض الآيات جوانب هذه الخرافة كيما تقتلعها من جذورها؛ إذ يقسم الله بطوائف وأصناف من الملائكة على تأكيد وحدانيته تعالى، فهو وحده المستحق للعبادة والتفرد بها، لأنه لا ثاني له ولا شريك، ولا صاحبة له ولا ولد.

ويذكر الله هنا طوائف الملائكة بصفاتها وأعمالها التعبدية، التي تنأى بها عن مقام الألوهية الذي زعم لها، وتسلكها في مقام العبودية لله وحده، فهي متجردة لعبادته لا تفتر عن ذلك، فمنها التي تصطف صفوفاً منتظمة في عبادتها[1]، ومنها التي تزجر من يستحق الزجر من العباد والخلق لا تكلّ من ذلك أو تملّ، ومنها التي تدأب في ذكر الله وتتلو آياته ووحيه، وزيادة في تأكيد وحدانية الله المقسم عليها يعرف الله عباده بنفسه، فهو مالك السماوات والأرض وما بينهما من الخلائق، وهو المدبر لشئون ذلك الملكوت

(١) روي عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا تُصفُّون كما تُصفُّ الملائكة عند ربها؟ فقلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف . . ، وروى حذيفة عنه صلى الله عليه وسلم قال: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً» صحيح مسلم كتاب الصلاة والمساجد ١/٣٢٢، ٣٧١.

الهائل، وهو رب المشارق لكل النجوم والكواكب المتصرف فيها بحكمته وتقديره.

ويؤكد سياق الآيات أن خلق الله لهذه الكواكب ذات المشارق والمغارب - فوق ماله من الأهمية في الاستدلال على وحدانيته تعالى وقدرته فهي زينة للسماء القريبة من أهل الأرض وتحسينها في أعين الناظرين إليها[1]، وحافظة للسماء من الشياطين المتمردين على طاعة الله، ومانعة لهم من التسمع إلى ما يدور في الملأ الأعلى، وكلما حاولت الشياطين ذلك تلقفتهم رجوم الكواكب وانصبت عليهم شهبها، كالرماح من كل الاتجاهات تدحرهم دحراً وتبعدهم عن السماء وما يدور فيها، ثم لهم فوق هذا الرجم في الدنيا عذاب دائم في الآخرة، وقد يتمكن شيطان في اختلاس خبر مما تتحدث به الملائكة ليلقي به إلى أهل الأرض فسرعان ما يلحقه الشهاب الثاقب فلا يدعه حتى يحرقه حرقاً.

وهكذا يطلعنا الله على مكانة هذه الشياطين ومصائر مردة الجن، الذين يزعم لهم أن بينهم وبين الله نسبا، ولو كان شيء من هذا صحيحاً ما كانت هذه مكانتهم ولا هذا مصيرهم[2].

## من فوائد الآيات:

١ - إقسام الله تعالى بشيء من مخلوقاته، إظهاراً لعظمة هذا الشيء وبياناً لجميل صنع الله به.

---

(١) تلألؤ الكواكب النيرة في ذاتها زينة وانتشارها في مواضعها في السماء زينة أخرى، ثم هي في تناسب حركاتها وانضباطها زينة ثالثة للدارسين والمفكرين في حسابها، ونظرة واحدة إلى السماء كافية في الدلالة على قصد الجمال والزينة في تكوين الخلق حيث أجمل مشهد تقع عليه ولا تمل النظر إليه ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ (الحجر/١٦).

(٢) حفظ الكواكب للسماء من تسمع الشياطين ورجمهم بالشهب، واختلاس بعضهم شيئاً من خبر ما يجري في العالم السفلي، وملاحقتهم بالشهب المحرقة.. أكثر ذلك من الغيب الذي تعجز الطبيعة البشرية عن تصور حقيقته ويكفينا التصديق بما أخبر الله عنه في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (الشعراء/٢١٠ - ٢١٢)، ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ (الجن/٨ - ٩).

٢ - وحدة الله في ألوهيته ووحدته في ربوبيته ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾.

٣ - خلوص الملائكة وتجردها لمقام العبودية لله، فلا هم بنات الله، ولا هم شركاء له في الألوهية.

٤ - تعدد مشارق ومغارب الشمس وسائر النجوم والكواكب حسب وضع الأرض قبالة أيّ منها، وهي حقيقة أخبرنا الله بها.

٥ - إتقان الصنع في تسيير ملكوت السماوات والأرض، والتقدير الدقيق في توالي المشارق والمغارب وهو أوضح دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (النمل/٨٨).

٦ - للكواكب والنجوم وظائف عديدة أعلمنا الله بعضها كزينتها للسماء ورجوماً للشياطين، والاهتداء بها في الظلام.

٧ - الجَمالُ في صنع الله تعالى والزينة في خلقه، من الأمور التي ترشد الشريعة إليها وتشير النصوص الكثيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ (الأعراف/٣٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال»[1].

٨ - أن عوالم الغيب لا يسعنا معها إلا التسليم والتصديق بالأخبار الصحيحة عنها.

٩ - إن محاولات استراق الشياطين للسمع ما زالت قائمة، وإن أصبحت فاشلة تجلب لأصحابها الطرد والعذاب.

١٠ - قصور الشياطين ومردة الجن عن إدراك شيء مما يجري في الملأ الأعلى؛ إذ ليست لهم بالله قرابة ولا بينهم وبينه نسب.

---

(١) أخرجه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه راجع: الصحيح - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣.

## المناقشــــة

١ ـ اذكر ما تعرفه عن سورة الصافات من حيث: أ) اسمها، ب) ترتيبها بين السور القرآنية، جـ) عدد آياتها، د) أبرز موضوعاتها، هـ) الموضوع الأساسي فيها.

٢ ـ اذكر ما تعرفه من المؤثرات والمشاهد التي صحبت موضوعات السورة، وبين أثر واحد منها في نفسك مع تلاوة آياته؟.

٣ ـ بين معاني الكلمات القرآنية التالية: «رب، المشارق، الكواكب، مارد، الملأ، دحوراً، واصب، شهاب».

٤ ـ ما الحكمة من قسم الله تعالى بـ«الصافات، الزاجرات، التاليات»؟ وما المراد بها؟ وأين جواب القسم؟.

٥ ـ «عرض هذا المقطع لوحدانية الله وأبطلت آياته صورة من الشرك كانت سائدة» وضح هذه العبارة؟.

٦ ـ قال تعـــالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾ وضح معنى هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ (المزمل/٩)، ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (الرحمن/١٧)؟.

٧ ـ ماذا ذكرت الآيات من وظائف الكواكب؟ وما الفائدة من هذه الوظائف؟ وما وجوه الزينة في الكواكب؟.

٨ ـ ما حدود اتصال الشياطين بالملأ الأعلى؟ وما معنى الاستثناء في الآيات؟ وماذا تحفظ من الآيات في ذلك؟.

٩ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني، مع تفصيل واحدة منها.

# المقطع الثاني

## إثبات البعث وجدال المشركين حوله

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

### معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
| --- | --- |
| فاستفتهم : | الاستفتاء طلب الفتيا والسؤال عن شيء ما، والمراد: اسأل الكفار والمشركين المنكرين للبعث. |
| أهم أشد خلقاً : | الاستفهام للتقرير والاستنكار[1]، وأشد خلقاً: أعظم وأقوى إيجادا وأحكم صنعة . |
| أم مّن خلقنا : | المراد بالموصول المبهم «مَن» ما تقدم من خلق الملائكة والسماوات والأرض والكواكب والشياطين . |

(١) تقرير جواب السؤال من مفهومه واستنكار موقفهم من البعث ورفض التصديق به .

طين لازب : الطين اللزج الملتصق بعضه ببعض والشديد التماسك .

بل عجبت : بل للإضراب والانتقال من أسلوب إلى آخر، والخطاب في «عجبت» لمحمد صلى الله عليه وسلم .

ويسخرون : الواو للحال، والمعنى عجبتَ وهم يستهزئون من تعجبك وما تقوله من إثبات البعث والمعاد .

يستسخرون : يبالغون في السخرية ويستدعونها من بعضهم متضاحكين مستهزئين .

أئذا متنا. . : أإنا لمبعوثون. } الاستفهام فيهما للإنكار، تقديره: أنبعث إذا متنا؟ والمعنى ننكر بعثنا بعد موتنا .

داخرون : صاغرون أذلاء أمام قدرة الله البالغة أشد ما يكون الصغار والذل .

ينظرون : يعاينون ما كانوا يوعدون من قيام الساعة والحساب والجزاء .

يوم الدين : يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، قالوه تعليلاً منهم لدعائهم بالويل على أنفسهم .

يوم الفصل : يوم الحكم والقضاء الذي يفرق فيه بين المحسن والمسيء، ويقضى فيه بين أهل الجنة والنار.

## المعنى الإجمالي:

يتوجه هذا المقطع إلى مناقشة المشركين والكفار في أظهر ما أنكروه من العقائد، وهو بعث الأموات، كيما يلزمهم الحجة بعد أن جادلوا في هذا الموضوع طويلاً، ويبدأ إلـزام هؤلاء بمحاكمتهم إلى عقولهم، ودعوتهم إلى التفكير والنظر في مخلوقات الله العظيمة التي ذكرت لهم من قبل، كالملائكة والسماوات والأرض وما بينهما، وما إذا كان خلقهم أحكم صنعاً وإيجادهم أشق وأصعب من خلق وإيجاد هذه

المخلوقات[١]؟، وجواب العقل هنا واضح لا يحتمل مكابرة أو مداورة ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ..﴾ (غافر/٥٧) فأين هم مع ضعفهم من هذه الخلائق العظيمة؟!، وكيف يكون الأمر على خلاف ما قرر الوحي والعقل وقد خلقهم الله ـ منذ أبيهم آدم ـ من الطين اللزج الضعيف الذي لا يصلح للحياة؟ فهل إعادة نشأتهم من مثل هذا التراب أكثر غرابة من نشأتهم الأولى من هذا التراب[٢]؟.

أليس ذلك مدعاة للعجب والدهشة؟ ومن ثم يضرب سياق الآيات عن استفتائهم، ويقرر عجب الرسول صلى الله عليه وسلم ودهشته من إنكارهم للبعث وهزئهم من عجبه هذا، وسخريتهم مما يريهم من الآيات والدلائل حتى طبع على قلوبهم، فلم تفلح معهم موعظة أو يجدي معهم تذكير، وكيف يذكرون وإذا هم تلقوا آية بينة تفضح إنكارهم، قابلوها بسخرية شديدة، تداولوها فيما بينهم، واستدعوها من بعضهم بعضاً؟

ويوضح السياق لوناً من هذه السخرية الشديدة، فما هذا الذي يأتيهم به محمد ـ في نظرهم ـ إلا حيل سحرية وخُدعٌ بينة، وهل نبعث حقاً إذا صرنا تراباً وعظاماً بالية نخرة كما يزعم ويدّعي؟ أو يبعث آباؤنا الأولون كذلك، وقد مضت عليهم السنون وأكلتهم الدهور؟ يا للغرابة والعجب!!، إن هذا إلا إحدى الكبر

لقد غفل هؤلاء ـ أو تغافلوا ـ عن خلق الأكوان من حولهم، بل غفلوا عن خلقهم من طين لازب، ووقفوا يتعجبون أن يعادوا وآباؤهم، ويبعثوا بعد موتهم، أو ليس موقفهم هذا هو الحقيق بالعجب والأولى بالغرابة؟، ولهذا يجيء توجيه الله لرسوله

---

(١) من المعلوم أن هذا الإلزام قائم على حكم العقل المحض، حيث إن إيجاد الخلائق كلها لا علاقة له بعظمها أو صغرها، إنما هو متعلق بإرادة الله الكونية ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس/٨٢) راجع تفسير الآية في موضعه.

(٢) تشير الآية الكريمة إلى الأصل المادي الأول لخلق الإنسان المقرر في آيات كثيرة من القرآن الكريم، والذي لا يتعارض مع تكوين الإنسان ونشأته بالتزاوج والتناسل.

صلى الله عليه وسلم ألا يجادلهم في هذا الأمر، بل يجيبهم بكلمة واحدة لا تزيد، تبكيتاً لهم وتحسيراً لأنفسهم، نعم، نعم تبعثون وآباؤكم وأنتم في أسوأ حال من الصغار والذلة والهوان، فهذا أمر يسير على الله تعالى، وما هو إلا أن ينفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة حتى يهب الخلق من مراقدهم قياماً ينظرون، ويتلقى المشركون منهم والكفار ما يستحقونه، من الزجر والعذاب الذي لا يملكون معه غير الاعتراف بالحقيقة التي أنكروها طويلاً واستدعاء هلاكهم وثبورهم، فقد حل بهم موعد الجزاء والحساب، ولا مفر من معاقبتهم كما توعدهم الرسل من قبل.

وبينما هم غارقون في دهشتهم ومباغتتهم بالبعث، موقنون بحقيقة قيامهم وعقابهم ـ يناديهم الملائكة والمؤمنون موبخين لهم: نعم، هذا يوم الفصل الحق والقضاء العدل، فنالوا عقابكم وجزاءكم، فلن ينفعكم إيمانكم اليوم في دار الجزاء والبقاء وقد كذبتم بها في دار العمل والفناء، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ (١٥٧) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

(الأنعام/١٥٧ ـ ١٥٨).

## من فوائد الآيات:

١ ـ جواز الاحتكام في العقائد إلى العقل المجرد عن الهوى إذا كان المخاصم لا يؤمن بالوحي وما جاءت به الرسل منها.

٢ ـ توجيه القرآن أنظار الناس إلى آيات الله في الكون والنفس، للإستدلال بالمشاهد منها على الغيب المقدر في علم الله.

٣ ـ أصل الإنسان من الطين، وعناصره ومواده المكونة لجسمه، لا تخرج عن عناصر ومواد هذا الطين اللازب.

٤ ـ من دلائل البعث الكبرى وإحياء الأموات من التراب خلقهم الأول من هذا

التراب، قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه/٥٥).

٥ - تعلق القدرة الإلهية بخلق عظائم الأمور كالسماوات والأرضين، ملزم في العقل بتعلقها بخلق ما دونها من المخلوقات.

٦ - عناد الكفار والملحدين وإنكارهم للعقائد يطبع على قلوبهم فلا تنفعهم الذكرى ولا تجدي فيهم موعظة.

٧ - تيقن المشركين والكفار يوم القيامة لحقيقة ما أنكروه في الدنيا من أمور الآخرة حيث لا ينفعهم يقينهم.

## المناقشـــة

١ ـ وضـح معـاني الكلمات القـرآنية التـالية: «فـاستفتهم، لازب، داخـرون، يستسخرون، ويلنا، يوم الفصل».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ ولم اشتد رفض المشركين له؟ وما شبهتهم في ذلك؟ وماذا تعرف من دلائل البعث؟.

٣ ـ «بـل عجبتَ ويسخـرون» مَن المتعجِّب؟ ومن أيّ شيء كان عجبـه؟ ومَن الساخرون؟ ومن أيّ شيء كانت سخريتهم؟.

٤ ـ «وقالوا إن هذا إلا سحر مبين» مَن القائلون؟ وما الذي اعتقدوا أنه سحر مبين؟

٥ ـ «بالغ المشركون في السخرية بآيات الله ودلائله» اشرح صورة من استسخارهم، عرفتها في هذا المقطع القرآني؟.

٦ ـ ماذا عرفت ـ في هذا المقطع ـ من أحوال المشركين بعد بعثهم؟ ولم لا ينفعهم إيمانهم حينئذ؟ وماذا تحفظ في ذلك؟

٧ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني مع شرح واحدة منها.

# المقطع الثالث

## في مشهد مطول من اليوم الآخر

### أولا : سؤال المشركين وتلاومهم مع معبوديهم

﴿ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| احشروا : | اجمعوا، أمر من الله للملائكة. |
| الذين ظلموا : | أشركوا بالله فظلموا بشركهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣) حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، وهذا هو الظلم. |
| وأزواجهم : | أشباههم في الشرك وعبادة غير الله، وأتباعهم في الكفر المشايعون لهم في تكذيب الرسل (عليهم السلام). |
| ما كانوا يعبدون : | ما اسم موصول مبهم، والمراد به: المعبودون الذين عبدهم المشركون والكفار[1].. |
| فاهدوهم : | ارشدوهم، ودلوهم. |
| قفوهم : | احبسوهم عند الصراط في موقف الحساب. |
| مسئولون : | مضمون سؤالهم ما ذكر بعد في قوله: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾؛ لأنهم سئلوا عن عقائدهم وأعمالهم من قبل. |
| لا تناصرون : | لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا، وكما قلتم من قبل: ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ (القمر/٤٤). |
| مستسلمون : | منقادون لأمر الله وخاضعون له، أصله من الاستسلام وطلب السلامة. |
| يتساءلون : | يسأل الأتباع والرؤساء بعضهم بعضا، في تخاصم وتلاوم وتقريع وتوبيخ. |
| عن اليمين : | أي بالقدرة والقهر منكم لنا؛ لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء[2]. |

(١) هذا من العام المخصوص، فلا يعترض عليه بعبادة بعضهم الملائكة، وبعضهم المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء/١٠١).

(٢) للمفسرين أقوال كثيرة في تفسير اليمين، كالقوة والحق والخير والجهة، وما اخترناه هو المروي عن ابن عباس رضي

سلطان : قوة وقهر، وقيل: حجة وبرهان.

طاغين : متجاوزين للحق لا تقفون عند حدّ.

أغويناكم : دعوناكم إلى الغيّ والضلال، وزينا لكم ما كنتم فيه من الكفر.

بالمجرمين : أهل الإجرام، وهم المشركون الذين استكبروا على التوحيد وقبوله.

يستكبرون : يستعلون ويترفعون، من الاستكبار وهو النفرة والأنفة والإعراض والتكبر.

إلا عباد الله : الاستثناء إما متصل من ضمير الجمع في تجزون على عمومية الخطاب، وإما منقطع يعني: لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب.

المخلصين : بفتح اللام الذين أخلصهم الله لطاعته، ووفقهم وهداهم لتوحيده وعبادته.

## المعنى الإجمالي :

يبدأ هذا المقطع بأمر الله للملائكته ـ والخلق في ساحة القضاء والحساب ـ أن يجمعوا الظلمة من المشركين وما يقارنهم في ظلمهم مع معبوديهم من الأصنام والشياطين والطواغيت في صعيد واحد، ليرشدوهم جميعاً ويهدوهم إلى طريق جهنم، ويالها من هداية خير منها الضلال، وإذ لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم.

ويجيء الأمر الثاني للملائكة باحتجاز هؤلاء جميعاً وحبسهم في الموقف، ليزاد في إهانتهم وإيلامهم، ويسألون في تهكم وتقريع: لم لا ينصر بعضهم بعضا في هذا الموقف الحرج، وهم أحوج ما يكونون إلى النصرة، وقد كانوا يزعمون نصرتهم في

---

الله عنها، وهو الأولى لما جاء في رد الرؤساء ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ (الصافات/٩٣) أي بيده اليمنى لأنها أشد وأنكى.

اجتماعهم؟ ولا يحتاج الأمر إلى إجابة، لأنهم منقادون جميعاً ـ عابدين ومعبودين ـ إلى مصيرهم السيء لا ينازعون في ذلك، بل هم مستسلمون تماماً لنهايتهم الوخيمة، وهنا ينحى الأتباع والرؤساء باللائمة بعضهم على بعض، ويتبادلون الاتهامات، حيث يلقي الأولون تبعة ضلالهم على رؤسائهم؛ إذ كانت لهم اليد والقوة عليهم، وكانوا أصحاب الأمر والنهي المطاعين فيهم، ويسرع الرؤساء برد هذه الاتهامات ملقين التبعة على أتباعهم ومقررين: أنكم ما كنتم مؤمنين من قبل، كما لم تكن لنا من قوة أو غلبة نقهركم بها ونجبركم على الكفر، إنما كان كفركم اختيارا محضاً لكم؛ إذ كنتم متجاوزين الحد فيما تحبون وفيما تكرهون، فكرهتم الإيمان وأحببتم الكفر والعصيان، فاستأهلتم بذلك ما أنتم فيه اليوم، ووجب علينا وإياكم وعد ربنا بالعذاب، وقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

(السجدة/١٣).

وينتهي موقف التلاوم هذا بتحديد الرؤساء لدورهم في إضلال الأتباع، حيث لم يكن منهم إلا مجرد غوايتهم عن الهدى، ولا لوم عليهم في ذلك؛ إذ كانت الغواية وظيفتهم، إنما اللوم على اختيار الأتباع واستحبابهم العمى على الهدى، ولما كان هؤلاء وأولئك قد اشتركوا في الضلال والغواية، فقد أخبر الله عن اشتراكهم في العذاب، وأن هذا العذاب لا يخصهم وحدهم، وإنما يتعداهم إلى من استن سنتهم في الإجرام والشرك، ونهج نهجهم في الغواية والإضلال.

وهنا يطلعنا الله على بعض أفعالهم التي استحقوا بها هذا المصير، إنهم كانوا ينفرون من التوحيد، ويأنفون من قول: لا إله إلا الله ـ تكبراً منهم واستعلاء ـ ويكذّبون الرسول صلى الله عليه وسلم، متهمين إياه بالشاعرية والجنون، فكيف لهم ـ كما يقولون ـ أن يتركوا عبادة آلهتهم التي ورثوها عن آبائهم لقول شاعر يخلط ويهذي؟، ولكن الله تعالى يرد على استفسارهم مكذِّباً لهم، فما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بالحق الذي لا شك فيه من التوحيد والبعث، وسائر العقائد التي جاء بها

الرسل السابقون، فكان لهم مصدقاً ولنهجهم متبعاً، فكيف يكون من هذه حاله شاعراً أو مجنوناً؟.

وينتهي هذا المقطع بتسجيل العذاب لهؤلاء الكفار الضالين، وتأكيد تذوقهم له بما أشركوا بالله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وهكذا يجيء عذابهم في الآخرة بسبب أعمالهم في الدنيا ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (آل عمران /١١٧)، ويا حسرة هؤلاء، حين يعلمهم الله أن ليست هذه نهاية وعاقبة عباد الله المخلصين، الذين أخلصوا له التوحيد وجردوا أنفسهم لعبادته، وصدقوا رسوله صلى الله عليه وسلم مما استحقوا به عاقبتهم الحميدة التي تعرضها الآيات التالية.

## من فوائد الآيات:

١ ـ يحشر المشركون والظلمة مع معبوديهم، وما يشاكلهم في شركهم وظلمهم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الأنبياء/٩٨).

٢ ـ افتقاد الكفار والمشركين النصير والعون في الآخرة ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس/٣٧).

٣ ـ تلاوم الكفار وتلاحيهم مع معبوديهم، وتنصلهم في الآخرة من تبعات أعمالهم وظلمهم في الدنيا.

٤ ـ اقتسام المشركين ومعبوديهم للعذاب في الآخرة، واشتراكهم فيه، كما اشتركوا في الدنيا بضلالهم وإضلالهم.

٥ ـ أن عذاب المشركين في الآخرة سببه استكبارهم عن التوحيد في الدنيا وتكذيبهم الرسول ﷺ، وكما يشترك معهم فيه من عبدوهم ـ يتجرعه كذلك من نهج نهجهم وسلك طريقهم.

٦ ـ تفسير لا إله إلا الله، وأن معناها عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

## المناقشة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «احشروا، اهدوهم، قفوهم، اليمين، سلطان، أغويناكم».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ ومن الذين ظلموا؟ وما المراد بأزواجهم؟ ومن المأمور بحشرهم جميعاً؟ ولماذا؟.

٣ ـ «تفيد الآيات إدخال المشركين ومعبوديهم جهنم» كيف يكون ذلك وقد عبد المشركون الملائكة، والنصارى عيسى؟.

٤ ـ اشرح ـ بإيجاز ـ تلاوم المشركين مع معبوديهم كما فهمته في هذا المقطع مبيناً:
أ) اتهام الأتباع للمتبوعين، ب) رد المتبوعين عليهم، جـ) دور المتبوعين في إضلال التابعين؟.

٥ ـ ما شبهة المشركين في إعراضهم عن التوحيد؟ وبماذا رد الله شبهتهم؟ وما سبب استحقاقهم العذاب في الآخرة؟.

٦ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني مع شرح واحدة منها؟.



## المقطع الرابع

### في مشهد مطول من اليوم الآخر
### ثانيا: نعيم أهل الجنة ومسامراتهم

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| رزق معلوم : | ما يعطونه في الجنة، وهو معلوم بطيبه وعدم انقطاعه، يدل عليه تفسيره بقوله : «فواكه وهم مكرمون» . |
| فواكـه : | ما يتلذذ به من ثمار الأشجار، وخصت بالذكر لأنها أطيب ما يأكلون ومن أتباع الأطعمة، فذكرها مغن عن ذكر غيرها . |
| بكأس : | الكأس إناء الشراب والمراد به هنا خمر الجنة . |
| من معين : | من شراب الجنـة الـذي يجري جريان عيون الماء على وجه الأرض وظهوره للأعين . |
| بيضاء لـذة : | طيبة لذيذة الطعم، كما هي طيبة اللون والريح . |
| غـول : | الغول وجع البطن وصداع الرأس من فساد مطعم أو مشرب . |
| ينزفون : | يسكرون، يعني أنها لا تذهب بعقولهم، وأصل النزف نزع الشيء وإذهابه بالتدريج . |
| قاصرات الطرف : | الـطرف النـظر، وقصره منهن حبسه على أزواجهن، والمراد أنهن عفيفات فلا ينظرن إلى غير أصحابهن . |
| عيـن : | جمع عيناء، وهي حسناء العين واسعتها من النسوة الحور النجلاوات . |
| مكنـون : | شبههن ببـاطن البيض داخـل القشرة، والمـراد أن لونهن البياض المشوب بصفرة وهو أحسن ألوان النساء . |
| قريـن : | خليل وصاحب ملازم . |
| المصدِّقين : | متعلق التصديق مفهوم مما بعده يعني : هل أنت من المصدّقين بالبعث والآخرة؟ . |

لمدينـون : لمجزيون ومحاسـبون .

مطلعون : ناظرون ومشرفون على النار لتروا ما فيها .

سواء الجحيم : وسط الجحيم، وسواء كل شيء وسـطه .

لتردين : أي لتهلكني بوسوستك وإغوائك، من الإرداء وهو الإهلاك .

نعمة ربي : فضله عليّ وهدايته إياي، وعصمته لي من الإغواء والإضلال .

المحضَرين : الـذين أحضروا العـذاب، ومعمـول الإحضـار مفهوم من السياق يعني معك في النار، فهو من الإحضار الذي يستعمل في الشر .

موتتنا الأولى : يعني التي مضت في الدنيا، ولا ثانية تليها إنما هو خلودهم في نعيم الجنة .

الفـوز : الظفر بكل خير، والنجاة من كل شر .

## المعنى الإجمالي:

انتهى المقطع السابق بإجمال عذاب المشركين كيما يعود إليه بعد تحسيرهم وتبكيتهم بتفصيل ما أعده الله لعباده المُخلصين من نعيم مقيم، فهؤلاء المُخْلَصون من عباد الله ـ فوق إنجاء الله لهم من كل شر ـ يظفرون بكل خير، ولهم من أرزاق الجنة ما حسن منظره ومخبره وطاب طعمه وريحه من فواكه أهل الجنة، التي يتناولونها وهم مكرمون عند الله في جنات خلقت لهذا النعيم والتكريم، وتطلعنا الآيات على ألوان من هذا النعيم والتكريم، ينالونها وهم على سررهم تتقابل وجوههم فتأنس نفوسهم وتنشرح صدورهم، ثم هم في مجالسهم يكفـون مؤنـة الخدمة، ويؤتون بشراب أهل الجنة وخمرها الجارية والبيضاء الصافية التي تلذ للشاربين، فلا خمار فيها يصدع الرؤوس

ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع، كما لا أثر لها في العقول أو البطون مما يعرفه أصحاب خمر الدنيا[1].

وتتميماً لهذا النعيم ينوه السياق بمحاسن زوجاتهم من الحور العين واللاتي لا تمتد أعينهن إلى غير أزواجهن من فرط حيائهن وعفتهن، مع ما يتمتعن به من سعة عيونهن وجمالهن، ثم هن مع هذا الجمال الحسي والمعنوي لم تبتذلهن الأيدي والعيون، بل هن مصونات يشبهن - في رقتهن ونقائهن - بياض البيض تحت قشرته الرقيقة، وباكتمال هذه المتع الحسية يزداد حبور المُخْلصين وتكتمل سعادتهم، فيفرغ بالهم ويخلو فكرهم، ويقبل بعضهم على بعض في سمر برىء يتذاكرون فيه الأيام الخوالي وما جرى لهم في الدنيا[2]، وهنا يقص أحدهم طرفاً مما وقع له فيقول: إنه كان له صاحب في الدنيا يُكذِّب بالبعث ويسأله - في دهشة بالغة - إن كان من المصدِّقين حقاً بالبعث واليوم الآخر؟ ويردف متعجباً: أنبعث بعد موتنا - وقد صرنا تراباً وعظاماً - لنحاسب على أعمالنا وما قدمت أيدينا؟.

ثم يعن لهذا القائل - من المُخْلَصين - أن يرى وصحبُه من أهل الجنة ما آل إليه أمر هذا المنكر للبعث، ويقترح عليهم مشاركته في رؤية نهاية هذا القرين، وما لبث المؤمن أن اطلع على أهل النار ليجد صاحبه في وسطها يتلظى بحرها حيث توجه له بالقول موبخاً: أرأيت مصيرك يا هذا؟ لقد كدت - والله - تهلكني، وأوشكت أن توردني موارد الردى بدعائك إياي إلى إنكار البعث، ولو لا هداية ربي إياي لكنت معك الآن ومع المحضرين للعذاب الذين يشاركونك حر جهنم ولظاها، وفي هذه اللحظة يوازن المؤمن بين نهاية قرينه وما ناله هو وإخوانه المُخْلَصُون، فيسائلهم مغتبطاً

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، وقد نزه الله خمر الجنة عنها» تفسير القرآن العظيم ٤/٧.

(٢) يلاحظ هنا مقابلة القرآن الكريم بين إقبال المخلصين على بعضهم في مجالس الحبور والسرور، وإقبال الظلمة والمجرمين على بعضهم بالتلاوم والتخاصم، وتلك طبيعة القرآن في الترغيب والترهيب التي سنعرف طرفا منها في مقابلة نعيم أهل الجنة بعذاب أهل النار.

بنعيم الله ـ وعلى مسمع من قرينه إياه ـ هل نحن مخلدون في هذا النعيم فلن نموت دونه؟ أولا يصيبنا من الموت إلا ما كان من موتتنا في الدنيا؟ أو لا نعذب أبدا كما يعذب غيرنا من الكفار ومنكري البعث؟ إن هذا النعيم المقيم والخلود الدائم لهو الفوز العظيم الذي لا يدرك كنهه، وكفاه أنه عظيم من المنعم العظيم[1].

ويختم المقطع بتنبيه المؤمن إلى أن هذا النعيم الذي لا يدركه فوت ولا يعقبه موت إنما ناله هو وإخوانه المُخْلَصون بعملهم الصالح في الدنيا وتجارتهم مع الله، ولمثل هذا العطاء والفضل ينبغي أن يعمل العاملون فتلك هي التجارة الرابحة التي تستحق الاهتمام ويهون من أجلها إنفاق الأعمار.

## من فوائد الآيات :

١ ـ نجاة عباد الله المُخْلَصين من العذاب الأليم المعد للظلمة والمشركين.

٢ ـ يعذب الظلمة والمشركون في الآخرة بأعمالهم السيئة في الدنيا، كما ينعّم المُخْلَصون في الآخرة بأعمالهم الصالحة في الدنيا، وإن كان دخولهم الجنة بداية محض تفضل من الله تعالى[2]. والأعمال سبب لدخول الجنة وليست ثمناً لها.

٣ ـ تنوع أرزاق المُخْلَصين ونعيمهم في الجنة من المآكل والمشارب والسكن والأنس بالصحاب والزوجات الحسان، والسرور وفراغ البال والقيام على خدمتهم، وغير ذلك من تكريم الله لهم.

٤ ـ شدة جمال نساء أهل الجنة بما يفوق الوصف، وتنزه شرابهم عن نقائص شراب الدنيا.

---

(١) يلفت النظر هنا تقدير عظمة الفوز بأسلوب الحصر، المستفاد من اسمية الجملة، والتأكيد بأكثر من مؤكد واحد.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: «لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة» أخرجه مسلم عن أبي هريرة راجع: الصحيح ـ كتاب المنافقين وأحكامهم ٤/٢١٦٩ ـ ٢١٧٠.

٥ - تحاور المُخْلَصين في الجنة وتذاكرهم أحوالهم في الدنيا، واطلاعهم على أهل النار ومحادثتهم إياهم[١].

٦ - خلود المُخْلَصين في الجنة ودوام نعيمهم فيها، إذ لا يموتون بعد موتهم في الدنيا.

٧ - لا عاصم للإنسان من إغواء أصحاب السوء إلا فضل الله ورحمته وعصمته ووقايته ومن أسباب العصمة اجتناب أصحاب السوء.

٨ - أن الفوز العظيم المستحق لهذا الوصف إنما هو نعيم الآخرة، الذي لا يدانيه نعيم الدنيا كلها.

---

(١) أما كيفية هذا الاطلاع مع شاسع المسافات واختلاف مراتب أهل الجنة وأهل النار، فإن ذلك من أمور الغيب التي نمسك عن الخوض فيها، ويكفينا تصديق الخبر دون بحث في شأنه وكيفيته، فليس من شك في أن الله الذي أقدر المخلوق الضعيف أن يكلم أخاه ويراه في آخر الأرض، قادر على منح أوليائه في دار كرامته أعلى وأفضل من ذلك، والله أعلم.

## المناقشــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «معين، غول، ينزفون، مكنون، قرين، مدينون، تردين».

٢ ـ ما الرزق المعلوم؟ ومَن المستحقون له؟ وبماذا استحقوه؟ وهل يدخل الجنة أحدٌ بعمله؟

٣ ـ اشرح ـ بإيجاز ـ متع المُخْلَصين الحسية والنفسية، وبين صفات شراب أهل الجنة ووجوه تكريم الله لهم.

٤ ـ «دلت الآيات على تحاور أهل الجنة واطلاعهم على أهل النار» صور بأسلوبك حواراً يدور بين أهل الجنة، وبين فائدة اطلاع أهل الجنة على أهل النار؟.

٥ ـ «أفادت الآيات أن نعيم الجنة هو الفوز العظيم» بأي الأساليب استفدنا هذا المعنى؟ ومن أي الآيات نستخلص الدعوة إلى إحسان العمل والإخلاص فيه؟.

٦ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني مع شرح واحدة منها.



## المقطع الخامس

### في مشهد مطول من اليوم الآخر
### ثالثاً : جزاء الظالمين وكفار الأمم

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

**معاني المفردات :**

| الكلمة | معناها |
| --- | --- |
| أذلك : | الاستفهام للسخرية والتهكم، والإشارة إلى ما ذكر من نعيم الجنة ورزقها المعلوم. |

خير نزلا : النزل الرزق الذي يصلح أن ينزل عليه الناس ويُعَدّ لهم، من الطعام والشراب وغيره، والمراد ما أعد لأهل الجنة، وأفعل التفضيل «خير» على غير بابه إذ لا وجه للخيرية فيما أعدّ لأهل النار من الزقوم وغيره[1] .

شجرة الزقوم : التزقم البلع مع الألم، لنتن المبلوع وكراهة رائحته، وشجرة الزقوم هي التي يكره أهل النار على تناولها وأكلها .

فتنة : محنة وعذاباً في الآخرة، وابتلاء واختبارا في الدنيا .

أصل الجحيم : قرار النار وقعر جهنم، أي أن منبتها هنا وأغصانها ممتدة إلى دركات النار .

طلعها : الطلع ثمر الشجر وما يحمله في أول بروزه .

رؤوس الشياطين : شبه الطلع المحس بهذا المتخيل غير المرئي في شناعة منظره وتناهي قبحه[2] .

فمالئون : ملء الشيء حشوه عن آخره بما لا يحتمل الزيادة عليه .

لشوبا : الشوب الخلط والمزج بين شيئين .

حميم : الماء الشديد الحرارة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (محمد/١٥).

مرجعهم : مآلهم ومردهم إلى جهنم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ (الرحمن/٤٤).

---

(١) يراد بجريان التفضيل على غير بابه إثبات الصفة للفاضل فحسب، كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ (الفرقان/٢٤).

(٢) لم تعرف أشكال الشياطين فضلاً عن رؤوسها، وتشبيه الطلع بها قائم على ما استقر في الخيال من قبح الشيطان ومنظره، وما زال في الناس من يشبه قبيح الصورة بالشيطان والغول، وحسنها بالمَلَك، وهو كذلك استعمال القرآن الكريم، قال تعالى على لسان من وصفن جمال يوسف عليه السلام: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف/٣١)، وقال امرؤ القيس يخوّف عدوه بقوة أسلحته:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟

ألْفوا : وجـدوا .

يهرعون : يسرعون بشدة كأنهم يُستحثُّون، من الإهراع وهو الإسراع في شدة وانزعاج .

عاقبـة : عاقبة كل شيء آخره، والمراد نهايتهم وخاتمتهم .

## المعنى الإجمالي:

يعرض هذا المقطع الأخير من مشهد اليوم الآخر ما ينتظر الظلمة والمشركين - بعد موقف الحشر والحساب - في مقابلة واضحة بين ما يعرض هنا من جزائهم، وما عرفناه قبل من نعيم المخلصين[1]، وهكذا يفتتح المقطع بالإشارة إلى نعيم المُخْلَصين، وسؤال الكفار والمشركين - في سخرية وتهكم - إن كان هذا النعيم خير ضيافة ومنزل، أو ما يعطونه هم ويُعَدُّ لهم من شجر الزقوم، الذي يشوك حلوقهم، وتتزقم به حناجرهم؟ وأين هذا من فواكه أهل الجنة؟

ويعـرف السياق هؤلاء بوظيفة هذه الشجرة الملعونة، التي سخروا منها بقولهم: كيف تنبت شجرة في الجحيم ولا تحترق؟ لقد جعلها الله فتنة للظالمين، واختبرهم بها في الدنيا[2]، وعذبهم بها، وجعلها طعامهم في الآخرة، ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ الـدخـان ( ٤٣ - ٤٦ ) ، ويبيـن الله أوصـاف هـذه الشجـرة رداً على منكريهـا ، فهـي شجـرة أصـل منبتهـا في قـرار النـار وقعـر جهنـم ، وأغصـانهـا تمتـد إلى دركـات النـار وأركـانهـا ، فهـي مخلوقـة من النـار وغذيـت من النـار ، فـأي غرابـة أو استنكـار

---

(١) هذه طريقة القرآن الكريم في عرضه الأشياء المتقابلة، كالوعد والوعيد قصداً للترغيب والترهيب، حتى يظل المؤمن بين الخوف والرجاء.

(٢) حين سمع الكفار عن هذه الشجرة قالوا للمسلمين: يزعم صاحبكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فكان ذلك اختبار لهم بها كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (الإسراء/٦٠)

لوجودها في النار؟، أما ثمار هذه الشجرة وطلعها فناهيك به شناعة وقبحاً، إنه مثل رؤوس الشياطين، وللسامع أن يتخيل ماذا تكون عليه صورة الشياطين؟ بل ماذا يكون عليه حال رؤوسها من القبح والشناعة، ليدرك بعضاً من أوصاف الطلع في شجرة الزقوم، التي يؤكد السياق على أكلهم لها، مع ما عرفوا لها من التزقم والمرارة والنتن، ثم هم لا يكتفون بما يسد الرمق، بل يكرهون على الأكل حتى تمتلىء بطونهم إلى نهايتها، فليس لهم غير هذا الطعام أو ما هو أسوأ منه، كالضريع الذي ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾[1] (الغاشية/٧).

هذا ما كان من شأن طعامهم، ثم هم لا بد ـ وقد امتلأت بطونهم بما يكرهون ـ قد غلبهم العطش، وتطلعوا إلى شراب يطفىء لهبهم، ولكنهم لا يغاثون إلا بما هو أقبح من طعامهم وأشنع، إنه ماء الحميم الشديد الحرارة المختلط بشوائب تزيده شناعة وقبحاً، فإذا أدنوه من أفواههم شوى لحوم وجوههم، وما نزل منه إلى أجوافهم قطع أمعاءهم، كما قال الله عنهم: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ... ﴾ (الكهف/٢٩)، ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد/١٥)، فأين مطعم هؤلاء ومشربهم من مطعم أهل الجنة ومشربهم؟.

ثم يأتي هؤلاء أخيراً إلى ختام جزائهم، أنه مأواهم ومردهم الذي ينتهون إليه، نار تتأجج، وجحيم تتوقد، فأين منزل هؤلاء من السرر المتقابلة في جنات النعيم؟.

ويلفت السياق النظر هنا إلى سبب استحقاق هؤلاء ما ينتظرهم من هذا الجزاء، إنه إنحرافهم عن الفطرة السليمة، وتقليدهم للآباء مع ما هم عليه من ضلال بيّن، واستمساكهم الشديد بضلال آبائهم[2]، كأنهم مدفوعون دفعاً إلى ذلك، ومساقون بسياط تستحثهم على هذا الضلال والانحراف.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال: «اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه» أخرجه الترمذي في السنن في أبواب صفة جهنم ٤/١٠٧.

(٢) نهى القرآن الكريم والسنة كثيراً عن مثل هذا الموقف في مجال العقيدة وغيرها، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا

ويختتم هذا المقطع بتسلية الرسول ﷺ على كفر كثير من قومه، فما هم إلا بقية من أولئك المكذبين الضالين، الذين ساروا على ضلال من سبقوهم من الأولين، وكذبوا برسلهم الـذين أنـذروهم سوء العاقبة، فرفضوا إنذارهم كما يفعل هؤلاء الآن من قومك، فهل ينظرون إلا عاقبة مثل عاقبتهم؟ وها هي عاقبتهم معروضة للأنظار في آثارهم الباقية، إنها الدمار والهلاك لمن كذب من الظلمة والمشركين، والنجاة والفلاح لمن صدّق من عباد الله الْمُخْلَصين، تلك النهاية التي تجملها الآيات هنا، وتفصلها قصص الأنبياء المعروضة في المقاطع التالية:

## من فوائد الآيات :

١ ـ السخرية بالظلمة والمشركين في معرض إطلاعهم على نزلهم في اليوم الآخر.

٢ ـ المقابلة بين نزل الْمُخْلَصين، ونزل الظلمة والمشركين في الآخرة قصدا للترغيب في الأول والترهيب من الثاني.

٣ ـ امتحان الله للظالمين في الدنيا بهذه الشجرة الملعونة، ثم تعذيبهم بها وجعلها طعامهم في الآخرة.

٤ ـ ظهـور خصـائص بلاغية لأسلوب القـرآن في هذا المقـطع كالمقـابلة والتشبيه بالمتخيل، والتأكيد بأكثر من مؤكد.

٥ ـ افتراق عالم الغيب عن عالم الشهود وامتناع قياسه عليه، وهو المعنى المستفاد من منبت شجرة الزقوم في قعر جهنم.

٦ ـ أبرز آفات البشرية ركونها إلى تقليد الآباء في عقائدهم، وعدم النظر في مخلوقات الله، للوصول إلى العقيدة الصحيحة.

---

ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف/٢٢ ـ ٢٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» أخرجه الترمذي في أبواب البر ٣/٢٤٦.

٧ ـ في الآيات تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على كفر كثير من قومه ؛ إذ إن هذا شأن رسل الله مع أقوامهم .

٨ ـ الإشارة إلى سنة الله في الخلق بإهلاك أعدائه المكذبين بالوحي ، ونصرة أوليائه من المؤمنين المُخْلَصين .

## المناقشـــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية : «نزلاً ، فتنة ، طَلْعُ ، شوباً ، حميم ، ألفوا ، يهرعون ، عاقبة» .

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وماذا تعرف عن أ) شجرة الزقوم؟ ب) رؤوس الشياطين؟ .

٣ ـ حدد عناصر التقابل بين جزاء الظالمين هنا ونعيم المُخْلَصين في المقطع السابق ، ثم صف بخاصة مطعم الظلمة ومشربهم؟ .

٤ ـ «جعل الله شجرة الزقوم فتنة للظالمين» ما وجوه افتتانهم بهذه الشجرة؟ وما شبهة المشركين التي عرضوها؟ . وبم رد القرآن عليهم ؟ وما الحكمة فى مجىء جزاء الظالمين بأسلوب مشدد التأكيـد ؟ وماذا تعرف من صور بلاغية أخرى فى هذا المقطع ؟ .

٥ ـ ما مظاهر شناعة شراب الظلمة في الآخرة؟ . وما السبب في انحراف البشرية عن التوحيد؟ وماذا تحفظ من الآيات في هذين؟ وبماذا عزَّى الله رسوله صلى الله عليه وسلم؟ وماذا كانت عاقبة المنذَرين؟ .

٦ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع واشرح واحدة منهـا .

# المقطع السادس

## في أطراف من قصص الأنبياء وأقوامهم
## أولا : من قصتي نوح وإبراهيم عليهما السلام

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| نادانا نوح : | دعانا، والمراد به الاستنصار بالله على كفار قومه، كقوله تعالى حكاية عنه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (القمر/١٠) |
| وأهلـه : | أهل الرجل عشيرته الأقربون، والمراد أهل دينه والقليل الذين آمنوا معه . |
| الكـرب : | الغم الشديد الذي يكرب صاحبه ويسوؤه، والمراد به إيذاء قومه له، وقيل: الغرق . |
| في الآخرين : | بكسر الخاء، التالين لمن قبلهم، يعني الأمم التي جاءت ـ وتجيء ـ بعد أمته إلى يوم القيامة . |
| المحسنين : | إحسان الشيء إتقان فعله[1]؛ والمراد: إخلاص نوح في دعوته ومجاهدة قومه الذين كذبوه . |
| شـيعته : | شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، والسائرون على منهجه وسنته . |
| أئفكاً : | الاستفهام للإنكار، والإفك صرف الشيء عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه؛ ومنه الكذب والافتراء . |
| ما ظنكم : | الاستفهـام للتحـذير، ومعناه أي شيء توهمتموه بالله حتى أشركتم به غيره؟ . |
| فنظر نظرة في النجوم : | تفكـر فيما نجم له وظهـر من الـرأي، أو نظر في النجـوم للإستدلال بها كما يفعل قومه من أجل مناظرتهم ومكايدتهم . |
| سـقيم : | السقم المـرض، والمـراد ضيق فؤاده واعتـلال نفسـه، من انحرافهم عن الفطرة وعبادتهم الأوثان . |

(١) جاء في تعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم للإحسان ـ وجبريل يسأله عنه ـ «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أخرجه البخاري عن أبي هريرة في تفسير سورة لقمان ـ باب إن الله عنده علم الساعة، فتح الباري ٨/٥١٣ .

فراغ : مال في خفية وخفة من الروغان وهو الميل، ومنه طريق رائغ أي مائل.

يزفـون : يسرعون في مشيهم، والزفيف الإسراع.

تنحتون : تصنعونه بأيديكم من النحاتة، وهي في الأحجار والصخور مثل النجارة في الخشب.

وما تعملون : «مـا» مصـدرية يعني خلقكم وعملكم، ويصـح أن تكون موصولة؛ يعني خلقكم والذي تعملونه، وهو الأولى بسياق الكلام.

كيداً : الكيد المكر والحيلة، والمراد إهلاكه بإلقائه في النـار.

الأسفلين : الأسفل المقابل للأعلى، والمراد: المقهورين المغلوبين.

ذاهب إلى ربي : مفارق لديار قومي ومهاجر إلى ديار أخرى، أتمكن فيها من عبادة الله والدعوة إليه.

## المعنى الإجمالي:

اختتم المقطع السابق بالإشارة إلى ضلال كثير من أقوام الأنبياء عليهم السلام، وإجمـال عاقبتهم في هلاك الـظلمة ونصرة المؤمنين، وتفصل المقاطع التالية: قصة الصراع بين الإيمان والكفر، ونهاية أطرافه في حلقاتها المتشابهة، منذ زمن نبي الله نوح عليه السلام، الذي لبث في قومه طويلاً يدعوهم إلى الله، ولكنهم كذبوه ولم يؤمن معه منهم إلا القليل، ولما يئس من قومه دعا ربه واستنصره عليهم فأجاب الله دعاءه أكمل ما تكون الإجابة، ونعم ما يكون المجيب، إذ نجاه الله ومن تبعه من المؤمنين، من إيذاء قومه المستكبرين، ومن هول الطوفان الذي أغرق قومه الكافرين، ولم ينج منه إلا هذه القلة المؤمنة من أهله وذريته، لتمتد بهم الحياة وبمن يخلفونهم من ذراريهم[1].

(١) هذا ظاهر الآية، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويؤيده ضمير الفصل فيها المشعر أنهم وحدهم هم الباقون دون غيرهم.

وتضمنت إجابة الله لنوح إبقاء الثناء الحسن عليه، والذكر الجميل له في الأمم التالية إلى آخر الزمان، حيث تلهج كلها بالسلام عليه والدعاء له بالرحمة والإحسان، جزاء إحسانه وجهاده الطويل في أمته، وهكذا يكون جزاء الله للمحسنين من عباده المخلصين له في القول والعمل، وليس هذا بكثير على نبي الله نوح عليه السلام، إذ كان من عباد الله المؤمنين الذين أخلصوا له العبودية، والجهاد في سبيله، أما الآخرون المكذبون له من كفار قومه، فكانت نهايتهم إهلاكهم بالغرق، وذهابهم مع من ذهب في الطوفان.

وتجيء حلقة الصراع الثانية عند إبراهيم عليه السلام، الذي كان على نهج نوح عليه السلام في دعوته إلى الله، وتبعاً له في أمور العقيدة وأصول الشريعة، التي يجتمع عليها أنبياء الله[1]، بل ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾(النحل/ ١٢٠) كما ظهر في إسلامه أمره إلى الله، ونقاء فطرته، المعبر عنها بمجيئه ربه بقلب سليم.

ولقد دفعت إبراهيم حنيفيته إلى استنكار ما يناقضها من عبادة قومه غير الله، حيث توجه إلى أبيه وقومه موبخاً إياهم على سفههم: أيَّ شيء تعبدون؟ أهذا الذي لا يضر ولا ينفع ولا يصح أن يكون له عابدون؟ فماذا دهاكم؟ أقصدتم بعبادتكم إياها إلى الإفك والكذب قصداً فصرفتم العبادة عن مستحقها وحده وهو الإله الحق؟ وأيّ شيء تصورتم الله حتى تشركوا به هذه الأشياء؟ وما تظنون أنه فاعل بكم وقد عبدتم غيره؟.

ولا ينتظر إبراهيم ـ في هذا المشهد ـ إجابة منهم، بل يمضي مفكراً في الأمر ومقدراً ماذا يصنع مع هؤلاء ومعبوداتهم ـ وهم الذين دعوه إلى المرح واللهو معهم في عيدهم، بعد أن قدموا لمعبوداتهم ما تباركه من مأكولاتهم ـ وهنا انتهى إبراهيم إلى قراره بالبقاء لتنفيذ ما فكر فيه وقدَّر، وقد بلغ ضيقه بما هم فيه أقصاه، فبدا مهموم النفس مجهد

---

(١) قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...﴾ (الشورى/١٣)

الفكـر[1]، واعتذر لهم باعتلاله عن عدم مشاركتهم والخروج معهم، فأعرضوا عنه وأسرعوا إلى احتفالهم، وأسرع هو متخفياً إلى آلهتهم المدّعاة، ليسألها ساخراً بها وداعياً إياها إلى تناول ما أمامها من طعام؟ ويبالغ في سخريته بها: لم لا تنطق ولا تجيب؟ وهنا يسرع إبراهيم بضرب الأصنام وتحطيمها بكل قوته، ولم يتركها إلا جذاذاً متناثراً، فشفى بذلك نفسه من سقمها وأراح فؤاده وضميره من الهم والضيق الأليم.

وأقبل قوم إبراهيم إليه مسرعين يستنكرون فعلته ـ وهم جمع حاشد وكثرة غاضبة ـ ولكن إبراهيم ـ وهو فرد ـ يواجههم بالحق ولا يأبه لجموعهم، بل يوبخهم كيف يعبدون آلهة صنعوها بأيديهم؟ وكيف يعبد الصانع ما صنع؟ ألم يدركوا أن الأولى بالعبادة ينبغي أن يكون الصانع لا المصنوع؟ أو ما علموا أن الصانع الوحيد هو الله الذي خلقهم وخلق ما يصنعون؟ ولكن قوم إبراهيم ـ وقد واجههم بفساد عبادتهم لم يستمعوا لقول الحق، واندفع أولو الأمر فيهم إلى مزاولة طغيانهم، ومقابلة منطق الحق بالحـديد والنـار، وقرروا الخلاص من إبراهيم بإلقائه في نار محرقة، يحيطونها ببناية عظيمة، فلا يستطيع منها فراراً.

وهكـذا مكـروا بنبي الله وألقوه في الجحيم، فأين ذهب كيدهم ومكرهم؟ لقد أحاطته عناية الله ورعايته فنجاه الله من النار، وكانت عليه ـ بأمر الله ـ برداً وسلاماً، وقـامت بذلـك له الحجـة عليهم فأظهره الله، ورد كيدهم فكانوا هم المقهورين، وينتهي أمر إبراهيم مع قومه وأبيه بإعلانه مفارقته لهم مسلماً نفسه إلى ربه، لعله يهديه إلى من يؤمن به ويقوى بهم بعد أن تنكر له الأهل والأقرباء، حيث تبدأ بذلك حلقة أخرى في قصة إبراهيم وصفحة أخرى من صفحات حياته.

---

(١) ما روي في الصحيح أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب إلا ثلاث كذبات وهي: «إني سقيم، بل فعله كبيرهم هذا، سارة أختي» ليس من الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، إنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي، كما قال عمر بن الخطاب: «أما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب؟ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عن هذه الثلاث: «ما منها كلمة إلا ما حَلّ بها عن دين الله» أي نافح ودفع، فتح الباري ـ باب الأنبياء/٦/٣٨٨، سنن الترمذي ـ تفسير سورة بني إسرائيل ٤/٣٧٠.

## من فوائد الآيات :

١ ـ استجابة الله لدعوات أنبيائه ونصرته لهم عند استنصارهم به ويأسهم من إيمان قومهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (يوسف/ ١١٠).

٢ ـ من بقي من البشرية بعد الطوفان هم من ذرية نوح ومن آمن معه من أبنائه الذين ركبوا سفينته.

٣ ـ أن إحسان العمل والإخلاص فيه مجزيّ عليه بالذكر الحسن والثناء الجميل.

٤ ـ اختتام دعوات الأنبياء بنصرة الله للمؤمنين وإهلاكه للكافرين، حتى صار ذلك سنة ماضية.

٥ ـ وحدة المنهج الإلهي للبشرية ـ في العقيدة وأصول الشريعة ـ منذ أولى الرسالات حتى آخرها.

٦ ـ كمال الانقياد والاستسلام لله عند إبراهيم عليه السلام وسلامة عقيدته، ثم صلابته في الحق ومواجهة الباطل.

٧ ـ التجاء الباطل وأصحابه إلى البطش بالحق وأهله، عند ظهور الحق وزهوق الباطل.

٨ ـ مشروعية الهجرة للدعاة فراراً بدينهم عند اشتداد الباطل عليهم ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ .. (النساء/ ٩٧).

## المناقشــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية : «الكرب ، الآخرين، شيعة ، إفكاً، راغ ، يزفون، تنحتون، كيداً» .

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع ؟ وما علاقته بالمقطع السابق عليه؟ وبماذا نادى نوح ربه؟ ولماذا ناداه؟ .

٣ ـ كيف كانت إجابة الله لنوح؟ وما الذي تركه الله عليه في العالمين؟ وما سبب استحقاق نوح لهذا؟ .

٤ ـ كان إبراهيم عليه السلام أمة وحده، ما أمارة ذلك عنده؟ وماذا أدت إليه في معاملة قومه؟ .

٥ ـ ما المقصود بنظر إبراهيم عليه السلام في النجوم؟ وماذا كانت وسائله في تنفيذ مراده؟ .

٦ ـ هل كذب نبي الله إبراهيم بقوله : «إني سقيم؟ وكيف نفهم الحديث الصحيح « لم يكذب إبراهيم سوى ثلاث كذبات»؟ .

٧ ـ وضح كيف حاجّ إبراهيم قومه في عبادتهم للأوثان ؟ وكيف قابلوا هم محاجته؟ وما عاقبة كلٍّ كما ذكرت في المقطع؟ .

٨ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع القرآني، مع شرح واحدة منها .

# المقطع السابع

## في أطراف من قصص الأنبياء وأقوامهم

## ثانياً : من قصص إبراهيم وولديه عليهم السلام

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) ﴾

## معـاني المفـردات

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| هب لي : | فعل الأمر من وهب، معناه سؤاله الولد من الله . |
| بشـرناه : | من البشارة، وهي الإنباء بالخبر السار، فإن أريد غيره قيد به كقوله: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الانشقاق/٢٤) . |
| حليـم : | من الحلم وهو العقل، والمراد أنه سيكبر إلى أن يبلغ الحلم والعقل . |
| السـعي : | العَدْو والكسب، والمراد الوصول إلى السن التي يسعى فيها مع أبيه . |
| أسـلما : | استسلما وانقادا لأمر الله ، فأسلم واستسلم بمعنى واحد . |
| وتلّـه : | التل : الصَّرْع والدفع ، والمراد أنه أضجعه على جبينه وشِقِّه أو كبَّهُ على وجهه . |
| الجبين : | أحد جانبي الجبهة، فللوجه جبينان الجبهة بينهما . |
| صدقت الرؤيا : | عزمت على الإتيان بما رأيته، وحققت المطلوب باستسلامك وولدك لأمر الله . |
| البـلاء : | الإبتلاء والاختبار يكون بالمكروه كما هنا، ويكون بالمحبوب قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (الأنبياء/٣٥). |
| فدينـاه : | جعلنا الذِّبح فداء له وبدلاً عنه . |
| بذبـح : | حيوان يذبح ، وهو الكبش الذي وجده إبراهيم مهيأ بإرادة الله للذبح بدلاً عن ابنه . |
| باركنا عليه : | أفضنـا عليه البركات، وأسبغنا عليه النعم . |

## المعنى الإجمالي :

يبدأ هذا المقطع بتوجه إبراهيم عليه السلام إلى ربه يسأله أولاداً صالحين، يكونون

عوضاً من قومه الذين فارقهم، ويستعين بهم في مهجره وغربته، ويستجيب الله دعاءه فيهبه على الكبر غلاماً، وينبئه ببلوغه الفتوة والحلم، وما أن كبر وترعرع وصار يمشي ويذهب مع أبيه في أشغاله وتقر به عين أبيه حتى يرى إبراهيم في منامه أنه يذبحه[1]، ويلبي إبراهيم داعي الله في رضا واستسلام، ويقص رؤيته على ابنه ليعلم ما عنده من الصبر فيما نزل عليه من بلاء الله ويطلب منه التروي في الإجابة وتقليب الأمر على وجوهه، ولكن الابن يرتقي إلى ما ارتقى إليه أبوه من الرضا بأمر الله والتسليم بقضائه، فيعلن أباه في تودد أن يقدم على أمر الله فلن يجد ابنه - بفضل الله وعونه - إلا صابراً محتسباً.

وينتقل مشهد التضحية الفريد في تاريخ البشرية من القول والحوار إلى الفعل والتنفيذ، ويكب الأب ابنه على وجهه ويقدم على ذبحه، وما يكاد يتم أمر الله حتى يُنادَى إبراهيم: كفاك امتثالاً لأمر الله واستسلاماً لقضائه، فقد حصل المقصود من رؤياك، وحققتها بهذا الكب والشروع في الذبح، ولم تغلبك عاطفة الأبوة، ثم امتنعت لما ناديناك وخلّصناك من بلائك، وهكذا يكون جزاؤنا للمحسنين في طاعتهم الله المخلصين له في أعمالهم، نجزيهم بالخلاص من الشدائد والسلامة من المحن.

وتقرر الآيات عظمة هذا الاختبار، كيما تشير إلى عظمة التضحية وظهورها، التي صارت ذكراها منارة لحقيقة الاستسلام والإخلاص، وسنة تذكر المسلمين بحقيقة أبي

---

(١) يذكر المفسرون خلافاً طويلاً في تعيين الذبيح الذي لم يقم دليل قاطع بتعيينه، والأقرب أن يكون المراد به إسماعيل عليه السلام، وقد ذكر ابن كثير في ذلك كلاماً لا يجوز إغفاله إذ قال: «وهذا الغلام هو إسماعيل فإنه أول ولد بُشِّر به إبراهيم وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، والمنصوص عليه في كتب أهل الكتاب أن المأمور بذبحه هو وحيده وبكره، ولا ينطبق الوصفان إلا على إسماعيل، ولكن اليهود حرفوا هنا وأضافوا لفظ إسحاق تفسيراً للوصفين لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود/٧١) أي يولد له في حياتها ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل، فلا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير» راجع تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٤.

الأنبياء الذي تتبع ملته، وتشير إلى عظمة جزاء التضحية والصبر على البلاء وإكرام الله ونعمه، والذي تذكر الآيات منه فداء الغلام بذبح عظيم، وإبقاء الذكر الحسن لإبراهيم عليه السلام؛ إذ صار محببا لكل الأمم ومن كل الملل، وهكذا يكون جزاء الله للمحسنين من عباده المخلصين له في القول والعمل، الصادقين في إيمانهم ـ كإيمان إبراهيم ـ فلا يتزعزع عند البلاء أو يجزع صاحبه عندما يحم القضاء ويحين الأجل.

ويختم هذا المقطع بمثل ما بدىء به من البشارة، ولكنها بشارة بولد آخر يهبه الله إياه ويجعله نبياً صالحاً، ثم يفيض الله عليه وعلى ولده إسحاق النبي من البركات[١]، ولتمتد بذريتهما أسباب الحياة، فمن أحسن إيمانه وعمله من هذه الذرية، وأسلم وجهه إلى الله وآمن بجميع الرسل عليهم السلام ـ كما هو حال المسلمين ـ فقد أحسن انتسابه إليهما، ومن أساء اعتقاده وعمله فظلم نفسه بالكفر والمعصية وفرق بين الرسل ـ كما هو حال الكتابيين من اليهود والنصارى ـ لم ينفعه انتسابه لهما، فـ «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» كما قال صلى الله عليه وسلم[٢].

## من فوائد الآيات:

١ ـ استجابة الله لدعاء من أقبل عليه مخلصاً، كما وهب إبراهيم الولد على كِبَرٍ منه وزوجه.

٢ ـ بلوغ إبراهيم وولده الذبيح أعلى مراتب الاستسلام لأمر الله، بقبولهما التضحية في رضا وصبر على مراد الله.

---

(١) كثر الله نسلهما في الدنيا وجعل منه الأنبياء والرسل وأشاع الدعاء لهما بالبركة على ألسنة المسلمين في صلواتهم؛ إذ يقولون: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة. راجع الصحيح ـ كتاب الذكر والدعاء ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٢٠٧٤/٤.

٣ - سمو عاطفتي البنوة والأبوة عند إبراهيم وولده عليهما السلام، ومعاونة كل منهما الآخر على احتمال البلاء.

٤ - عظمة الجزاء من الله على التضحية والصبر والإحسان والإخلاص ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر/١٠)

٥ - استدامة الذكر الحسن لإبراهيم في العالمين من بعده، وإحلال البركة عليه وعلى آله.

٦ - انتساب المرء للصالحين من عباد الله لا ينفعه مع ظلمه لنفسه، إنما ينفعه عمله الصالح وحسن التأسي بهم.

٧ - يشهد القرآن الكريم والكتب المنزلة ووقائع التاريخ على رجحان كون ذبيح الله المفدى هو إسماعيل عليه السلام.

## المناقشــة

١ - وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «هب، بشرناه، السعي، تلّه، الجبين، البلاء».

٢ - ما موضوع هذا المقطع؟ وبماذا كانت البشارة؟ وكيف تستدل من الآيات على تعاون الأب وابنه على احتمال قضاء الله؟.

٣ - ما الحكمة في عدم إتمام ذبح إبراهيم لابنه؟ وكيف يكون إبراهيم ممتثلاً للأمر مع عدم تنفيذه؟ وضح المسألة؟.

٤ - أي آيات هذا المقطع قررت عظمة البلاء؟ وما الحكمة في التقرير مع وضوح عظمة البلاء؟.

٥ - «أبقى الله لإبراهيم في العالمين ثناء حسناً، وبارك عليه وعلى آله» ما مظاهر هذين فيما فهمته من المقطع؟.

٦ - نصت الآيات على ظلم بعض ذرية إبـراهيم وإسحـاق لأنفسهم، من هؤلاء الظلمة منهم؟ وهلا نفعهم انتسابهم إلى هذين النبيين؟ ولماذا؟.

٧ - من ذبيح الله المفدى؟ وهل هناك دليل قاطع في المسألة؟ وإلى أي القولين تميل؟ وما دليلك على ذلك؟.

٨ - اذكر ثلاث فوائد عرفتها من تفسير هذا المقطع، مع شرح واحدة منها؟.

# المقطع الثامن

## في أطراف من قصص الأنبياء وأقوامهم
## ثالثاً : من قصص موسى وهرون وإلياس عليهم السلام

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (١١٦) وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ (١١٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٢٥) ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (١٢٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| مننـا : | المن الإنعام، أي: أنعمنا عليهم . |
| الكـرب : | الهم الذي يكرب صاحبه، والمراد به: إذلال فرعون وقومه لهم؛ وقيل: الغرق الذي أصاب فرعون وقومه . |
| نصرناهم : | أيدناهم على أعدائهم من فرعون وملئه . |
| الكتاب المستبين : | المراد بالكتاب التوراة، والمستبين الواضح الظاهر . |
| الصراط المستقيم : | الطريق القيم الذي لا اعوجاج فيه؛ وهو دين الإسلام . |
| إلياس : | أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو من سبط هرون بن عمران أخي موسى، ويعرف في كتب اليهود باسم إيلياء . |
| أتدعون : | أتعبدون، والاستفهام للإنكار . |
| بعـلاً : | اسم للصنم الـذي عبده أهل بعلبك، الذين أرسل إليهم إلياس، وما تزال الآثار فيها دالة على عبادتهم إياه . |
| تـذرون : | تتركـون . |
| أحسن الخالقين : | لا يلزم من أفعـل التفضيل ثبـوت الخلق لغـير الله، والمراد أحسن ما يقال له خالق . |
| إل ياسين : | المـراد إلياس، وهـو لغـة فيه لبعض العرب، كأنهم جمعوه فجعلوا أصحابه داخلين معه . |

## المعنى الإجمالي:

يعرض هذا المقطع لمحات سريعة من قصص ثلاثة أنبياء من بني إسرائيل هم موسى وهرون وإلياس، ويبدأ بتقرير ما أنعم الله به على موسى وهرون من النعم الكثيرة، والتي يجيء في مقدمتها اصطفاؤهما واختيارهما لرسالته، ومن هذه النعم: إنجاء الله لهما وقومهما بني إسرائيل مما كانوا فيه، من استعمال فرعون إياهم في أخس

المهن والصناعات، وغير ذلك من ضروب الإذلال والهوان، ونصرة الله لهم وتأييدهم، حتى أصبحوا ظاهرين على أعدائهم غالبين لهم، بعد أن كانوا تحت أسرهم وقهرهم؛ ومن هذه النعم: إتيانهما التوراة كتاباً واضحاً فيه الهدى والنور؛ وإرشادهما إلى طريق الاستقامة والإسلام إلى الله الذي يهدي إليه المؤمنين من عباده؛ وإبقاء الذكر الحسن لهما في الأجيال والقرون التالية؛ فهذا جزاء المحسنين الذي يلقونه جزاء إحسانهم وإخلاصهم، وصدق إيمانهم ويقينهم.

ويعقب السياق بلمحة أخرى من قصة نبي الله إلياس، يؤكد فيها إرسال الله إياه إلى قومه من بني إسرائيل، الذين سكنوا شمالي الشام في بعلبك، وعكفوا على عبادة صنم لهم يدعى «بعلا» منحرفين عن هدي التوراة ونورها، وقد حذرهم نبيهم من بأس الله وخوفهم عذابه، ودعاهم إلى تقوى الله وتوحيده، واستنكر عليهم عبادتهم صنماً لا يضر ولا ينفع، وجعلهم إياه رباً يدعونه من دون الله، وتركهم من يستحق العبادة وحده، وهو خالقهم الذي لا خالق سواه، وهو ربهم ورب آبائهم الأولين الذي لا رب غيره؛ ولكن القوم كذبوا رسولهم، فكانت عاقبتهم أن استحقوا حضورهم للعذاب يوم القيامة، الذي لن ينجو منه إلا من أقلع عن عبادة البعل، وهداه الله فأخلص له الطاعة والعبادة.

وتختم هذه اللمحة بتقرير الآيات إبقاء الذكر الحسن والثناء الجميل لنبي الله إلياس عليه السلام في الأجيال التالية له، فهذا جزاء المحسنين الذي يلقونه جزاء إحسانهم وإخلاصهم، وصدق إيمانهم ويقينهم.

### من فوائد الآيات:

١ - كثرة النعم التي مَنَّ الله بها على نبيه موسى وهرون عليهما السلام.

٢ - نزول التوراة على النبيين واضحة، تهدي إلى منهج الله المستقيم والإسلام الصحيح.

٣ - ظهور الوثنية في بني إسرائيل بعد موسى وهرون، وانحرافهم عن دين الله الصحيح والعبادة الحقة.

٤ - عاقبة المكذبين للرسل بالهلاك والهزيمة، ونصرة أولياء الله المخلَصين جزاء إحسانهم وإخلاصهم.

٥ - الثناء الطيب والذكر الحسن في الناس لعباد الله المخلَصين، هو بعض من جزاء الله لهم بعد موتهم.

## المناقشة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «مننا، الكرب، الصراط، إلياس، تدعون، بعلاً، تذرون»؟.

٢ ـ اذكر ما عرضه المقطع من النعم على موسى وهرون؟ وماذا كانت عاقبة المؤمنين من قومهما؟ ومن الذين نُصروا عليهم؟ وما المراد بكل مِن: الكتاب المستبين، الصراط المستقيم؟.

٣ ـ متى ظهرت الوثنية في بني إسرائيل؟ وأين؟ وكيف دعا إلياس قومه؟ وبم أجابوه؟ وماذا كان جزاؤهم؟.

٤ ـ ما جزاء المحسنين المخلصين؟ وبماذا عللت الآيات استحقاقهم إياه؟ وضح فائدتين عرفتهما في هذا المقطع؟.



# المقطع التاسع

## في أطراف من قصص الأنبياء وأقوالهم
## رابعاً : من قصتي لوط ويونس عليهما السلام

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

### معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| لوطـاً : | ابن عم نبي الله إبراهيم عليهما السلام، أرسله الله إلى أهل سدوم الذين سكنوا وادي الأردن بنواحي الشام. |

عجوزاً : العجوز المرأة الكبيرة، والمراد بها امرأة لوط .

الغابرين : جمع غابر، وهو بمعنى الماضي أو الباقي .

يونس : هو ذو النون بن متى، وقد بعثه الله إلى قومه بقرية نينوى من أرض الموصل .

أبق : أصله من الإباق وهو هرب العبد من سيده، وُصِف به يونس لما فارق قومه بغير إذن ربه .

فساهم : من المساهمة وهي الاقتراع، يعني قارع أهل السفينة وصنع معهم قرعة .

المدحضين : المغلوبين بالقرعة .

فالتقمه : فابتلعه .

مليم : مستحق للوم، وهو الذي يأتي بما يلام عليه .

فنبذناه : النبذ الطرح والإلقاء، يعني ألقيناه وطرحناه .

بالعراء : الأرض الخالية من النبات والبناء، فهي عارية عما يسترها منهما.

يقطين : هو ما عرش من الأشجار على غير سيقان، وله ظل كثير كالدباء (القرع العسلي) والموز ومايشبههما.

حين : الحين الزمن المحدد، والمراد مدة بقائهم في الدنيا وانتهاء أعمارهم .

## المعنى الإجمالي:

يعرض لنا هذا المقطع لمحتين أخريين - يختم بهما قصص الأنبياء مع أقوامهم في هذه السورة - وتأتي اللمحة الأولى عن نبي الله لوط عليه السلام لتؤكد نبوته ورسالته إلى قومه، الذين أتوا من المنكرات والفواحش ما لم يأت به أحد من العالمين، فنصحهم

وحذرهم فلم ينتصحوا أو يحذروا حتى أنزل الله بهم عذابه[1] وعقوبته، ونجى الله لوطاً من بين أظهرهم هو وأهله، غير امرأته العجوز التي هلكت مع الهالكين من قومه، حيث شاركتهم تكذيبهم لوطاً عليه السلام، وعصيانهم أمر ربهم .

ويوجه سياق الآيات الموعظة المباشرة لأهل مكة والمشركين، ويرشدهم إلى النظر والاعتبار بما حلّ بقرى قوم لوط حيث ما زالت آثار دمارها باقية على طريق القوم في ذهابهم وإيابهم ويرونها في سفرهم صباحاً ومساء، فهلا اعتبر هؤلاء وتعقلوا ما وقع لغيرهم؟ .

وتأتي اللمحة الثانية لتؤكد هي الأخرى رسالة يونس عليه السلام إلى أهل نينوى، الذين نصحهم وأوعدهم عذاب الله ينزل بهم قريباً، فلما استبطأ نزول العذاب بهم وشق عليه إعـراضهم رحـل عنهم قاصداً ساحل البحر، حيث وجد سفينة مملوءة بالناس فركبها معهم، وما أن بلغت السفينة عرض البحر حتى ناوأتها الرياح وأشرفت على الغرق، ولم يجد ركابها بُدًّا من الاقتراع فيما بينهم ليفتدوا أنفسهم بواحد منهم يلقى في البحر، فكان يونس عليه السلام هو هذا الواحد الذي يلقى به، وأدرك يونس أن تركه قومه دون أن يأذن له الله هو عمل يلام عليه، وما كان له أن يحدث منه وهو نبي مقرب، وما لبث أن ابتلعه الحوت وهو مستشعر ما اقترفه في حق ربه .

ولكن يونس عليه السلام لم ينس ربه مع هذا الضيق، ولم يتخل عن تسبيحه لله الذي كان عليه قبل شدته ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ[2] أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء/٨٧)، ولولا تسبيحه هذا وإقراره بظلمه لظل مقبوراً في بطن الحوت حتى يبعث الله الخلائق؛ ولكن الله استجاب دعاءه ونجاه من الغم، فأوحى إلى الحوت أن يقذف به إلى الساحل في خلاء لا بناء فيه يأويه ولا ظل يحمي جسده المنهك من ابتلاع الحوت له، وتدركه عناية الله ورحمته فينبت له شجرة تظله

(١) ذكرت هذه العقوبات في سور أخرى مثل قلب الملائكة لقراهم وإمطارهم بحجارة من سجيل.
(٢) المقصود بها ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر، ثم ظلمة الليل هكذا المروي والله أعلم.

بورقها العريض، وتقيه حر الشمس وقسوة البرد، وما أن استرد يونس عليه السلام عافيته حتى رجعه الله إلى قومه الذين ذهب عنهم مغاضباً، وقد بلغوا أكثر من مائة ألف، وكانوا قد خافوا عذاب الله بعد خروج يونس عليه السلام، فاستغفروا ربهم وآمنوا به، فكشف الله عنهم العذاب، ومتعهم في الدنيا حتى انتهت آجالهم كما قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس/٩٨).

## من فوائد الآيات:

١ ـ هلاك امرأة لوط عليه السلام مع قومه لم ينفعها اقترانها به، إذا كانت على دين قومها ومعاونتهم على فجورهم.

٢ ـ بقاء آثار الهالكين من قوم لوط وقراهم مجالاً للعظة والاعتبار لمن يمر عليهم.

٣ ـ ضرورة مصابرة الداعي لمن يدعوهم ويجاهدهم، وعدم يأسه من استجابتهم لدين الله وأمره.

٤ ـ جواز المساهمة والاقتراع بين المسلمين، وارتكاب أخف الضررين لتفادي أثقلهما.

٥ ـ عقاب الله في الدنيا لمن يحيد عن منهجه من أوليائه وأحبابه ولو كان نبياً مرسلاً.

٦ ـ قدرة الله العظيمة في رعايته لنبيه يونس وحفظه له وهو ببطن الحوت وبالعراء.

٧ ـ أن ذكر الله وتسبيحه والتقرب إليه بالعمل الصالح، من وسائل النجاة من الشدائد والمحن.

## المناقشـــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية «عجوزا، الغابرين، أبق، ساهم، المدحضين، التقمه، مليم، ، العراء، يقطين».

٢ ـ بماذا أهلك الله قوم لوط؟ ولماذا اهلكت امرأته معهم؟ ومن المخاطبون بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ ... ﴾؟.

٣ ـ عرف نبي الله لوطاً ويونس عليهما السلام؟ وإلى مَن أرسل كل منهما؟ وما مظاهر رعايته تعالى لنبيه يونس؟ .

٤ ـ ما عاقبة قوم يونس عليه السلام ؟ وما الذي استحقوا به هذه العاقبة؟ وما أهم ما يفيد المؤمن في شدته وكربته؟.

٥ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.



## المقطع العاشر

### نقاش المشركين في عقيدتهم ومواجهتهم بوعودهم

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾
أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ
﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
| --- | --- |
| ألربك : | الاستفهام للتوبيخ والتقريع والاستنكار. |
| أم خلقنا : | أم بمعنى بل، وهي للإضراب عن التقريع والاستنكار في الاستفهام إلى ما هو أشد تقريعاً واستنكاراً . |
| شـاهدون : | حاضرون عند خلق الله للملائكة . |
| أصطفى : | تكـرار للاستفهـام الإنكـاري لتقـريعهم وتـوبيخهم، والاصطفاء الاختيار وأخذ الصفوة . |
| فأتوا بكتابكم : | الأمر هنا للتعجيز، والمراد بالكتاب: ما ينطق بحجتهم من نقل مكتوب أو وحي منزل . |
| الجنة نسـبا : | الجنة هم الملائكة لاجتنانهم واستتارهم، ونسبهن أنهن بنات الله كما زعموا، أو الجنّ، ونسبهم زواجه منهم تعالى الله عن ذلك . |
| بفاتنين : | بمضلين ومفسدين، من قولهم: فتن فلان على فلان امرأته أضلها وأفسدها عليه . |
| صال الجحيم : | أي داخل فيها مصطل بنارها . |
| مقام معلوم : | مرتبة في العبادة لا يتجاوزها، ووظيفة في الطاعة لا يتعداها. |
| ذكـرا : | أي كتابا من كتب الأولين، كالتوراة والإنجيل . |

## المعنى الإجمالي:

تتجـه آيات هذا المقطع مباشرة إلى مناقشة المشركين في مزاعمهم الباطلة حول الملائكة ـ وهو الموضوع البارز في السورة، وتحاجهم بمنطقهم مجاراة لهم كيما توقفهم على بطلان مزاعمهم، فيأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بسؤال المشركين ـ في تقريع

وتسفيه لأحلامهم - عما تنكره العقول من قسمتهم الجائرة والباطلة من جعلهم لله - في زعمهم - ما يكرهون من الجنسين وهن الإناث، ولهم ما يحبون منهما وهم الذكور، ويشتد التقريع بسؤالهم عن مصدر هذا التخريف، ومن أين لهم علمهم أن الملائكة إناث[1]؟ فهل شهدوا خلق الله لهم وعرفوا جنسهم؟ وإذ لم يشهدوا فمن أين لهم ذلك ولا علم عندهم من عقل أو نقل؟ وهكذا يتدرج السياق في نُقاشهم ويحاصرهم ليقررهم بمصدر هذا الفساد في المعتقد، إنه إفكهم الصريح بأن هؤلاء الملائكة مولودون لله، وإنهم لكاذبون فيما يقولون.

وتعود الآيات إلى تقريعهم، فكيف - بمنطقهم هم - يختار الله لنفسه البنات ويصطفيهم على البنين، ومنطق المشركين وعُرفُهم يشهد بغير هذا؟ - إن كان ثمة اصطفاء أو اختيار - فما بالهم يحكمون لله بما يكرهون من البنات ويختصون أنفسهم بما يحبون من البنين؟ أما لهم عقول يتفكرون بها فيعرفون بطلان قولهم وفساده؟ وإذ لا يملك هؤلاء حجة من حس أو عقل على قولهم - فإن النقاش ينتقل بهم إلى لون آخر من التقريع والتوبيخ، فيطالبهم بحجة واضحة من نقل مكتوب لديهم، وليأتوا بها إن كانوا صادقين فيما يزعمون؟ وحيث يفتقدون هذه الحجة أيضاً فإن السياق يعرض عن خطابهم ويحكي مقولتهم الكاذبة على الله وزعمهم وجود قرابة بينه وبين الجِنَّة، والحال أن الجِنَّة تبرأت من كذبهم وزعمهم، وتعلم أنهم - وأمثالهم - محضرون للعذاب يوم القيامة، تنزه الله وتقدس عن أن يكون له ولد، وتعالى عما يصفه به الظالمون علواً كبيراً، أما عباد الله المخلَصون المتبعون للحق المنزل على كل نبي مرسل، فهم بريئون من وصف الله بشيء من ذلك، وبعيدون عن الحضور للعذاب كما يحضر هؤلاء.

ثم تعود الآيات إلى خطابهم لتؤكد أنهم والذين يعبدونهم من دون الله، ليسوا

---

(١) كان المشركون يؤثرون الذكور على الإناث ويعدونهن أدنى منزلة ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ (النحل/٥٨)، كما كانوا يزعمون أنثوية الملائكة ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ (الزخرف/١٩)، وعن مجاهد قال: قال المشركون: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبوبكر: فمن أمهاتهن؟ قالوا بنات سروات الجن. تفسير القرآن العظيم ٤/٢٣.

بقادرين على فتنة أحد أو حمله على الكفر والضلال، وإنما ينقاد لمقالتهم وباطلهم من سبق في حكم الله أنه من أهل النار الذين يصلونها لا محالة، أما الملائكة الذين ادعى المشركون أنهم بنات الله، فتتبرأ من قول هؤلاء وتقر بعبوديتها لله، وأن لكل منهم مقاماً في العبادة وحداً لا تتجاوزه، وإنها لتقف صفوفاً في طاعتها لله وصلاتها له، فكيف يعبد من هذا حاله أو يشرك مع الله في ألوهيته؟.

ويختم هذا المقطع بمواجهة المشركين بعهودهم التي تنكروا لها، وقد كانوا قبل البعثة يحسدون أهل الكتاب، ويقولون: لو جاءنا مثل ما جاءهم من الذكر، أو كان عندنا من يذكرنا بأمر الله ونهيه وما كان من شأن القرون الأولى ـ لكنا أكثر إيماناً وإخلاصاً في عبادة الله، فلما جاءهم الذكر والكتاب المهيمن على الكتب السابقة، تنكروا لعهودهم وأعرضوا وكفروا فاستحقوا وعيد الله إياهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة كفرهم وخلفهم لعهودهم، وهو ما ذكره الله في قوله تعالى: ﴿ . . فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام/١٥٧).

## من فوائد الآيات:

١ ـ مشروعية التنزل مع الخصوم ونقاشهم، ومجادلتهم بمنطقهم لإقامة الحجة عليهم.

٢ ـ فساد مزاعم المشركين حول الملائكة؛ إذ لا أساس لذلك إلا الإفك المحض والكذب الصراح.

٣ ـ ظلم المشركين وجورهم إذ جعلوا لله ـ في زعمهم ـ ما يكرهون من البنات، ولهم ما يحبون من البنين.

٤ ـ تنزه الله وتقدسه عن أن يكون له ولد إذ لم تكن له صاحبة، فهو واحد أحد، فرد صمد.

٥ ـ لم يشهد أيّ من خلق الله أو يطلع على عملية الخلق حتى تصح شهادته، قال

تعالى: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الكهف/٥١)
﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ (الزخرف/١٩).

٦ - قصور قدرة المشركين ومعبوداتهم عن فتنة الناس، أو حملهم على الضلال والكفر.

٧ - انخراط الملائكة في مقام العبودية لله لا يخرجون عنها ولا يفترون، ومن كان عابداً لا يصح كونه معبوداً.

٨ - كذب المشركين وتنكرهم لعهودهم قبل البعثة، واستحقاقهم وعيد الله جزاء كفرهم وخلفهم لعهودهم.

## المناقشة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «شاهدون، أصطفى، الجنة، نسباً، قانتين، صال الجحيم»؟.

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وما الأسس المهمة التي انبنى عليها فساد مزاعم المشركين حول الملائكة؟ ولم كانت قسمتهم الذكور والإناث بينهم وبين الله خطلاً في الرأي؟ ومن أي الآيات نستنبط ذلك؟

٣ ـ ما مدى تأثير الكفار في غيرهم؟ وكيف نفسر انقياد كثير من الناس لهم؟ وما الحكمة في تهديد الله المشركين في نهاية المقطع؟.

٤ ـ ما منزلة الملائكة عند الله؟ وماذا نفيد من هذه المنزلة؟ وما المراد «بالذكر والأولين» الواردين في هذا المقطع؟.

٥ ـ اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.

# المقطع الحادي عشر

## تقوية العزائم ووعد الله بنصرة أوليائه

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

### معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| كلمتنا : | وعدُنا، والمراد ما فسرت به بعد ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ . |
| جندنا : | جندالله هم حزبه من رسله عليهم السلام وأتباعهم . |
| فتولّ : | فعل أمر من التولي وهو الإعراض، يعني أعرض عن المشركين واصبر على أذاهم . |
| حتى حين : | أي إلى مدة محدودة، والمراد بها مدة الكف عن قتالهم حتى يأتيه الأمر بذلك . |

أبصـرهم : انظر إليهم وارتقب ما يحل بهم، وبصرهم عاقبة ماهم فيه، وقد كرر الأمر بالتولي والإبصار بعد لتأكيد الوعيد[١].

سـاحتهم : الساحة المكان الواسع كفناء الدار، والمراد نزول العذاب بهم في محل إقامتهم.

## المعنى الإجمالي:

انتهى المقطع السابق بتهديد المشركين بإنزال العذاب بهم، ويأتي هذا المقطع مؤكداً وعد الله بنصر رسله وأوليائه، وهو الوعد الذي رأينا صوراً منه في هذه السورة، وورد ذكره في سور أخرى[٢]؛ ومنها ما معنا هنا من أن عباد الله المرسلين وأتباعهم من المؤمنين الذين هم جند الله وحزبه هم المنصورون على أعدائهم والغالبون لهم إما بالسيف والسنان، وإما بالحجة والبرهان، وأن العاقبة المحمودة لهم، ولا ينافي هذا انهزام المسلمين في بعض المواطن، فما زال وعد الله واقعاً وكلمته قائمة، وما زالت عقائد الرسل مسيطرة على قلوب البشر وعقولهم حيث ذهبت عقائد الكفار والمشركين[٣].

ومع هذا الوعد القاطع بنصرة جند الله، يجيء أمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين إلى مدة معلومة، وارتقاب ما سوف يحل بهم من كلمة الله

(١) وقيل: إن الجملة الأولى مراد بها عذابهم في الدنيا، والثانية مراد بها عذابهم في الآخرة فهي من باب التأسيس، وقد حذف مفعول أبصر في الثانية للدلالة عليه في الأولى أو لقصد التعميم فيه للإيذان بأن ما يبصره من عذابهم لا يحيط به الوصف. فتح القدير ٤/٤١٦.

(٢) من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ (غافر/٥١)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم/٤٧).

(٣) وقد يتأخر انتصار المسلمين أو يأتي في صور غير التي يرغبونها ولكنه محقق حين يشاء الله، وفي الصورة التي يريدها أبقى وأكمل مما يريدون، وغير خفيّ أن الوعد بالنصر هو للمسلمين حقاً للحاكمين بالكتاب والعاملين بالسنة، كما تفيده الإضافة في قوله: «عبادنا»، «جندنا»؛ وعلى المسلمين أن ينظروا مواقعهم من هؤلاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد/٧).

فيهم، وحينئذ فحسب سيبصرون ما أوعدوا به حيث لا ينفعهم إبصارهم، وإذ كانوا يستعجلون العذاب ويستهزئون بوعيدهم به، فإن الله يستهزىء بهم مهددا بقرب وقوعه، ويا ويلهم يوم ينزل بدارهم، ويا لسوء صباح يومهم وقد أنذروا به فلم يحفلوا بالإنذار، ويؤكد الله أمره السابق لرسوله صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين، وترقب ما يحل بهم كيما يواسيه ويسليه حتى يأذن الله بإنزال هلاكه بهم.

ويجيء ختام السورة بهذه الخاتمة المناسبة لموضوعاتها، والجامعة لتنزيه الله واختصاصه بالعزة، والسلام من الله والمؤمنين على رسله، وإعلان الحمد له وحده، وهذه الخاتمة أدب رباني، وتعليم للمؤمنين أن يقولوا ذلك ويتحلوا به في ختام أعمالهم وانفضاض مجالسهم، حيث نزهت الآيات الله تعالى عما لا يليق به، ونفت عنه ما ادعاه المشركون، ووصفته بجلائل الصفات وسمات الجلال من الربوبية والعزة وأزجت بالسلام العام على رسل الله أجمعين[1]، والأمنة والأمان لهم من العذاب والفزع يوم الدين، والحمد لله رب العالمين خالصا له وحده على ما أنعم به على عباده، ووفقهم للهداية إليه واتباع رسله عليهم السلام أجمعين، روى عن عليّ رضي الله عنه «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[2].

## من فوائد الآيات:

١ - نصرة الله لعباده المؤمنين حق عليه وسنة لا تتخلف ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح/٢٣).

---

(١) في الأثر عن أبي طلحة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين» تفسير القرآن العظيم ٢٥/٤.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٤٠/٦ بهامش تفسير الخازن.

٢ - تسلية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وتوجيهه له بإمهال المشركين، وارتقاب عذابهم الواقع بهم لا محالة.

٣ - تحقق نصر الله لرسله وتأكده بانتشار عقيدتهم في الناس حتى يوم الدين بقوة الله وعزته.

٤ - اختتام السورة بخاتمة جامعة لمعانيها مع ما فيها من أدب رباني نحو الله عز وجل ورسله عليهم السلام.

٥ - تنزه الله عن صور الشرك كلها، وانتفاء أن يكون له ولد أو صاحبة أو شريك أو قرين.

٦ - وحدانية الله وثبوت جلائل الصفات له التي تجمعها صفتا الربوبية والعزة.

## المناقشة

١ - وضح معاني الكلمات القرآنية «التالية» «كلمتنا، جندنا، تولّ، أبصرهم، ساحتهم»؟.

٢ - ما موضوع هذا المقطع القرآني؟ وما الآيات القرآنية الأخرى التي أشارت إلى هذا الموضوع؟.

٣ - «أكدت الآيات غلبة عباد الله وجنده» فكيف نفهم ما وقع لهم من هزائم سجلها تاريخهم؟.

٤ - علام يدل استعجال المشركين العذاب؟ وكيف كان الرد عليهم؟ وما الحكمة في تكرار الأمر بالإعراض عنهم وإبصارهم؟.

٥ - ماذا حوت خاتمة السورة من معان تتعلق بالله جل وعلا ورسله عليهم السلام؟.

٦ - اذكر ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.



# تفسير سورة « ص »

## بين يدي السورة

**( أ ) اسم السورة**

تعرف هذه السورة بالإسم « ص » وقد وردت هذه التسمية على لسان ابن عباس رضـي الله عنهما في الحديث التالي عنه :

**(ب) تنزلات السورة ومكيتها**

نزلت سورة «ص» بعد سورة القمر، وتأتي في المرتبة الثامنة والثلاثين من حيث نزول سور القرآن الكريم، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة نفسها (الثامنة والثلاثين).

وقد نقل القرطبي قول الجميع بمكيتها لا يعلم في ذلك مخالف، ويدل عليه ما أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس رضـي الله عنهما قال: «نـزلت سورة (ص)» بمكـة[1]، وكـذلـك ما يأتي في سبب نزول صدرها، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية[2].

**(جـ) أهم موضوعات السورة:**

تعرض هذه السورة لكثير من موضوعات العقيدة التي تعرض لها السور المكية ومنها :ـ

١ ـ التوحيد، والوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم، والحساب في الآخرة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤٢/١٥، فتح القدير ٤١٨/٤.

(٢) فيما عده الكوفيون، وست وثمانون عند غيرهم. راجع: غيث النفع ص ٣٣٦، التبصرة ص ٤٨٥.

وهي الموضوعات التي أجملتها السورة في مقطعها الأول ويأتي تفصيل لكثير من جوانبها في المقاطع التالية.

٢ - قصص لبعض الأنبياء وما فيها من أفضال الله ورحماته التي تمتلىء بها خزائنه جل وعلا.

٣ - دعـوة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأسي بالأنبياء قبله، والتطلع لفضل الله، والتزود بالصبر على ما يلقاه من المشركين.

٤ - تفصيل لمشهدين في اليوم الآخر يصوران نتيجة الحساب في الآخرة، الذي أنكره المشركون، وما يعطاه المتقون من نعيم، والمكذبون من عذاب وجحيم.

٥ - مناقشة المشركين في قضية الوحي، والاستدلال لها من قصة آدم عليه السلام وحسد إبليس له، وتلك الأحداث التي لم يشهدها محمدٌ ولا غيره، ولا علم له بها إلا من الله تعالى.

٦ - تعرض السورة لمؤثرات وعظات تتخلل الموضوعات السابقة من مثل:

أ) مصارع الطغاة من الغابرين.

ب) صفحات من العز والتمكين في الأرض، والرحمة والرعاية لأنبياء الله، داود، وسليمان، وأيوب.

جـ) صور الجزاء في الآخرة من نعيم المتقين وعذاب المكذبين.

د) قصة الحسد والغواية عند البشرية الأولى.

هـ) حقيقة بناء السماء والأرض، وما فيها من الحق الذي أرسلت به الرسل.

٧ - وتختم موضوعات السورة بالتنبيه على أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس ليست من عنده، كما لا يطلب عليها منهم أجرا، وإن لها لشأنا سوف تظهره السنون والأزمان.

## المقطع الأول

## تكذيب المشركين بالعقائد ومناقشة شبهاتهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

## أسباب النـزول :

أخرج الإمام أحمد ـ واللفظ له ـ والترمذي والواحدي من طرق مختلفة عن ابن عباس رضـي الله عنهما قال: «لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل، فقالوا: ابن أخيك يشتم آلهتنا يقول ويقول، ويفعل ويفعل فأرسل إليه فانهه، قال: فأرسل إليه أبو طالب، وكان قرب أبي طالب موضع رجل، فخشي إن دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عمه أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس[1]، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد مجلساً إلا عند الباب فجلس، فقـال أبو طالب: يا ابن أخي إن قومك يشكونك، يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول، وتفعل وتفعل، فقال: يا عم، إنما أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية، قالوا: وما هي؟ نعم وأبيك عشرا، قال: لا إله إلا الله، قال: فقاموا وهم ينفضون ثيابهم وهم يقولون: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب، قال: ونزل ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ فقرأ حتى بـلـغ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾، وفي رواية حتى بلغ ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[2]، وفي رواية أخرى حتى قوله تعالى: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾[3]

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| ص : | هذا الحرف معروف في باب الهجاء، وذكر هنا للإشارة به إلى أن القـرآن الكريم مصوغ من جنسه الميسر للعرب، ولكنه فوق ما يستـطيعون صياغته من جنس هذا الحرف، ويدل |

(١) أي أبو جهل ـ انظر الفتح الرباني ١٨/٢٥٨.
(٢) الفتح الرباني ١٨/٢٥٨ ـ ٢٥٩، سنن الترمذي ٥/٤٤، أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٦.
(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٧.

عليه ذكر القرآن بعده، وقيل: هو مما استأثر الله بعلمه[1].

والقرآن : القسم بالقرآن للدلالة على شرف قدره وعلوه عن الشك والريب، وجواب القسم محذوف، تقديره: ما أمر محمد والقرآن على ما يزعم الكفار.

ذي الذكر : أي الشرف، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ (الزخرف/ ٤٤)، ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (الأنبياء/ ١٠)[2].

الذين كفروا : كفار قريش، ورؤساؤها المطاعون فيها.

عزة : استكبار وتجبر، ومن معناها الغلبة والقهر، والمراد: استعلاؤهم بالباطل، واستكبارهم عن اتباع الحق والإيمان به.

شقاق : مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاندته، كقولهم: فلان في شق غير شق صاحبه.

فنادوا : استغاثوا حين نزل بهم العذاب، وجأروا إلى الله بإعلان توبتهم.

ولات حين مناص : المناص الفوت والتأخر؛ والمقصود ليس هذا وقت إجابتهم أو غوثهم، فلا منجى لهم ولا مهرب.

عجاب : بالغ في العجب إلى حد بعيد.

الملأ : الذين يملأون العين والقلب من الأقوام، فهم الأشراف والرؤساء، والقادة والكبراء.

---

(١) راجع في معنى هذا الحرف أقوالاً أخرى للمفسرين عند الشوكاني فتح القدير ٤/٤١٩.

(٢) ويجوز أن يكون معناه الذي فيه بيان كل شيء، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ (النحل/٨٩)، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة/١٨٥)، وقد يكون المذكِّر بالله أو المذكور المشهور، ولا تعارض أو تنافي بينها.

امشوا : المشي نقل الأقدام عن المكان، والمقصود اتركوه وامضوا عنه، واستمروا على ما أنتم عليه.

يراد : أي يريده محمد ويقصد منه الشرف والاستعلاء على قومه.

الملة الآخرة : ما أدركه العرب من الديانات المنحرفة عن التوحيد، كتثليث النصارى، وبنوة العزير في اليهودية.

اختلاق : كذب لا أساس له، افتعله محمد وجاء به من عند نفسه.

فليرتقوا : فليصعدوا إلى أبواب السماء وطرقها.

الأسباب : الحبال جمع سبب، ويطلق على ما يتوصل به إلى المطلوب، والمراد المعارج والطرق الموصلة إلى أبواب السماء.

جند ما : أي أعوان وأنصار كثيرون، ولكنهم محتقرون مختلفو الأهواء والأغراض.

مهزوم : مغلوب منكسر، أصله من الهزم وهو غمر الشيء بالماء وتغطيته حتى يختفي.

الأحزاب : جمع حزب وهو الفرقة، والمراد: الجموع المجتمعة للخلاص من محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته.

عاد : هم قوم هود الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية.

ذو الأوتاد : صاحب البنايات التي تقوم في الأرض كالأوتاد، أو الجموع والجنود التي تحمي الملك وتثبته.

ثمود : قوم صالح الذين أهلكهم الله بصيحة جعلتهم كهشيم المحتظر.

أصحاب الأيكة : الأيكة الشجر الملتف بعضه على بعض، وأصحابها قوم شعيب، الذين أهلكوا بعذاب الظلة.

أولئك الأحزاب : المقصود الأشد قوة والأكثر منعة، فما نفعهم شيء من ذلك عند نزول العذاب بهم.

ينظر هؤلاء : ينتظرون كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (الحديد/١٣) .

صيحة واحدة : هي النفخة الأولى عند قيام الساعة ؛ والمراد بالكفار: المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم وهو المناسب للسياق[1] .

فواق : الزمن بين حلبتي الناقة ، والمراد أن عذابهم إذا جاء لا يرد ولا يتوقف ويعود ثانية .

قِطَّنا : القط الحظ والنصيب، والمراد ما يستحقونه في الآخرة من شر أو خير طلبوا تعجيله في الدنيا .

## المعنى الإجمالي :

تبدأ هذه السورة وتفتتح بهذا الحرف «ص» الذي يتألف منه ومن غيره القرآن الكريم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يقسم الله بهذا القرآن الشريف، الذي فيه العز والشرف والهدى والنفع على صدق محمد فيما جاء به قومه من هذا الدين وعقائده، وهذا الوحي العظيم الذي استحق قسم الله به، وأن أمر محمد صلى الله عليه وسلم ليس على ما يزعمونه فيه .

وإذ كان الكفار - في حقيقتهم - يعلمون ذلك كله، فإن سياق الآيات يضرب عنه، ليبين لنا سبب كفرهم، وتهويشهم على محمد صلى الله عليه وسلم، إنه استكبارهم عن اتباع الحق ومشاقتهم هذا القرآن العظيم، وحرصهم على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم يخوفهم القرآن ويتهددهم بما فعله بالأمم المكذبة من قبلهم، التي كانت أمنع من هؤلاء، وأشد قوة، والتي استكبرت على

(١) وقيل: إنها النفخة الثانية عند البعث، والمراد بهؤلاء كفار الأمم المذكورة، وقيل: إنها عذاب يفجأ المشركين في الدنيا.

الإيمان واتباع الحق، وشاقت رسلها مثل مشاقتهم، ويعرض السياق صفحة من هلاك هؤلاء ودمارهم، الذي لم يمنعه عنهم استكبارهم عن الحق، أو يدفعه تخليهم عن المشاقة وإعلانهم التوبة ولجؤوهم إلى الاستعطاف والاستغاثة؛ إذ قد فات أوان ذلك ولا منجى لهم من عذاب الله وإهلاكه إياهم، فلينظر هؤلاء عاقبتهم، وليتدبروا ويتعظوا بما وقع لغيرهم.

ولكن هؤلاء المشركين لم ينظروا ولم يتعظوا، وجرفتهم عزتهم، وجرهم شقاقهم إلى الهاوية والهلاك، فهم يعجبون أشد العجب أن يأتيهم رسول منهم بشر مثلهم، ينذرهم العذاب إن استمروا على الكفر، كأن الرسالة ـ في تصورهم تتنافى مع البشرية التي تضرب لهم القدوة في تحمل منهج الله، ويمكنها التعامل معهم وقيادتهم؛ ولأن هؤلاء في عزة وشقاق، كان هذا الشيء الواقعي موضع عجبهم، وموضوع تكذيبهم، واستبعدوا وحي الله لبشر مثلهم، ورموه بالسحر والكذب تهويشاً منهم على الحق الواضح في حديثه، وتنفيرا للناس منه ومن الصدق المعروف عنه، وهكذا يصنع الكبراء وأهل الباطل كلما ووجهوا بالحق وأهله، وتهددت مراكزهم وأوضاعهم الظالمة.

ويستعرض سياق الآيات وجوه شبهتهم في تكذيب الرسول، التي تكشف عن شقاقهم واستكبارهم، فهم يستنكرون ـ في شقاق وعجب شديد ـ أن يصرفهم محمد صلى الله عليه وسلم عن آلهتهم المتعددة ـ والتي وجدوا آباءهم على عبادتها ـ إلى إله واحد يختصونه بعبادتهم، فهذا ـ في نظرهم ـ غاية العجب والدهشة، ثم هم لا يكتفون بالإنكار والعجب، بل ينطلق كبراؤهم في القوم يوصونهم ويتواصون معهم بالثبات على عبادتهم وشركهم والصبر على عيب محمد آلهتهم؛ إذ إن ما يأتيهم به يريد به شيئاً آخر وراء دعوته، وهم أعلم الناس بهذه الأمور، التي لا يستطيع مقاومتها غير الكبراء الساهرون على عقائد الناس ومصالحهم، فليطمئن الناس إلى موروثاتهم ولا يعيرون دعوة محمد اهتماماً.

ثم تحبك خيوط المخالفة والاستنكار، ويموه الكبراء على الناس ويغشونهم عندما

يردون قضية التوحيد كلها إلى ظواهر العقائد الآخرة، والملل الباقية، التي انحرفت عن التوحيد الخالص، واستبدلت به صوراً قبيحة من الشرك، زاعمين أنهم ما وجدوا فيها هذا التوحيد الذي يقول به محمد، وعلى هذا فليس قول محمد عن التوحيد إلا اختلاقاً وكذباً لا سند له من عقل أو دين.

وهنا يستنفد الكبراء مظاهر الشقاق والمخالفة، وينكشف المخبوء لديهم، وتظهر العزة والحسد والجحود والظلم كلها تمشي على أقدامها «أأنزل عليه الذكر من بيننا»؟ ولقد كانوا يطمعون ـ كلما سمعوا أن نبياً جديداً أطل زمانه ـ أن ينزل الذكر على كبير أو شريف منهم كما حكى القرآن الكريم عنهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف /٣١) هكذا، فالقضية عندهم هي ـ فحسب ـ قضية شخصية محضة بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم، وكأنهم يصدقون بهذا الذكر والوحي.

ويضرب السياق عن طمعهم وحسدهم، ويرد على تساؤلهم، مهدداً إياهم ومسجلاً عليهم شكهم في هذا الذكر وعدم تصديقهم به، لإهمالهم الأدلة التي تشهد أنه حق من عند الله، وتوجب استيقانهم به، ثم يضرب السياق مرة أخرى عن قولهم في الذكر وشكهم فيه، ليكشف لنا سبب ذلك، إنهم لم يذوقوا العذاب بعد، واغتروا بإمهال الله لهم، فأما حين يذوقون العذاب فلن يقولوا من هذا شيئاً، وسيعرفون أنه الحق الذي فاتهم أوان التصديق به.

ويناقش السياق مسألة استكثارهم النبوة على محمد صلى الله عليه وسلم و اختياره لها من بينهم، فيسائلهم متهكماً بهم وبسوء أدبهم مع الله إن كانوا يملكون خزائن رحمة الله حتى يحق لهم منح هذا ومنع ذاك؟ أم أن هذا المنح والمنع من حق الله العزيز الغالب والوهاب الكريم الذي هو أعلم حيث يجعل رسالته[1]؟؛ وإذ لا يملكون ذلك

(١) قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ . . . ؟﴾ (الزخرف/٣٢) ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ . . ﴾ (الإسراء/١٠٠).

فهل يملكون السماوات والأرض وما بينهما، وتدبير أمور هذا الكون وتصريفها، حتى يتكلموا في الشئون الغيبية، ويعترضوا على اصطفاء الله واختياره لمن يشاء؟ إن كان الأمر كذلك ـ وهو غير كائن ـ فليصعدوا إلى السماوات العليا ليدبروا أمر هذا الكون، ويتحكموا في خزائن الله، ليبلغوا ما يريدون، ولكن أنى لهم ذلك، وهم كم مهمل لا حول لهم ولا طول، ولا شأن لهم فيما يجري في ملك الله، بل هم جمع مختلف، وجند متناكر عاقبتهم الهزيمة والفرار، ونهايتهم الهلاك والاندحار، كما حكى الله عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر/ ٤٤ ـ ٤٦).

ويضرب الله الأمثال لكفار قريش من الأمم السابقة الذين كذبوا رسلهم، واستكبروا استكبارهم، وكانوا أشد منهم قوة فكانوا هم الأحزاب الأقوياء حقاً، ولكنهم حقت عليهم كلمة الله[1]، واستوجبوا عقابه وعذابه، كما تنطق بذلك آثارهم الباقية، أما هؤلاء المشركون والكفار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فمتروكون لمصيرهم السيء الذي ينتظرونه عندما يأذن الله بخراب العالم وقيام الساعة، وما هي إلا صيحة واحدة لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون، وعندها سوف ينالون نصيبهم من الحساب والعذاب الذي أنكروه في الدنيا وتهكموا به وتعجلوه قبل موعده، ولم يدركوا نعمة الله في إمهالهم وعدم تعجيل العذاب بهم في الدنيا كغيرهم من الأمم، وهو الذي حكاه الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال/٣٢).

## من فوائد الآيات:

١ ـ وقوع الاقسام من الله بالقرآن تعظيماً له وتنويهاً بشرفه وجلاله.

(١) وهؤلاء على ترتيب الآيات لهم قوم نوح وقوم عاد، وفرعون وقومه، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقد أهلكوا إما بالإغراق أو الريح الصرصر، أو انطباق البحر عليهم، أو الصيحة أو الرجم والخسف، أو عذاب الظلة.

٢ ـ إن إعراض المشركين عما آتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم كان كبراً وعناداً وظلماً وجحوداً، ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام/٣٣).

٣ ـ أن شبه المشركين في عدم الإيمان هي نفسها شبه كفار الأمم السابقة (بشرية الرسول، إتيانه لهم بما لا يعرفه آباؤهم والسابقون عليهم، اختصاصه بالوحي دونهم).

٤ ـ تولى كبراء قريش معارضة محمد صلى الله عليه وسلم وتشنيعهم عليه وعلى دعوته، لصرف الناس عنها وحماية مراكزهم التي لا بقاء لها إلا بإخفاء حقائق الأمور عن الناس.

٥ ـ حسد المشركين لمحمد على اختياره للنبوة دونهم، ولم يكن واحداً من كبرائهم أو عظيماً من قريتيهم.

٦ ـ أن الله العزيز الوهاب هو الذي يمنح الخير لمن يصطفيهم من عباده؛ لأن عنده خزائن رحمته وبيده مقاليد السماوات والأرض وما بينهما، وهو ﴿ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام/١٢٤).

٧ ـ أن كفار الأمم السابقة كذبوا رسلهم مثل تكذيب المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم فعاجلهم الله بعقوبتهم في الدنيا، أما مشركو هذه الأمة فعقابهم مؤجل ليوم الحساب.

٨ ـ استعجال المشركين للعذاب واغترارهم بإمهال الله لهم، ولو ذاقوا عذابه كغيرهم ما كان هذا قولهم.

٩ ـ ضرب الأمثال بهلاك كفار الأمم السابقة، للاتعاظ بهم وتجنب تكذيب الرسول، والتنكر للدين وأصوله.

## المناقشة

١ - وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «ص ، ذي الذكر، عزة ، شقاق، مناص، الملأ، الملة الآخرة، اختلاق، فليرتقوا، الأسباب، الأحزاب، الأيكة، فواق ، قطنا».

٢ - ما الموضوع الرئيسي لهذا المقطع من سورة «ص»؟ وما سبب نزول صدر هذه السورة؟.

٣ - ما الحكمة من قسم الله بالقرآن الكريم هنا؟ وماجواب القسم؟ وما سبب استكبار المشركين عن اتباع الحق؟.

٤ - ما الحكمة من ذكر إهلاك الأمم السابقة؟ وما المقصود بالنداء في قوله : «فنادوا»؟ ولم لا ينفعهم هذا؟.

٥ - وضح - بإيجاز - وجوه شبهة المشركين في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وكيفية الرد عليها.

٦ - لماذا يتولى الأشراف والكبراء من القوم مقاومة دعوات الحق والخير؟ وما أسلحتهم في ذلك؟.

٧ - «كشفت الآيات عن السبب الحقيقي لعناد الكفار واستكبارهم» وضح هذه العبارة في ضوء الآيات التي قررتها.

٨ - كيف رد الله على المشركين استكثارهم النبوة على محمد صلى الله عليه وسلم؟ وبماذا وصف الله أحزابهم؟.

٩ - ما الحكمة في إهلاك مكذبي الأمم السابقة وإمهال المكذبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟.

١٠ - اذكر أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.

## المقطع الثاني

### قصة داود وفضل الله عليه

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ما يقولون : | اسم الوصول المبهم مراد به ما حكاه الله من أقوال المشركين وشبههم في المقطع السابق. |
| ذا الأيد : | صاحب القوة والجلد في العبادة والعمل وغيرهما، وصاحب السلطان والحكم . |
| أواب : | كثير الرجوع إلى الله في شئونه، أصله من الأوب وهو الرجوع . |
| بالعشي والإشراق : | يعني في وقتي العشاء والضحى (آخر النهار وأوله) . |
| محشورة : | مجموعة له، وصافات في الهواء تسبح بتسبيحه . |
| وشددنا ملكه : | قويناه وثبتناه بالهيبة له من أعدائه ونصرته عليهم، وكثرة جنوده ونفوذ كلمته . |
| الحكمة : | العلم والفهم، وإتقان العمل . |
| وفصل الخطاب : | حسن البيان والفصل في القضاء والخصومات . |
| هل أتاك : | الاستفهام للتعجيب والتشويق إلى سماع ما يرد بعده. |
| نبأ الخصم : | النبأ الخبر المهم، والخصم مصدر يقع على الواحد والجماعة، والمراد المتقاضيأن عند داود . |
| تسوروا المحراب : | المحراب الغرفة التي يتعبد فيها أو صدر المجلس، وتسوره إتيانه من أعلى سوره وهو حائطه المرتفع. |
| ففزع : | الفزع انقباض وخوف يعتري الإنسان فجأة من وقوع ما يخشى منه. |
| بغى : | اعتدى وظلم، أصله من البغي، وهو تعدي حد الشيء وتجاوزه. |

لا تشـطـط : لا تجُر في الحكم، أو تمل عن الحق .

سواء الصراط : وسـط الطريق، والمراد: أرشدنا إلى الحق والطريق السـوي .

نعجـة : هي الأنثى من الضأن والشياه .

أكفلنيها : أنزل لي عنها، واجعلها في كفالتي ونصيبي .

وعزني في الخطاب : غلبني في الحجاج، ولم أستطع لحججه رداً أو دفعاً.

الخلطـاء : جمع خليط، وهم الشركـاء الـذين يخالط بعضهم بعضا في الممتلكات والمعاملات .

وظن داود أنما فتناه : أي علم وأيقن أنا ابتليناه واختبرناه بهذا، واستخدام الظن في معنى العلم واليقين كثير في اللغة، كقوله تعـالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ (الحاقة/٢٠) .

خر راكعاً وأناب : هوى بالسجود ورجع إلى ربه بالتوبة من ذنبه .

لزلفى وحسن مآب : الـزلفى القـربى والكـرامة، والمآب حسن المرجع إلى الله، والمراد به الدرجات العالية في الجنة .

الهـوى : انفعال النفس وعدم التريث والتثبت قبـل الحكم والقضـاء .

سبيل الله : طريق الحق، والصراط المستقيم .

## المعنى الإجمالي:

تجيء مقاطع السورة من هنا حتى نهايتها بتفصيل لكثير مما أجمل في صدرها، ويبدأ هذا المقطع بتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على ما سمعه ويسمعه من أقوال المشركين التي ذكرت من قبل، وهو منهج الأنبياء عليهم السلام من قبله، حيث كان الصبر زادهم في تحملهم لأذى أقوامهم، ومع هذا الصبر الذي وجه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستذكر حياة إخوانه من الأنبياء، ليتأسى بهم ويتسلى بما لا قوه في حياتهم، ومن هؤلاء عبـدالله ونبيه داود عليه السـلام، صاحب القوة

والسلطان، الذي لم يستبد بقوته أو يتجبر بسلطانه، شأن المشركين وكفار الأمم، بل سخر قوته وسلطانه في طاعة الله وعبادته، فكان كثير الاستغفار والرجوع عما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه.

وتعدد الآيات بعضاً من أفضال الله على داود ونعمه عليه، ومظاهر عبوديته لله مع سلطانه وقوته، حيث تشارك معه في عبادة الله وذكره، جبال الأرض الجامدة وتمسي وتصبح مسبحة معه بحمد الله، وتجتمع حشود الطير العجماوات ترجع ترتيله وتقديسه لله لتصنع هذه وتلك مع نبي الله حقيقة واحدة في العبودية لله، تنزاح معها حواجز الأجناس والأشكال بين مخلوقات الله جميعاً، وهذا وذاك لنبي الله داود من هبات الله وخزائن رحمته - التي استكثر المشركون أن يعطى محمد صلى الله عليه وسلم منها فضل النبوة والرسالة.

وفوق هذه الهبات العظيمة، فقد قوى الله ملك داود وثبته، بتكثير جنوده وأتباعه ونفوذ كلمته وهيبته، وسرعة نصرته على أعدائه ومن حاربه، وآتاه الله الفهم والعقل، ووضع الأمور في مواضعها بحكمة وحزم، لا يعهدان لغيره من الحكام وأصحاب السلطان، وإلهام الله له فصاحة القول، والقطع في خصومات الناس، وإصابة وجه الحق والعدل في أحكامه.

ومع هذا الفضل الكبير لداود عليه السلام، فقد تعرض - شأن البشر الضعفاء - للفتنة والابتلاء، التي يحكي قصتها هذا المقطع، بإثارة عجب الرسول صلى الله عليه وسلم وتشويقه إلى سماعها، واتخاذ العظة منها؛ وتبدأ واقعة الابتلاء عندما فوجىء داود عليه السلام - وهو يتعبد في غرفته - بمن يعتلي سورها ويقطع عليه خلوته، فأوجس خيفة في نفسه ولم يسترح لطريقة دخول الداخلين، ولكنهما أسرعا بطمأنته وإزالة خوفه، فأعلنا عن حالهما وشأنهما من التخاصم، وظلم أحدهما للآخر، وغرضهما في أن يحكم داود بينهما بالحق والعدل الذي عرف به، ولا يجر على أحدهما أو

يمل للآخر في حكمه، بل يدلهم إلى الطريق السوي، ويرشدهم إلى مقطع الحق الفاصل بينهما.

ويبادر أحد الخصمين بتفصيل الخصومة وعرض دعواه بقوله: إن هذا أخي في الدين ويملك تسعاً وتسعين شاة وأملك شاة واحدة، فأرادني على أمتلاك هذه الواحدة وضمها إلى غنمه، وغلبني في الحجاج والمجادلة بما لا حول لي معه ولا طول، ويستطرد إلى بيان أن مثل هذا الظلم، يقع من كثير ممن يتعاملون معاً وتختلط مصالحهم وتتشابك، فيعتدى بعضهم على بعض، حباً في الدنيا وشحاً في النفوس، إلا من يخافون ربهم ويؤمنون به، ويقومون بصالح الأعمال، فإن نفوس هؤلاء تعزف عن الظلم وتخشى خالقها، وما أقل هؤلاء عدداً وأندرهم وجوداً.

وعندئذ ـ فحسب ـ تنبه داود وعلم واستيقن أن ما جرى من الخصمين، وقضاءه بينهما بهذه السرعة ودون تثبت، لم يكن إلا ابتلاء له واختباراً لتثبته في القضاء وعدم تعجله فيه، وهنا أدركت داود طبيعته الأوابة، فاستغفر ربه مما ألم به، ووقع ساجداً لله وراجعاً إليه بالتوبة، فغفر الله له ما وقع منه مما يعد من مثله ذنباً؛ لأنه من المقربين إلى الله، وله عنده من الكرامة وحسن المرجع ما أعده الله للمقربين.

وينتهي هذا المقطع بالتعقيب على هذه القصة، وإخبار داود باستخلافه في الأرض على عباد الله، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويقيم فيهم حكم الله وشرعه، ومن ثم يوصيه الله ويأمره ـ ومن خلفه من الحكام والقضاة ـ أن يلزم الحق والعدل، الذي هو حكم الله بين عباده وخلقه، وألا ينساق وراء الأهواء الذاتية والأغراض الشخصية، التي تنحرف بحكمه عن طريق الحق وصراط الله المستقيم؛ ولأن من كان هذا شأنهم في ترك الحق، والضلال عن سبيله، لهم من الله العذاب الشديد يوم الحساب، لنسيانهم هذا اليوم الذي يحاسب فيه الناس، ويقضي بينهم بالحق، فلا تظلم نفس شيئاً، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧).

## من فوائد الآيات :

١ ـ أن الصبر عدة الداعي وأمضى وسائله، وقد كان طريق الأنبياء عليهم السلام، «وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر»[1].

٢ ـ تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته على ما لقي من أذى قومه وعنادهم وتكبرهم عن اتباع الحق.

٣ ـ علو مقام عبودية داود لله وقوته في طاعته فقد كان كثير التوبة والذكر، وعبادته أحب العبادة إلى الله.

٤ ـ فضل الله الكبير على داود والذي منه قوة الملك مع العقل والحكمة، والنبوة والإصابة في القضاء ومقام القربى من الله، وكلها رد على المشركين في استكثارهم النبوة على محمد صلى الله عليه وسلم.

٥ ـ تسبيح المخلوقات وتقديسها لخالقها ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء/٤٤).

٦ ـ حصول الابتلاء، والامتحان لداود عليه السلام كما حصل لغيره من الأنبياء والمرسلين.

٧ ـ أن دستور الحكم والقضاء بين الناس قيامه على الحق المنزل من عند الله وتجرده عن الهوى المضل عن سبيله.

٨ ـ وعيدالله لمن يؤثر الهوى في حكمه ويحيد عن الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض.

٩ ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ سجدة سجدها صلى الله عليه وسلم كما سجدها داود عليه السلام. والراجح أنها سجدة شكر[2].

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم من رواية أبي سعيد الخدري، وقد أخرجه كذلك من رواية صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» صحيح مسلم كتاب الزكاة باب فضل الصبر ٢/٧٢٩، كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٩٥.

(٢) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢ / ٥٥٢، ٥٥٣، ٨ / ٥٤٤.

## المناقشة

١ - وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «الأيد، أواب، محشورة، لا تشطط، وعزني، لزلفى».

٢ - ما موضوع هذا المقطع؟ وما العلاقة بينه وبين سابقه؟ وضح - ما أمكنك - جوانب هذه العلاقة؟.

٣ - بماذا وجه الله رسوله صلى الله عليه وسلم في بداية هذا المقطع؟ ولماذا كان التوجيه بهذين هنا؟.

٤ - اذكر ما تعرفه من فضائل الله على عبده داود عليه السلام؟ وما الذي اختص به من هذا الفضل؟.

٥ - ما الفتنة التي ابتلى بها داود عليه السلام؟ ومن أي شيء استغفر ربه؟ دلل على ما تقول؟.

٦ - لماذا فزع داود من دخول الخصمين عليه؟ وكيف زال خوفه وفزعه منهما؟.

٧ - ما الذي أرشدت إليه الآيات من أصول التقاضي وقواعد الفصل في الخصومات؟.

٨ - اذكر أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع القرآني، مع شرح واحدة منها؟.

## المقطع الثالث

### قيام الكون على الحق والعدل، وقصة سليمان عليه السلام

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| باطـلاً : | لعباً وعبثاً كما قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون/١١٥). |
| الفجـار : | جمع فاجر وهو الفاسق المائل عن الحق في توحيد الله وطاعته إلى باطل الشرك به ومعصيتـه . |
| مبارك : | كثـير الخير والبركة ، لما فيه من هدي الناس وإرشادهم إلى سعادتهم الدنيوية والأخروية . |
| ليدبروا : | ليتفكروا ويتأملوا في آياته ومعانيها ، وما تقرره من الحق الذي تقوم عليه الدنيا والآخرة . |
| وليتذكر أولو الألباب : | ليتعظ أصحاب العقول ويعتبروا بخلق الأكوان وقيامها على الحق ، وحسابهم في الآخرة بالعدل والحق . |
| الصافنات : | جمع صافن ، وهـو من الخيل التي تقف على ثلاثتها وطرف حافر اليد الرابعة . |
| الجيـاد : | جمع جواد ، وهو من الخيل السريع العدو ، كما يقال : جواد للسريع البذل والعطاء من الناس . |
| الخيـر : | الخـير معـروف ، والمراد به هنا الخيل ، وفي الحديث «الخيل معقود في نواصيها الخير»[1] فكأنها سميت خيراً لهذا . |
| توارت بالحجاب : | أي الشمس اختفت بحجـاب الليل يدل على ذلـك مقـام الكلام ، وذكر لفظ «العشي» في الآية . |
| طفـق مسـحاً بالسوق والأعناق : | عقـرهـا ونحـرهـا كما شغلته عن طاعة الله من باب تأديبه لنفسه ، وتصدق بلحمها . |

(١) أخرجه مسلم عن عروة البارقي ـ كتاب الإمارة ، باب الخيل في نواصيها الخير ، الصحيح ٣/١٤٩٣ .

فتنا سليمان : ابتليناه واختبرناه في شأن من شئونه الدينية أو الدنيوية مما يعلمه الله .

جسداً : الجسد: جسم الإنسان والجن والملائكة وغيرهم، والمراد به: شيطان جلس على كرسي سليمان في صورته .

رخاء حيث أصاب : أي لينة الهبوب تجري بأمره حيث قصد وأراد، ولاينافي رخاوتها هنا وذهابها حيث يريد ما في قوله تعالى:

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ (الأنبياء/٨١) لأنها تكون تارة رخاء وتارة عاصفة على ما يريده سليمان، وهي حال ذهابها تكون حيث أراد، لكنها في إيابها تكون إلى محل إقامته بالأرض المبارك فيها[1] .

مقرنين في الأصفاد : موثوقين ومربوطين في الأغلال والأكبال، لعصيانهم عن العمل أو إساءتهم فيه .

## المعنى الإجمالي:

انتهى المقطع السابق بدعوة داود عليه السلام - والحكام والقضاة من ورائه - بالتزام الحق في القضاء بين عباد الله، وتهديد من يتجاوزه بالعذاب الشديد عند الحساب في الآخرة، ويبدأ هذا المقطع بإبراز قيمة الحق والتنبيه إلى قيام الأكوان كلها في الدنيا والآخرة على هذه القيمة العظيمة، حيث ينفي الله - سبحانه وتعالى - أن يكون خلقه السماوات والأرض وما بينهما عبثاً لا قصد منه ولا حساب وراءه، كما هو ظن الذين كفروا بربهم، ولم يتدبروا آياته في خلقه، واعتقدوا ألا قيامة بعد هذه الحياة، وما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع . . . ، بل خلق الله الخلق لحكم وأسرار عالية وفي إتقان ودقة تشهدان بالمعاد والحساب وعدم ترك الناس سدى وهملاً .

هذا ولا يخفى ما في ظن الكفار وقولهم من تعطيل لحكمة الله وأسراره في الخلق

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٤/٦٧٧ .

وإهدار للحق والعدل اللذين قام عليهما خلق الله، ويا ويل هؤلاء الكفار حينئذ من النار التي أعدت لهم مستقراً ومقاما، جزاء ما اجترحوا من ظنهم الباطل واعتقادهم الفاسد، وإنكارهم لليوم الذي تجازى فيه كل نفس بما كسبت، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة/ ٧ ـ ٨).

وهنا يبين السياق أن مقتضى الحق الذي قام عليه نظام الخلق كله وسار عليه ناموسه، أن يحاسب الناس في اليوم الآخر بالحق، وتقوم عقائدهم وتوزن أعمالهم بالحكمة والعدل، فلا يكون الذين آمنوا بربهم وأفردوه بالعبادة وأصلحوا أعمالهم، فأدوا ما يجب لله وخلقه على نحو ما أتتهم به رسلهم، كمن كفروا بالله وأفسدوا في الأرض، لا دين يمنعهم ولا زاجر يردعهم؛ كما لا يكون قدر المتقين والمحسنين من الأولين، كقدر الفساق والفجرة من الآخرين، شتان بين هؤلاء وأولئك.

وإذا كان هذا الأمر الذي تقرره الفطر السليمة والعقول الصحيحة، التي لا تقبل مساواة المصلح بالمفسد أو التقي بالفاجر، فإن هذا عين ما يقرره القرآن الكريم، الذي أنزله الله هادياً للناس ومرشداً لهم إلى ما فيه نفعهم وخيرهم في أولاهم وأخراهم، وليتفكروا في هديه ويتأملوا دلائله، ليصلوا إلى هذا الخير والنفع، ويعرفوا ما يقرره من الحق والعدل، وهو ما ينبغي أن يتدبره المتدبرون، ويذكره ويتعظ به ذوو الألباب والعقول.

ويستأنف سياق الآيات ـ بعد إبراز هذا الحق الذي أمر به داود ـ عرض نعم الله عليه التي تتجلى هنا في عقبه وولده سليمان، الذي وهبه إياه وأسبغ عليه من نعمه وأفضاله، وما عرض له من الفتنة والابتلاء، وتمتدح الآيات سليمان عليه السلام، الذي كان على منهج أبيه في مقام العبودية والرجوع إلى الله كثيراً بالتوبة والاستغفار، وتذكر حالاً من مقاماته في الطاعة والعبودية، وهو حبه المفرط لحب الخيل المرابطة في سبيل الله، حين استعرضها آخر النهار، ليتفحص أحوالها، ويطمئن إلى صلاحيتها لمهامها في الغزو.

وحين اطمأن إليها وهي واقفة ساكنة في صفون واطمئنان، وارتاح إلى جودتها وهي جارية مسرعة، علل شغفه بالخيل واهتمامه بها وحبه لحبها، بأن ذلك عن أمر الله وذكـره، وليس عن شهوة دنيوية أو هوى شخصي؛ فلما بعدت الخيل المسرعة عن ناظره، وعندما شغلته عن طاعة ربه بتأخير صلاة العصر عن وقتها أمر أتباعه القائمين على أمر الخيل أن يرجعوها إليه، فلما أعادوها شرع بنحرها وعقر أعناقها ليتصدق بلحمها.

وكما فتن الله داود وابتلاه بالخصمين، فتن ولده سليمان وابتلاه بما شاء وعلم، فغفل مرة في عمل من أعماله عن تعليقه بإرادة الله ومشيئته، فكان ما كان من إلقائه على كرسيه جسداً لا حول له ولا طول[1]، ورجع سليمان إلى ربه طالباً المغفرة على ما فرط منه، وأن يهبه الله مع النبوة ملكاً مخصوصاً متميزاً عن كل ملك يأتي بعده، ولا يكون مكـرراً أو معهوداً فيما يعرفه الناس من الملك؛ إذ ليس ذلك ببعيد على الله الكثير المواهب والعطاء، العظيمة موهباته ومعطياته.

ويستجيب الله لطلب سليمان ويعطيه من الملك والسلطان ما لم يعط لغيره، فيذلل لطاعته الريح تجري لينة طيعة، ومع قوتها وعصفها لا تمتنع عليه ولا تحيد عن جهة يوجهها إليها، ولا شك أن هذا من الله معجزة لسليمان عليه السلام، ونوع من إنقاذ إرادة الله في تسيير الريح وإجرائها بتوجيه إرادة عبده ونبيه إلى ما يريده الله، على نحو ما يقول الله: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾ (التوبة/١٤) ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ (الأحزاب/٦٠)، كما يذلل لأمره الشياطين فمنها من تبني له ﴿ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ (سبأ/١٣)، وغير ذلك من الحصون

---

(١) ونعرض هنا عما روي من قصص الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان وتمثل الشيطان بسليمان عليه السلام وغير ذلك من الأباطيل التي دست على المسلمين ولا تتفق مع عصمة الأنبياء وجلائل أعمالهم ومنع تمثل الشياطين بهم.

والقصور والعمائر والجسور، ومنها من تغوص له في البحار تجلب الدر والأصداف، واللؤلؤ والمرجان، ومنها من يسيء في عمله ويفسده، أو يتمرد عن العمل فيعاقب بقيده في السلاسل والأغلال، كفًا لشره وعظة لغيره.

ويتم الله ـ سبحانه وتعالى ـ عطاءه الدنيوي لنبيه سليمان عليه السلام بإعلانه أنه مطلق اليد فيما وهب من سلطة ومن نعمة يعطي من يشاء كيف يشاء، ويمسك عمن يشاء قدر ما يشاء دون رقيب ولا حسيب، ثم زاد في إكرامه إياه بتأكيد ما له عند الله من الكرامة والقربى وحسن المرجع في الآخرة، وغير ذلك مما هو خير وأبقى من ملك الدنيا ونعيمها.

## من فوائد الآيات:

١ ـ قيام الخلق والأكوان في الدنيا على الحق، ثم حساب الخلق في الآخرة بالعدل والحق.

٢ ـ اختلاف جزاء المؤمنين المصلحين في أعمالهم عن جزاء المفسدين، وتميز المتقين البررة عن الفساق والفجرة.

٣ ـ اقتفاء سليمان منهج أبيه في عبوديته لله، والرجوع إليه بالتوبة والاستغفار مما استحق مدح الله له.

٤ ـ استجابة الله لسليمان في هبته ملكاً متميزاً لم يهبه لأحد من بعده، فسخر له الريح تجري بأمره حيث أراد، وذلل له الشياطين تعمل ما يشاء من الحرف والصناعات.

٥ ـ أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه فسليمان ـ عليه السلام ـ لما نحر الخيل التي شغلته عن ذكر ربه عوضه الله عنها الريح التي تجري بأمره وتحمله كما ذكر ذلك المفسرون.

## المناقشة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «باطلا، الفجار، الصافنات، توارت، طفق، رخاء، مقرنين».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع القرآني؟ وما علاقة خلق السماء والأرض وما بينهما بقصة داود في المقطع السابق؟.

٣ ـ ما ظن الذين كفروا المشار إليه في المقطع؟ وكيف تقيم الدليل على قيام الكون في الدنيا والحساب في الآخرة على الحق والعدل؟.

٤ ـ عرضت الآيات لمقام محمود من عبودية سليمان، إعرض لهذا المقام كما فهمته وبما يزيل الشبهة الواردة عليه.

٥ ـ ما الفتنة التي تعرض لها سليمان عليه السلام؟ وكيف ترد على المرويات غير الصحيحة في هذا الأمر؟.

٦ ـ ما مظاهر هبة سليمان ملكاً متميزاً؟ وما معنى جريان الريح بأمر سليمان وهي لا تجري إلا بأمر الله؟.

٧ ـ «نوهت الآيات بعطاء الله لسليمان وإطلاق حريته وتصرفه فيما أعطي» اشرح هذه العبارة.

٨ ـ اذكر ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.

# المقطع الرابع

## قصة أيوب ومن ذكر من الأنبياء عليهم السلام

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

### معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| نادى ربه : | دعاه واستغاث به، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ (الأنبياء/٨٤). |
| مسني الشيطان : | المس واللمس كلاهما مباشرة الجلد بها يمسه ويلامسه، والمراد ما وقع لأيوب من الأذى والضر وقد نسب أيوب ـ عليه السلام ـ مصابه إلى الشيطان مراعاة للأدب مع الله . |

بِنُصْب : النَّصْب والنَّصَب التعب والإعياء من مجاهدة مرض جسمي ونحوه .

عذاب : ألم يضر البدن كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأنبياء/٨٣) .

اركض : الركض دفع الشيء وتحريكه بالقدم، ومنه ركض الفرس والدابة حثاً لها على العدو .

مغتسل، وشراب : المغتسل الماء الذي يغتسل به، والشراب الماء الذي يشرب منه، والظاهر أن مغتسله وشرابه من ماء واحد .

ضغثاً : الضغث : هو عثكال النخل بشماريخه وقيل : الحزمة من أعواد نباتات مختلطة كالعشب والكلأ وأغصان الشجر ونحوها .

تحنث : من الحنث وهو الإثم، ويطلق على فعل شيء حلف على تركه أو ترك شيء حلف على فعله .

أولي الأيدي : أصحاب القوة في طاعة الله وعبادته، وقيل : أصحاب النعم المنعَم عليهم من الله أو المنعمون على غيرهم .

والأبصار : جمع بصر، والمراد البصيرة النافذة، والفقه في الدين ومعرفة أسراره .

أخلصناهم : استخلصناهم وجعلناهم خالصين لغرض واحد لا يخلطونه بغيره .

خالصة : أي خصلة خالصة لا شوب فيها، والمراد: خلاص قلوبهم من حب الدنيا، وخلوصها لحب الآخرة وذكرها .

ذكرى الدار : أي تذكرهم الدائم للدار الآخرة، وعملهم الدائب لها رجاء في الله ورغبة فيما عنده .

المصطفين : جمع مصطفى من الاصطفاء وهو الاختيار، فهم من المختارين من أبناء جنسهم .

الأخيار : جمع خيِّر وهو المطبوع على فعل الخير، لا يركن إلى غيره من شر أو أذى .

اليسع وذا الكفل : اليسع أحد أنبياء بني إسرائيل وهو صاحب إلياس، وكانا قبل يحيى وعيسى وزكريا، أما ذا الكفل فهو صاحب اليسع وخليفته، وأحد صلحاء بني إسرائيل، سمي بذلك لتكفله بشأن كل إنسان إذا وقع في ضائقة وقيل غير ذلك، والجمهور على أنه ليس بنبي، والظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي[١] .

## المعنى الإجمالي:

يختتم سياق الآيات في هذه السورة قصص الابتلاء لدى الأنبياء، وقدوتهم في احتمال الأذى والصبر على المكاره بقصة أيوب عليه السلام عبدالله ونبيه المبتلى، بفقد أهله ومـالـه وذهـاب صحته، حيث يأمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بذكر هذا النبي الصابر، والاعتبار بما جرى له حين دعا ربه واستغاث به أن قد أصابه الضرر والألم[٢]، وزاد من ضره وألمه وسوسة الشيطان لأهله وأحبابه وزوجه، وتيئيسهم من شفائه مما أغضبه على زوجه وحلف ليضربنها، ولكنه وهو الصابر الأواب، ظل على صلته بربه وثقته به ورضاه بما قسم له، ونفوره من محاولات الشيطان، فأدركه الله برحمته وأنهى ابتلاءه حيث أمره أن يضرب الأرض برجله لتنفجر عين باردة من المياه اغتسل فيها وشرب منها، فشفاه الله وأبرأه مما ألم به ظاهراً وباطناً.

وأتم الله نعمته على عبده ونبيه أيوب، واستكمل إجابة دعوته ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ

(١) راجع تفسير القرآن العظيم ١٩٠/٣، وفتح القدير ١٣٧/٢، ٤٢٠/٣.

(٢) نعرض هنا عن كثير من الغرائب والأباطيل، التي ذكرت حول مرض أيوب وقصة ابتلائه، مما لا لزوم له في إثبات صبر أيوب عليه السلام، ولمنافاة ذلك لعصمة الأنبياء ومناصبهم الرفيعة؛ وينبغي للمسلم الاقتصار في ذلك على ما ورد بالقرآن الكريم من مسه بالضروالأذى، وحلفه على امرأته أثناء مرضه، ثم كشف الله الضر عنه بعد تضرعه وتيسيره له بالفرج والمخرج من يمينه.

﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء/٨٣)، فجمع له أهله وولده بعد أن أكثر الله نسلهم وذريتهم فصاروا مثلي ما كانوا قبل ابتلائه، لتقر بهم عين نبيه بعد طول افتقاد وغياب، وتتم بهجتهم له رحمة الله به، وليكون ذلك عظة وذكرى لذوي العقول السليمة، الذين يدركون أن أمر المرض والشفاء بيد الله، وأنه الذي يكشف السوء، ويجيب المضطر إذا دعاه، ويدفع عن عباده الصابرين المحتسبين، ويوفيهم أجورهم بغير حساب، وأن رحمته قريب من المحسنين.

ثم يرشد الله نبيه إلى إقالة عثرته، وما يحله من قسمه على ضرب زوجته، رحمة بها هي الأخرى لحسن خدمتها إياه، وقيامها على رعايته في مرضه، وصبرها على بلائه وبلائها به، فرخص الله له أن يأخذ مجموعة من العيدان تبلغ قدر ما عدده في يمينه من ضربات، ويضربها بهذه المجموعة مرة واحدة تجزئه عن يمينه، ويتحلل بها من الحنث في اليمين، ولا يخفى ما في هذا المخرج بتلك الرخصة، وذلك التيسير من الجزاء لأيوب عليه السلام والإنعام عليه، لما كان له من الصبر العظيم على البلاء وحسن الطاعة واللجوء إلى الله، فاستحق مدح الله له والتنويه بمقامه في العبودية والصبر والرجوع إلى الله.

ويختتم هذا المقطع بالإشارة إلى مجموعة من الأنبياء في قصصهم المفصلة من الصبر والابتلاء مثل ما في قصص أنبياء الله (داود وسليمان وأيوب) عليهم السلام، ويؤمر الرسول ﷺ بتذكرهم والتأسي بعبوديتهم الخالصة لله وبصبرهم على ما ابتلوا به، ومن هؤلاء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام الذين أوتوا قوة في طاعة الله وعبادته وجلداً في الصبر والعمل، كما شرفوا بفقههم في الدين ونظرهم الصائب في أحكامه ومسائله، ولا غرابة في ذلك فقد استخلصهم الله لذلك حتى صارت خصلتهم ـ التي يعرفون بها ولا يساويها غيرها من خصال ـ تذكرهم الدائم لليوم الآخر وعملهم الدائب لدار الحق والجزاء، التي كانت محط أنظارهم وشغلهم الشاغل ليفوزوا بلقاء ربهم وينالوا رضوانه ومثوبته، وبسبب هذه الخصلة الكريمة التي ميزتهم ورفعتهم على

كثير من عباد الله ، كانوا عنده من المختارين المجتبين ، والأخيار المجبولين على فعل الخير ، والمترفعين عن فعل الشر .

ومن هؤلاء الأنبياء الذين أمر الرسول ﷺ بتذكرهم والتأسي بصبرهم على ما يلقاه من قومه : إسماعيل بن إبراهيم واليسع وذو الكفل عليهم السلام ، وقد كانوا ـ فوق ما عندهم من الصبر ـ من عباد الله الأخيار ، المطبوعين على فعل الخيرات والمترفعين عن الشرور والآثام وسائر ما يغضب الله تعالى ، فاستحق هؤلاء وإخوانهم خير ما يجزي به الله الصابرين من عباده .

وهكذا يتضح المقصود من هذه القصص والتعقيب به على ما لاقاه ﷺ من قومه ، فما كان في الدنيا أكثر نعمة وجاهاً من داود وسليمان عليهما السلام ، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب عليه السلام ، ولكن أحوال الدنيا لم تنتظم لأحد منهم فلتكن لرسول الله ﷺ فيهم جميعاً الأسوة في الصبر واحتمال المكاره ، حتى ينال رضا الله ، ويصيبه من فضله ورحمته مثل ما أصابهم .

## من فوائد الآيات :

١ ـ كان نداء أيوب لربه دعاء له وتضرعاً إليه طلباً للشفاء والرحمة ، ولا ينافي هذا مقام صبره المحمود .

٢ ـ مراعاة أيوب للأدب مع الله في دعائه ، حيث لم ينسب إليه الضر والعذاب ، على نحو ما قال إبراهيم : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء/ ٨٠) .

٣ ـ جواز ضرب الرجال لزوجاتهم تأديباً لهن ، كما يجوز ذلك في نشوزهن .

٤ ـ جواز تخفيف العقوبة إذا كان ذلك لمبرر شرعي كالمريض الذي لا يتحمل العقوبة الشديدة كما نص على ذلك الفقهاء في بابي الحدود ، والأيمان .

٥ ـ ابتلاء الله للإنسان على قدر مقامه عند الله ودرجة إيمانه ، ولذا كان الأنبياء أعظم الناس ابتلاء .

٦ ـ البر باليمين أفضل من الحنث فيه والكفارة عنه ما لم يكن في إثم، وإلا كان الحنث والتكفير واجباً.

٧ ـ أن فرج الله ويسره على عباده مرتبط بصبرهم وتقواهم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف/ ٩٠)، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ (الطلاق/ ٢ ، ٤).

٨ ـ لم تخل حياة نبي من موضع للعظة والاعتبار، ومقام للتأسي والاقتداء؛ إذ كانوا جميعاً صفوة الخلق وخيارهم المتجردين لعمل الخير لأولاهم وأخراهم، فهذا ذكرهم لمن أراد أن يتذكر، وتلك عبرهم لمن أراد أن يعتبر.

## المناقشــــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «مسني، نصب، اركض، ضغثاً، تحنث، الأبصار، الأخيار».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وبماذا ابتلى الله نبيه أيوب عليه السلام؟ وما المقصود بندائه ربه؟.

٣ ـ وضح قول أيوب في ندائه: «مسني الشيطان» في ضوء ما عرفت أن الله هو المبتلي، ولا تسلط للشيطان على عباد الله المخلصين.

٤ ـ وضح ما الذي يخرج به ذوو الألباب من تأملهم فيما حدث لأيوب عليه السلام من ابتلاء ورحمة وفضل.

٥ ـ اشرح كيف كشف الله كربة أيوب عليه السلام وشفاه مما ألم به؟ وكيف أحله مما ألزم نفسه به قبل شفائه؟ وهل يجوز ذلك شرعاً لغيره؟.

٦ ـ ما الصفة الخاصة التي عرف بها إبراهيم وابناه إسحاق ويعقوب عليهم السلام؟ ولماذا خصهم الله بها؟.

٧ ـ ماذا تعرف عن اليسع وذى الكفل؟ وما الغرض البارز من سياق قصص الأنبياء في سورة «ص»؟.

٨ ـ اذكر ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.



## المقطع الخامس

### نعيم المتقين، وعذاب المكذبين وتخاصمهم في النار

﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ
مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا
بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ
أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا
لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ
لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾
وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ
سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
|---|---|
| هذا ذكر : | الإشارة إلى الآيات السابقة الناطقة بمحاسن الأنبياء وسيرهم الـرفيعة التي هي شرف لهم يذكرون به بين الناس، واسم الإشارة يجيء في السياق هكذا للانتقال به من كلام إلى آخر، كما ينتقل الكتاب فيما يكتبون يقولون : هذا مبحث أو فصل ويشرعون في مبحث أو فصل آخر. |
| مـآب : | المآب المرجع والمصير، والمراد جنات الله ونعيمها المذكوران بعد . |
| جنات عدن : | العدن في الأصل الإقامة، أي جنات استقرار وإقامة دائمة . |
| أتـراب : | جمع ترب، وهن المتحدات في سنهن المتساويات في حسنهن، فلا يتباغضن أو يتغايرن . |
| نفـاد : | انقطاع، فهو لا يفنى أبداً كما قال تعـالى: ﴿مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَاعِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل/٩٦) . |
| المهاد : | كالفـراش وزناً ومعنى، مأخوذ من مهد الصبي، والمراد أن جهنم لهم يستقرون فيها كالمهد للصبي . |
| غساق : | مبالغة من الغسق وله معان كثيرة أنسبها هنا الشديد البرودة من قيح وصديد أهل النار . |
| من شكله أزواج : | الشكل المثل والشبيه، والأزواج الأصناف والأجناس، والمراد أن لأهل النار أنواعاً وأصنافاً أخرى من المذوقات والعذاب متشاكلة ومتقابلة تقابل الحميم والغساق . |
| فوج مقتحم : | الفـوج الجمـع الكثير من الناس، ومقتحم اسم فاعل من الاقتحام وهو الدخول في الشيء بشدة. |

لا مرحباً : الرحب السعة، يعني لا رحبت عليهم منازلهم ولا اتسعت، والمراد لا كرامة لهم ولا تقدير .

القرار : المكان الذي يستقر فيه، والمراد مقرهم الذي انتهى إليه مصيرهم .

قدم لنـا : دعانا إليه وسوغه لنا، وذلك بتزيينه الكفر لنا ودعائه إيانا إليه .

ضعفـاً : مضاعفاً، والمراد عذابان أحدهما لكفره وضلاله والثاني لدعائه إيانـا وإضلالنا، كما في الحديث «من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعـده»[1] .

من الأشرار : من الأراذل الذين لا خير فيهم، والمراد بهم المؤمنون الذين حسبهم الكفار على الضلال .

اتخذناهم سخرياً : مسخورا منهم ومهزوءاً بهم، والاستفهام لإنكار ما فعلوه بهم وتوبيخ أنفسهم عليه .

أم زاغت : مالت عنهم، وأم هي المنقطعة بمعنى بل، أضربوا بها عن توبيخ أنفسهم على السخرية من المؤمنين في الدنيا إلى توبيخ أنفسهم على عدم معرفتهم مكان المؤمنين في الآخرة .

تخاصـم : مخاصمة بعضهم بعضا ومدافعة كل منهم الآخر .

## المعنى الإجمالي :

انتهى المقطع السابق من ذكر المختارين من عباد الله ومواضع التأسي والقدوة في حياتهم الدنيوية التي يذكرون بها في العالمين، لينتقل السياق في هذا المقطع ـ أو يمتد ـ إلى حياة هؤلاء ـ ومن على نهجهم من المتقين ـ في الآخره، وما أعده الله لهم هناك

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، عن المنذر بن جرير عن أبيه كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ٧٠٥/٢.

في مقابل ما أعد لغيرهم من الظلمة والطغاة الذين أنكروا التوحيد، واستكثروا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبعث ويختار للرسالة من دونهم، حيث يؤكد السياق أن لهؤلاء المتقين، الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ـ مع هذا الذكر الجميل في الدنيا ـ حسن المنقلب والأجر العظيم في الآخرة.

ثم تبين الآيات وتفصل هذا الإجمال من حسن المنقلب والأجر العظيم، فلهؤلاء جنات عدن مستقر لهم ومقام دائم يدخلونها من أي أبوابها شاءوا؛ إذ هي مفتوحة كلها لهم إكراماً لهم وإعزازاً، وهم فيها آمنون منعمون، لا كدر لصفوهم ولا تنغيص لمتعهم، حيث راحة الاتكاء والجلوس، ومتعة الطعام والشراب من ألوان الفواكه وأصناف الأشربة، ولهم فوق ذلك متعة الحور العين الشواب المستويات سناً وجمالاً، واللائي لا يتطلعن إلى غير أزواجهن، بل يخصصنهم بالمتعة ويقصرن نظرهن عليهم، فهن أمثال اللؤلؤ المكنون ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ (الرحمن/٥٦).

ويشرف الله هؤلاء المتقين فيخاطبهم: بأن هذا الذي ذكر من وجوه منقلبهم الحسن وأجرهم العظيم في الآخرة، هو ما وعد الله به عباده المتقين، يعطونه عند حسابهم في الآخرة، ثم إنه هو وغيره ـ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ـ لأهل الجنة، رزق لهم من الله دائم لا ينقطع، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود/١٠٨).

هذا ما أعده الله للمتقين السعداء، أما الظلمة والطغاة من المشركين والكفار، فلهم سوء المنقلب وشر العاقبة، وتبين الآيات بعد ذلك وتفصل هذا الإجمال من سوء المنقلب وشر العاقبة، إنها جهنم التي يدخلونها، فتستقبلهم استقبال المهد للصبي، ولكنه مهد لا راحة فيه ولا قرار، فبئس المهد مهدهم يتقلبون فيه على النار، وبئس القرار قرارهم يصطلون فيه حرها ولهبها، ثم لهم فوق هذا من الشراب ما اشتد حره

من المياه، التي تشوي وجوههم وتقطع أمعاءهم، وما اشتدت برودته من أدران أهل النـار، وأقذارهم، وقيح لحومهم وصديدها، التي يؤمرون بتذوقها، ويقهرون على تجرعها، وهم لا يكادون يسيغونها، ولا يقتصر عقابهم وعذابهم على ذلك، بل لهم أنـواع أخرى من العذاب تماثل الحميم والغساق في الفظاعة والشدة، وتشبهها في تقابلها، فهم لا ينفكون أبداً عن تعذيبهم بالشيء وضـده.

ثم يستـطرد سياق الآيات إلى مشهـد حواري، يحكى تخاصم هؤلاء الـظلمـة والطغاة، وتلاحي الضالين والمضلين، حين يخاطب المضلون من القادة والرؤساء - أمثـال من قالوا عن الرسول ﷺ : ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ ويقال لهم بعد دخـولهم جهنم : هذا جمع كثيف داخل معكم، فيسارعون إلى عدم الترحيب بهم والدعاء عليهم في حنق وغيظ، لا مرحباً بهم، إنهم لا ينزلون أهلاً ولا يحلون سهلاً، لأنهم ذائقـو النار ومستحقوها مثلهم، وحينئذ لا يسع الأتباع المشتومون من الفوج المقتحم السكوت والرضا بما قرره القادة والمتبوعون، بل يردون عليهم شتمهم، فلا مرحباً بكم أنتم، ويزيدون على ذلك أنهم أكثر استحقاقاً لهذا العذاب منهم، فهم الذين قدموا العذاب لهم، وزينوا أسبابه في الدنيا بغوايتهم إياهم، ودعوتهم إلى ما أفضى بهم إلى هذا المصير السيء والقرار المهين.

ثم ترتفع أصوات الأتباع بالدعاء على رؤساء الضلال - وما كان لهم صوت يسمع في الدنيا - : ربنا آت من قدم لنا هذا العذاب وأوردنا إليه عذاباً مضاعفاً في النار، وزد لهم في عقابهم بما ضلوا وأضلوا، وهكذا يتناكر اليوم ويتنابز من كانوا في الدنيا متوادين ومتحابين، ويملي بعضهم لبعض غروراً وضلالاً ؛ أما هنا فكما حكى الله عنهم في أكثر من موضع في القرآن :

﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف/٣٨)

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب /٦٧ - ٦٨).

وعند ارتفاع حدة التلاحي والمخاصمة هكذا، بين الطغاة الرؤساء والأتباع الضالين، يتذكر هؤلاء ويفتقدون أعداءهم في الدنيا من المؤمنين، الذين كانوا يحسبونهم من الأراذل ويعدونهم من الأشرار الذين لا خير فيهم، ما بالهم لا يجدونهم معهم في هذه النار، ثم يتساءلون عن السر في ذلك، ماذا يكون؟ ألأنهم سخروا منهم في الدنيا وهزئوا بهم عندما كانوا يحدثونهم عن اليوم الآخر، وما فيه من الحساب والجنة والنار؟، فيتعالوا عليهم وينفروا من قولهم، فهم لهذا في واد غير واديهم؟ ألم يدخلوا النار معهم لهذا السبب، فهم يتنعمون في الجنان؟ أم أنهم دخلوا النار معهم ولم تقع عليهم عيونهم، فمالت عنهم وترفعت عن النظر إليهم، كما كانوا يعرضون عنهم في الدنيا؟.

ويختتم هذا المقطع بتقرير واقع أهل النار، وتأكيد أن مخاصمتهم وجدلهم ولعن بعضهم بعضاً وسائر ما حكاه الله عنهم - كل ذلك حق لا مرْية فيه، وهو حق مرّ مع مصير سيء ونصيب أسوأ، فما أبعد هذا المصير عن مصير المتقين الذين سخروا منهم!، وما أبأس نصيب هؤلاء الذي تعجلوه من قبل بقولهم: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

## من فوائد الآيات:

١ - أن جزاء الله للمتقين يمتد من ذكرهم الحسن في الدنيا إلى نعيمهم وحسن مرجعهم في الآخرة.

٢ - أن نعيم المتقين في الجنة ومقرهم الدائم بها يقابله عذاب الطغاة في النار وقرارهم السيء بها، وهاتان الحقيقتان تتجاوران في القرآن الكريم ترغيباً للمؤمنين والمتقين فيما عند الله وترهيباً للكفار والطغاة من عذاب الله.

٣ ـ أن ما يذكره الله من نعيم الجنة وعذاب النار ما هو إلا تقريب لهذه الأشياء بما نشهده في عالم الحس يتناسب مع قصور إدراكنا، أما حقيقتها في عالم الغيب التي يعلمها الله فهي فوق ذلك وأبعد.

٤ ـ أن نعيم أهل الجنة دائم لا ينقطع، وكذلك عذاب أهل النار في المقابل يكون دائماً غير منقطع.

٥ ـ تنوع وسائل التعذيب في الآخرة من الشيء وضده، كالحميم في شدة حره، والغساق في شدة برده وما يشبههما.

٦ ـ انقلاب مودة الكفار وموالاتهم في الدنيا إلى حنق وبغض في الآخرة، حيث يتلاحون ويلعن بعضهم بعضاً.

٧ ـ مضاعفة العذاب في الآخرة للضالين المضلين، لما كانوا عليه من ضلال ولإضلالهم غيرهم.

٨ ـ وقوف الظلمة والطغاة على حقيقة أمر المؤمنين وإدراكهم خيريتهم، ولكنه إدراك لاجدوى منه ولا فائدة.

## المناقشة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «مآب، أتراب، نفاد، غساق، فوج مقتحم، سخريا، زاغت».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وما علاقته بالمقطع السابق عليه؟ وكيف تم الانتقال إليه من سابقه؟.

٣ ـ ما مصير كل من: المؤمنين المتقين والكافرين الطاغين؟ ولماذا قابل بين مصير الفريقين وجزائهم؟.

٤ ـ ما وجوه تكريم المتقين ونعيمهم المعدة لهم في الآخرة؟ وما الفرق بينها وبين تكريم الدنيا ونعيمها؟.

٥ ـ وضح وجوه عذاب الطغاة والكافرين في الآخرة؟ ثم ناقش مظاهر إهانتهم فيما أعد لهم؟.

٦ ـ وضح ـ بأسلوبك الخاص مشهد تخاصم الكفار في النار مستعيناً بما تعرف من الآيات في ذلك؟.

٧ ـ ما المقصود بسؤال الضالين يوم القيامة عن المؤمنين؟ ولماذا لا تنفعهم معرفتهم بحقيقة المؤمنين ومصيرهم؟.

٨ ـ اذكر ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.



# المقطع السادس

## نبوة محمد والدليل عليها بذكر ما دار في الملأ الأعلى

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ

مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| العـزيز : | الغالب الذي لا يغلب والقوي القادر الذي لا تحد قوته أو قدرته . |
| نبأ عظيم : | خبر مهم وشأن جليل، والمقصود به إرسال الرسول إليهم، يبين لهم وحدانية الله وينذرهم عقابه . |
| يختصمون : | من الخصومة وهي الاختلاف والمراد اختلاف الملأ الأعلى في أمر آدم وامتناع إبليس عن السجود له . |
| من روحي : | الروح خلق من خلق الله أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، مثل ناقة الله، وبيت الله . |
| سويته : | أتممت خلقه حتى صارت أجزاؤه مستوية ومكتملة في الصورة البشرية . |
| فقعـوا : | فعـل الأمـر للجماعة من الوقوع، والمراد: اسجدوا له وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة. . |
| بيـديّ : | أي بيديه سبحانه اللتين تليقان بجلاله وهما يدان حقيقة لا مجازاً، وهـذا تشريف لآدم عليه السـلام وعنـاية خاصة به ولحِكم أخرى[1] . |

(١) انظر فتاوى ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ جـ٦/٣٦٣.

استكبرت أم كنت من العالين : [ أأنفت من السجود مع الملائكة تكبراً منك واستعلاء بغير حق؟، أم كنت من المستحقين للترفع عن طاعة الله؟. ] والاستفهام في الموضعين للإنكار والتوبيخ .

رجيم : فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم ومطرود من كل خير .

لعنتي : لعنة الله طرده للملعون وإبعاده له عن رحمته .

فأنظرني : أمهلني ولا تعاجلني بعقوبتك .

لأغوينهم : لأضلنهم وأزينن لهم المعاصي كيداً لهم ومكراً بهم، حتى يضلوا ويصيروا غاوين .

المتكلفين : المتصنعين للشيء المفتعلين إياه، والمراد: ما أخبركم إلا بما أمرت به لا أنتحل شيئاً أو أقوله من عندي .

## المعنى الإجمالي:

في هذا المقطع الأخير من السورة يعود السياق إلى تقرير قضايا العقيدة التي أجملت في صدر السورة وبخاصة قضية النبوة، التي يستدل لها بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عما دار في الملأ الأعلى عند بدء الخليقة مما يعد من معجزاته التي لا يمكن إنكارها أو المكابرة فيها ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ وقالوا: ﴿ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾، ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾.

ويؤمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يواجه هؤلاء بهذه الحقيقة، التي تحدد مهمته وتحصرها في الإنذار والتبليغ، إنذار أمته وتحذيرهم عذاب الله إن خالفوا أمره، وتبليغهم هدى الله ووحيه وأنه المستحق وحده للألوهية والعبودية، ولا عليه بعد ذلك من أمر هدايتهم؛ إذ ليس عليهم بمسيطر ولا هو بجبار، إنما يذكر بالقرآن من يخاف وعيد الله، ثم يدع أمر المنذَرين والمبلَّغين إلى الله الواحد القهار، الذي تخضع له كل المخلوقات وتنقهر لعزته وجبروته سائر الجبابرة والطغاة؛ إذ هو المالك للسماوات والأرض وما بينهما القوي القادر على تصريف أمورها، فلا ملجأ لأحد إلا إليه، ولا

غفران للذنب إلا في ساحته، فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن الكثير من الذنوب.

ثم يؤمر الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى بإعلانهم بحقيقة ما جاء به من الإنذار والتوحيد والرسالة، وأنه الخبر العظيم والنبأ الجليل، الذي لا يصح لهم أن يستخفوا به أو يعرضوا عنه، بل يجب عليهم أن يفكروا فيه، ويتأملوا في دلائله، وسيعرفون حينئذ أن الأمر أعظم وأكثر خطراً مما يظنون؛ إذ هو أمر من أمور الله وحدث عالمي يهم البشرية كلها ويتجاوز أقطار الزمان والمكان، ويؤسس قواعد المنهج الحق لعبودية الله في الأرض، إنه ـ باختصار ـ قدر الله لهذه الأمة الذي غفل عن طبيعته مشركو العرب، وظنوه أمراً شخصياً بينهم وبين محمد، وما محمد صلى الله عليه وسلم ـ في الحقيقة ـ إلا حامل للنبأ ومبلغ إياه، وما كان له أن يعلم شيئاً من وراء هذا النبأ أو يعرف ما دار بين الملأ الأعلى في فجر البشرية ومنذ بدء الخليقة، لولا إعلام الله له بذلك ووحيه له، أن ليس له من الأمر والنبأ شيء سوى التبليغ والإنذار المؤيد بالدليل الواضح.

وعند هذه النقطة يعرض السياق الدليل مفصلاً من إعلام الله لمحمد قصة الخلق الأول وما حدث بشأنه في الملأ الأعلى، حيث قال الله لملائكته أنه سيخلق بشراً من طين يكون خليفة في الأرض، وأمرهم أن يهبطوا بالسجود لهذا البشر الطيني، إذا ما اكتمل خلقه واستوت أجزاؤه ونفخ الله فيه من روحه، ويستجيب الملائكة لأمر الله ـ كما هو شأنهم ـ فيسجدون جميعاً لآدم إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتثالاً لأمر الله عز وجل[1]. أما إبليس الذي لم يكن من جنسهم ـ إذ هو خلق من نار وهم خلق من نور ـ فقد خانه طبعه واستنكف عن السجود الذي أمر به مع الملائكة، وعرف أمره به من توبيخ الله له وإنكاره لامتناعه الذي صار به كافراً.

ويكشف إبليس في إجابته عن سبب امتناعه عن امتثال أمر الله بالسجود لمن

(١) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) جـ٤/٤٣.

اختص الله خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، إنه الحسد لآدم المخلوق من طين والغفلة عن عنصر التكريم فيه الذي وهبه الله إياه ورفع شأن طينته وأعلاها على إبليس وناريته.

وإذ يخطىء إبليس بامتناعه عن السجود وحسده لآدم ورده القبيح على الله ، يجيئه أمر الله بطرده من رحمته وإبعاده عن جنابه تلاحقه لعنة الله في الدنيا، حتى يلقى من عذاب الله وسخطه يوم الجزاء ما هو حقيق به مع لعنة الله إياه؛ ولكن اللعين يسأل الله إمهال عقابه وإنظاره إلى يوم البعث، وتقتضي حكمة الحليم الذي لا يعجل على من عصاه: إجابة مطلبه وإنظاره إلى يوم الوقت المعلوم، وهنا تحول الحسد عنده لآدم إلى حقد وضغينة، وتصميم على الانتقام من آدم وبنيه، ويكشف الملعون عن هدفه في تأكيد جازم وإصرار لا يعرف اللين، مقسماً بعزة الله ليضلن جميع الآدميين، لا يستثني منهم إلا من عصمهم الله من غوايته وإضلاله، وأخلصهم الله لنفسه؛ إذ أخلصوا له العبادة وخصوه بها، فكانت منهجهم في الحياة وعاصمهم من غواية الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء/٦٥).

وهكذا تتضح أبعاد المعركة بين إبليس وبني آدم، غواية وحقد في ناحية، وعبودية لله واعتصام بمنهجه في ناحية، كما تتضح عاقبة المعركة التي يعلنها الحق في وعده الصادق الحق، ليملأن جهنم من إبليس وذريته ومن تبعهم في إغوائهم من بني آدم ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال/٤٢).

وتختتم السورة بتكليف الرسول صلى الله عليه وسلم بإلقائه للكفار والمشركين قوله الأخير، فها هو قد أتاهم بالأدلة الشاهدة على صدقه، وأخبرهم خبر الملائكة وطاعتهم لله، وأنبأهم عن إبليس وتمرده وصراعه لإغواء الآدميين، مما يؤكده الواقع ويشهد له، والحال أنه لا يسألهم على تبليغ ما أوحي إليه شيئاً أي شيء من حطام الدنيا، ولا هو

بالذي يتصنع ما يأتيهم به، فلم يعهدوه من المدعين أو المتحلين بما ليس فيهم، ولكنه يأمرهم بما يتفق وفطرهم السليمة، وما آتاهم به ليس إلا عظة للعالمين، وتذكيراً لهم إن غفلوا أو نسوا، وإنه لنبأ عظيم لا يلقون اليوم بالهم إليه، ولكنهم لا بد عالمون نبأه وحقيقة أمره بعد اليوم عندما يريد الله لهم علمه، أو يحق وعد الله اليقين، وصدق الله العظيم ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت/٥٣).

## من فوائد الآيات :

١ ـ في مجال الدعوة والعظة يحسن تكرار الأمر وعرضه في صور شتى مبالغة في النصح والإرشاد.

٢ ـ انحصار مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه أمته في الإنذار والتبليغ وما في معناهما قبل الأمر بالجهاد.

٣ ـ تحذير المشركين عاقبة الحسد والتكبر على محمد صلى الله عليه وسلم التي أهلكت إبليس لحسده لآدم وتكبره عليه.

٤ ـ من صفات الله ـ جل وعلا ـ الوحدانية والقهر والعزة والقـوة.

٥ ـ أن أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته أعظم وأجل مما حسبه المشركون؛ إذ هو الحق الذي ينصلح به أمر العباد ويتفق مع الحق الذي قامت عليه سائر الأكوان.

٦ ـ أصل الإنسان وسائر عناصره من الطين ما عدا السر الإلهي فيه، وهو يستحيل إلى أصله الطيني عند مفارقة هذا السر له، قال تعالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طـه/٥٥).

٧ ـ يتميز الإنسان عن سائر الأحياء بقابليته للتحضر العقلي التي هي أثر من آثار السر الإلهي فيه.

٨ ـ شـرف آدم وكرامته عند الله؛ إذ أسجد له الملائكة واختص خلقه بيديه.

٩ ـ أن تسلط الشيطان دائم، ولا عصمة لأحد منه إلا باللجوء إلى الله وإخلاص العبودية له.

١٠ ـ لم يكن إبليس من جنس الملائكة، بل كان عابداً من الجن حسد آدم وفسق عن أمر ربه فصار كافراً.

١١ ـ تكشف البشرية الدائم لنبأ القرآن الكريم، وتذكرها ـ جيلاً بعد جيل ـ ما أودع الله فيه من أسرار إلى ما شاء الله مصداقاً لوعد الله ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾.

١٢ ـ في خلق الله لآدم بيديه ثبوت صفة اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله، ورد على من زعم أنها القوة.

١٣ ـ ذكر معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم. وهي الإخبار بما دار في الملأ الأعلى حين خلق آدم عليه السلام.

## المناقشة

١ - وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «نبأ، سويته، فقعوا، رجيم، أنظرني، لأغوينهم».

٢ - ما موضوع هذا المقطع؟ ولماذا أعيد تقريره في ختام السورة بعد أن نوقش في صدرها؟.

٣ - ما حدود مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ولماذا تكررت في الآيات؟ وماذا ذكرت الآيات من صفات الله؟

٤ - «قل هو نبأ عظيم، أنتم عنه معرضون» اشرح هاتين الآيتين مبرزاً حقيقة الإسلام وما يجب على المسلمين نحوه؟.

٥ - اشرح - في إيجاز - الدليل الذي ساقته الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟.

٦ - ما السر في تكريم الله لآدم عليه السلام؟ وما سبب حسد إبليس له وامتناعه عن السجود له؟.

٧ - استخلص بأسلوبك ما يمكن استخلاصه من العظات والعبر في قصة خلق آدم وما دار حولها؟.

٨ - ما الحكمة في إنظار إبليس؟ وكيف ينجو الإنسان من غوايته؟ وما جزاء من أطاعه وتبعه في غوايته؟.

٩ - ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ اشرح هذه الآية مبرزاً دور القرآن الكريم في هداية البشرية حتى يوم الدين؟.

١٠ - اذكر أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.

# تفسير سورة «الزمر»

## بين يدي السورة

### (أ) اسم السورة

تعرف هذه السورة بسورة «الزُّمَر»، ويقال عنها سورة «الغُرَف»، وكلا اللفظين وارد ببعض آياتها، وقد وردت التسمية الأولى على لسان ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم كما في الحديثين التاليين، أما التسمية الثانية فقد حكيت عن وهب بن منبه قال: من أحب أن يعرف قضاء الله عز وجل في خلقه فليقرأ سورة الغُرَف[1].

### (ب) تنزلات السورة ومكيتها

نزلت سورة الزمر بعد سورة سبأ، وتأتي في المرتبة التاسعة والخمسين من حيث نزول سور القرآن الكريم، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة التاسعة والثلاثين.

والسورة في مجموعها مكية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت سورة الزمر بمكة[2]، وفي رواية أخرى عنه إلا بضع آيات مدنية نزلت في وحشي وناس من المشركين[3].

وعدد آيات السورة خمس وسبعون آية في الكوفي[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٣٢، روح المعاني ٢٣/٢٣٢.

(٢) أخرجه عنه البيهقي في الدلائل وغيره، راجع: فتح القدير ٤/٤٤٧.

(٣) راجع: فتح الباري ٨/٥٤٩، فتح القدير ٤/٤٤٧.

(٤) وثلاث وسبعون في الشامي وثنتان وسبعون في غيرهما، راجع: التبصرة ص ٤٨٨، غيث النفع ص ٣٣٨.

(جـ) فضائل السورة

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل، وعنها بلفظ آخر: كان رسول الله يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر[1].

(د) أهم موضوعات السورة:

١ - تكاد تدور آيات هذه السورة في جملتها حول موضوع واحد، هو التوحيد الذي تعرضه الآيات في صور شتى لتطبع حقيقته في القلب، وتنفي عنها كل شك وريب، نطالع هذا في مفتتح السورة: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾، ويتردد صراحة أو تلميحاً خلال السورة حتى تختم السورة به ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وإلى جانب هذا الموضوع الواحد (التوحيد) الذي لا يخلو منه مقطع من مقاطع السورة، نجد موضوعات أخرى تزجي هذا التوحيد وتزكيه، وتشيع في السورة شيوع التوحيد مثل:

٢ - إيقاظ القلوب وتهيئتها لتلقى التوحيد، والاستجابة لداعي الله بالترغيب مرة والترهيب أخرى.

٣ - ظلال الآخرة ومشاهدها التي تتلاحق، ويظهر من خلالها جزاء الموحدين وثوابهم، وجزاء المشركين المكذبين وعقابهم.

وهناك موضوعات أخرى تعرض لها السورة، مع عرضها لهذا الموضوع الواحد مثل:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، راجع: الفتح الرباني - أبواب صيام التطوع ١٠/١٩٦، وسنده جيد كما قال صاحب الفتح.

٤ - الـدلائـل على توحيد الله وقدرته، سواء منها الكونية في الآفاق، أو الحياتية في الأنفس.

٥ - صور منـوعـة لنفوس البشر، وإبراز أحوالها في السراء والضراء، في الخوف والرجاء، في الضعف والتجبر.

٦ - ضرب الأمثال لإيضاح حقيقة التوحيد، وإبراز المعاني في صور محسّة

٧ - تمني المشركين الافتداء من عذاب الله عند معاينتهم له.

٨ - قبول المنيبين إلى ربهم، وغفران ذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إلى ربهم.

٩ - وصف ذهاب أهل النار إلى مقرهم ومصيرهم السيء، وما يلاقونه من هوان وأهوال.

١٠ - وصف ذهاب أهل الجنة إلى مقرهم ومصيرهم الحسن، وما ينالونه من النعيم المقيم.

## المقطع الأول

## توحيد الله ودلائله في الآفاق والأنفس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ

﴿ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
| --- | --- |
| مخلصاً : | اسم الفاعل من الإخلاص، وهو في العبادة تمحيضها لله وإفراده بها، وتصفيتها من الشرك الأكبر والأصغر. |
| ألا لله الدين الخالص : | ألا أداة استفتاح، والجملة بعدها مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص، أي: أن العبادة والطاعة الخالصة من شوائب الشرك وغيره هي لله وحده . |
| أولياء : | جمع وليّ وهو الناصر والمعين ضد العدو، والمراد به الآلهة والأصنام التي عبدها المشركون بدعوى التقرب والشفاعة . |
| يكوّر : | من التكوير وهو لف الشيء وطيه على غيره، والمراد غشيان الليل للنهار وغشيان النهار لليل . |
| وسخّر : | من التسخير وهو التذليل والمراد منه جعل الشيء، منقاداً ومطواعاً للأمر . |
| لأجل مسمى : | أي لمدة معينة ومحددة يعلمها الله، وهو يوم القيامة وانقضاء الدنيا . |
| نفس واحدة : | المراد بها النفس الأولى المخلوقة، وهي نفس آدم عليه السلام . |
| زوجها : | المراد حواء خلقها الله من آدم وجعلها من نفسه فطرة وطبعاً لتكون منهما معاً الزوجية . |

أنزل لكم : خلق لكم من ظهور الأنعام.

ثمانية أزواج : جمع زوج، والأنعام الثمانية هي: الضأن والمعز، والإبل والبقر، من كلٍّ ذكر وأنثى.

ظلمات ثلاث : يعني ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن[١].

فأنى تصرفون : فكيف تنصرفون عن عبادة الله، وتنقلبون عنها إلى عبادة غيره.

وزر : الوزر في الأصل الحمل الثقيل، والمراد به الإثم والذنب، والمعنى: لا تحمل نفس إثم نفس أخرى.

## المعنى الإجمالي :

تبدأ هذه السورة بتقرير أن هذا القرآن الكريم منزل من عند الله القادر على تنزيله، الذي لا يعجزه شيء والحكيم في أقواله وأفعاله الذي يضع كل شيء في موضعه ويقدر لكل شيء قدره، ويعلم فيم أنزل القرآن الكريم ولماذا أنزله؟ ولهذا تجيء الآيات مؤكدة إنزال هذا القرآن بالحق، الحق الذي ينطق به هذا الكتاب، والحق الذي اشتمل عليه من التوحيد والنبوة والمعاد وسائر الأحكام والتكاليف، والحق الذي قام عليه نظام الكون كله، ويقتضي ألا تكون العبادة إلا لمن يستحقها وهو الواحد الأحد.

ومن ثم يؤمر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ومن ورائه أمته ـ بتمحيض العبادة لله وإفراده وحده بها وتصفيتها من كل شوائب الشرك؛ إذ هو وحده المستحق للعبادة، وله وحده الدين خالصا، فتوحيد الله أساس الدين وروح الإخلاص فيه، وليس كلمة تقال، بل هو منهج حياة يعيش به المؤمن الموحد.

(١) هذا قول المفسرين ولا ينافي ما اكتشف الطب الحديث أن الظلمات الثلاث كلها داخل الرحم. راجع: خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص ٢٠١.

أما هؤلاء المنحرفون عن توحيد الله وإخلاص الدين له متخذين لهم آلهة غيره، أو مشركين لها معه في العبادة[١] ـ زاعمين أن عبادتهم لهذه الآلهة أو إشراكها مع الله في العبادة إنما هو قربى لله تشفع لهم عنده وتقربهم منه منزلة ـ فإن هذا انحراف عن الفطرة التي خلقهم الله عليها، وحيدة عن التوحيد الخالص الذي جاء به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

وإذا كان هؤلاء بتصورهم الباطل يزعمون كذلك أنهم ـ دون أهل التوحيد ـ على حق في تصورهم فإن الله يتهددهم مبيناً لهم عاقبة ما هم فيه من كذب وشرك، ومؤكداً أنه يفصل بينهم يوم القيامة ويحكم بالحق فيما اختلفوا فيه هم وأهل التوحيد، ويجازي كلاً بما هو أهل له، حيث ينزل المخلصين الموحدين الجنة، ويدخل الكاذبين المشركين النار، أما في الدنيا فإن الله لا يهديهم إلى الحق، ولا يوفقهم إليه، لأنهم يكذبون على الله بادعاء الولد له وشفاعة آلهتهم عنده، ولا يتوجهون له بالإخلاص في العبادة، بل يشركون معه غيره فيكفرون بذلك لا ينفكون عن كذبهم وكفرهم، والله لا يهدي من كان هكذا على شاكلتهم «كاذب كفار».

ثم يفصل السياق ما كذبوا فيه ويكشف عن سخف تصورهم في اتخاذ الله الولد، وأنه لو أراد ذلك[٢] فرضاً لم يكن اختياره إليهم بل هو الذي يختار سبحانه ما يشاء. وهذا من فرض المستحيل للرد عليهم في تقولهم على الله كما قال تعالى في آية أخرى:

---

(١) كان المشركون يعلنون أن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض، كما حكى القرآن الكريم عنهم، ولكنهم انحرفوا عن إخلاص الدين له، وتصوروا أن الله أجل من أن يعبد مباشرة، فابتدعوا خرافة بنوة الملائكة لله، وصاغوا أصناماً على صور الملائكة في زعمهم وعبدوها، زاعمين أن عبادتهم لتماثيل الملائكة ليست عبادة لها في ذاتها، بل لتشفع لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من النوائب، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ﴾ (الأحقاف/٢٨) وهذه شبهة تمسك بها المشركون قديماً وحديثاً، وما زال في الناس منهم إلى اليوم من يعبد القديسين والأولياء والطواغيت ـ مثل عبادة العرب الأولين للملائكة أو تماثيلها طلباً لوساطتهم عند الله وشفاعتهم لهم، وهي الشبهة التي تصدت لها الرسل وحاربتها قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل / ٣٦)

(٢) ولكنه لم يرد ولا ينبغي له ذلك، إذ الأمر على سبيل الفرض الجدلي، قصداً لتجهيلهم فيما ادعوه وزعموه.

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنـــبياء/١٧) فيكون قولهم باطلاً من وجهين:

١ - استحالته في حق الله تعالى.

٢ - أن الإختيار لو فرض وقوعه ليس إليهم.

ثم تجيء الآيات بعد ذلك دالة على وحدانية الله وكمال قدرته، مبرزة حقيقة الألوهية التي لا تحتاج إلى الولد ولا تصح فيها الشركة، فهذه السماوات بأجرامها والأرض بما فيها مخلوقة لله على أكمل وجه وأبدع نظام، وهما قائمتان على الحق الثابت والناموس المحكم، والصنع المتقن الذي لا يتزعزع، أو يضطرب، مع ما نشهده من تصرفه فيهما بتكوير الليل على النهار وغشيان ظلامه لضوء النهار، ثم تكوير النهار على الليل وغشيان ضوئه لظلام الليل، ولف كل منهما على الآخر ودخوله فيه في مشهد يتكرر ولا يتخلف، لا يسبق أحدهما الآخر بل يزحف عليه ويزيحه ليحل محله، وتذليله للشمس والقمر وجعلهما منقادين لأمر الله ومشيئته، لتعلق مصالح العباد بهما مع جريان كل هذه الأجرام في أفلاكها ومداراتها، إلى المدة التي يعلمها الله ويأذن بانتهاء دورانها عندها، بل بنهاية النظام كله؟.

فهلا تنبه العباد إلى أن هذا الخلق العظيم دال على قوة الخالق، وكمال قدرته وعظمة سلطانه التي لا تحتاج إلى ولد أو شريك، وعموم رحمته وسعتها وستره لذنوب عباده التائبين من كذبهم عليه وكفرانهم به!.

ومن آية الخلق في الكون الكبير إلى آية الخلق في الحياة والأنفس، ليطلعنا الله على نوع آخر من كمال قدرته وبديع صنعه، فقد خلق الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم من نفس واحدة، هي النفس الأولى والتي جعل الله منها زوجها ليسكن إليها ويأنس بها، ويمتد منهما النسل وعمران الأرض بالحياة التي أقامها الله على هذه الزوجية بين الأجناس والأنواع، والتي يذكر لنا الله شاهداً منها في الأنعام

ثمانية أزواج، من الضأن والمعز والبقر والإبل من كل ذكر وأنثى، تفضل الله بها على الإنسان وذللها له.

ثم يكون تفصيل الخلق في الناس وتبيان مراحل الأجنة داخل البطون أدخل في باب القدرة، وأكمل في إظهار الإعجاز والرعاية، التي تكتنف الإنسان منذ اللحظات الأولى لوجوده، حيث يخلق الأحياء في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق، يكون أحدهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ولحماً وعصباً، حتى ينشئه الله خلقاً آخر، فينفخ فيه الروح ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون/١٤)، وهو في هذه الأطوار الخلقية محفوف برعاية الله محفوظ بعنايته في ظلمات ثلاث داخل رحم أمه، وذلكم العظيم الشأن الذي هذه أفعاله العظيمة هو الله الخالق لكل شيء والقائم على كل شيء، إذ له ملك كل شيء على الحقيقة في الدنيا والآخرة لا شركة لغيره في شيء من ذلك، فكيف يشرك معه في العبادة غيره أو تصرف عنه إلى غيره ممن لا يستحقها؟!.

ثم يختتم هذا المقطع بإيقاف البشر جميعاً أمام تبعتهم الفردية في الإيمان والكفر، ومحاسبتهم عليها في الآخرة، فإن الله الذي خلقهم في ظلمات ثلاث غني عن عباده، فلا يضره كفرهم به أو ينقص من ملكه شيئاً[1]، ولكنه لرحمته بهم لا يرضاه لهم ولا يحبه منهم، وإن كان وقوعه منهم بإرادته ومشيئته الكونية القدرية لحكمة يعلمها سبحانه إنما يرضى لهم ويحب منهم شكرهم له ويجازيهم عليه خيراً، ويزيدهم من فضله حيث تجازى كل نفس بما كسبت ولا يحمل أحد عبء أحد أو يحاسب بذنب غيره، ثم يكون المرجع والمصير في النهاية إلى الله وحده الذي لا ملجأ إلا إليه يوم يخبر الجميع ويعلمهم بما كانوا يعملون في الدنيا مما أحصاه الله عليهم ونسوه من أعمالهم

(١) أخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه في حديث قدسي طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عن الله تعالى: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً؛ يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» الصحيح كتاب البر - باب تحريم الظلم ٤/١٩٩٥.

الظاهرة والباطنة لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فكيف بها رأته عيونهم وأدركته أبصارهم؟!.

## من فوائد الآيات :

١ ـ توحيد الله وإخلاص الدين له أساس الحق، الذي نزل به القرآن الكريم، وقامت عليه السماوات والأرض.

٢ ـ انتفاء الواسطة بين الله وعباده في الشرع الإلهي والفطر السليمة في العبادة والدعاء لا في تبليغ الشرائع والرسالات فتلك واسطة ثابتة لا بد منها.

٣ ـ من صفات الله تعالى التي نصت عليها الآيات الوحدانية والحكمة والقهر والعزة والغفران.

٤ ـ استحالة اتخاذ الله للولد، لأنه واحد أحد لا حاجة به إلى شريك أو صاحبة أو ولد ولأنه لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له.

٥ ـ في الآيات الكريمة رد صريح على الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين. وذلك من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ . . .﴾ .

٦ ـ في تعاقب الليل والنهار وتكوير كل منهما على الآخر، دليل على كروية الأرض وجريان الشمس والقمر.

٧ ـ حكمة الله في تسيير أجرام السماوات وتقليب الليل والنهار ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل/٨٨).

٨ ـ يتركز استدلال القرآن على وحدانية الله في مجالين من خلقه هما الكون الفسيح وأنفس الأحياء.

٩ ـ قيام الخلق في الأحياء وغيرها على قاعدة الزوجية، المؤذنة بضرورة وحدة الخالق وتفرده بالأحدية.

١٠ - تأكيد القرآن على حقائق خلق الأجنة وأطوارها، ووسائل وقايتها التي لم يكتشفها علم البشرية إلا قريباً.

١١ - رضا الله لشكر عباده وسخطه لكفرهم، مع إرادته لجميع ذلك فالكفر أراده الله كوناً ولم يرده شرعاً وديناً. والشكر أراده كوناً وقدراً وأراده شرعاً وديناً. إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد. ولكمال علمه وحكمته.

١٢ - استقلال العبد بجزاء ما عمل من خير أو شر؛ إذ كل نفس بما كسبت رهينة ولا تحمل نفس وزر أخرى.

١٣ - مشروعية التنزل مع الخصوم جدلاً في مجادلتهم، كيما يلزمون الحجة التي لا يسعهم رفضها.

١٤ - الدلالة على أن القرآن الكريم كلام الله أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك من قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية. رداً على الذين يزعمون أنه مخلوق أو أنه عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه.

## المناقشـــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «أولياء، يكور، نفس واحدة، ظلمات ثلاث، وزر».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وأي الآيات فيه تصرح بهذا الموضوع؟ وما معنى إنزال القرآن الكريم بالحق؟

٣ ـ وضح ـ بأسلوبك ـ وجه الحق في إفراد الله بالعبادة وإخلاص الدين له

٤ ـ زعم المشركون أن منهجهم في العبادة هو المنهج الصحيح. ناقش شبهتهم وبين كيف رد الله عليهم؟.

٥ ـ اشرح قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ مبيناً ماذا يمكن للعلم أن يفيد من هذه الآية؟.

٦ ـ وضح وجه دلالة خلق السماوات والأرض بالحق، وتسخير ما فيهن على وحدانية الله وكمال قدرته؟.

٧ ـ وضح وجه دلالة آية الخلق في الأحياء والأنفس على وحدانية الله وكمال قدرته؟.

٨ ـ دلت آية الخلق في الأحياء والأنفس على وجه من وجوه الإعجاز القرآني لم يعرفه البشر إلا قريباً، وضح ذلك. وهل ينافي ما ذكره المفسرون؟.

٩ ـ وضـح ما يرضـاه الله لعباده من العقائد وما يكره؟ وكيف يقع في ملكه ما لا يرضاه؟ وما حدود تبعة الإنسان في ذلك؟.

١٠ ـ اذكر أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.



# المقطع الثاني

## ضرورة التوحيد وعاقبة الانحراف عنه

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ضر : | ما يصيب الإنسان من ضرر ـ أي ضرر ـ كمرض أو فقر أو خوف ونحوها. |
| خوله : | منحه وأعطاه، وملكه الشيء الممنوح والمعطى. |
| نسي ما كان يدعو إليه : | النسيان ترك الشيء والذهول عنه، واسم الموصول «ما» صالح لتفسيره بالضر المطلوب كشفه بالدعاء السابق، أو نفس الدعاء، أو المدعو وهو الله عز وجل. |
| أندادا : | جمع ند، وهو المثل والنظير، والمراد قرناء وشركاء. |
| قانت : | من القنوت وهو في الأصل الطاعة، فيدخل فيه دعاء الله والخشوع في الصلاة، وغيرها من الطاعات. |
| آناء الليل : | ساعاته وأوقاته واحدها: إِنْيٌ؛ مثل نِحْيٌ وأنحاء، أو إِنىَ مثل مِعًى وأمعاء. |
| يحذر الآخرة : | يخشى عذابها، ويخاف عقابها. |
| يا عباد : | النداء للتنبيه والإعلان، والمنادى على العباد هو الله، والرسول مبلغ عنه، والمراد قل لعبادي. |

اتقوا : فعـل الأمـر للجـماعة من التقوى، وهي : أخذ الوقاية من عذاب الله ، بعمل الطاعات وترك المعاصي .

بغير حساب : أي لا يحسب ثوابهم، لأن أجرهم لا نهاية له، وما دخل تحت الحساب فهو متناه .

أول المسلمين : يعني من هذه الأمة .

ظلل من النار : أي طبقات النار ودركاتها التي تنزل بها طوائف الكفار، فما فوقهم ظلل لهم، وما تحتهم ظلل لغيرهم .

اجتنبوا : فعل الأمر للجماعة من الاجتناب، وهو الإعراض والابتعاد .

الطاغوت : للواحد والجماعة، وهو كل ما عبد من دون الله ممن طغا وتجاوز الحد؛ وزنه فاعول مبالغة في الطغيان .

غـرف : جمع غرفة، والمراد منازلهم العالية في الجنة، لأن الجنة درجات بعضها فوق بعض .

## المعنى الإجمالي:

في بداية هذا المقطع يعرض السياق صورتين للإنسان، إحداهما للكافر المتقلب، الـذي يعرض عن دلائل التوحيد في الرخاء والسراء، ولا يعرف الله إلا في الشدة والضراء، التي ينكشف معها الكافر على فطرته الأصيلة التي خلق عليها، وتزول عنه حجب الشرك وأوهامه، حيث يرجع إلى ربه داعياً إياه أن يزيل عنه شدته ويكشف ضره، ثم إذا منحه الله من نعمه فأزال شدته وكشف عنه ضره، عاد إلى ما كان عليه من الشرك والضلال، ونسي تضرعه إلى الله وتطلعه إلى كشف ضره الذي نزل به من قبل[1]، وذهب يشرك بالله غيره، ويتطلع إلى أمثال وبدائل عن الله، يصنعها بنفسه

---

(١) وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ (يونس/١٢).

وينقـاد إليهـا منحـرفاً بذلك - وداعياً غيره إلى الانحراف - عن العبادة الصحيحة والتوحيد الخالص، ليهناً - على مزاجه الفاسد - بتحلله من لوازم التوحيد وواجباته، ولهذا يجيء توجيه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بتهديد هذا الكافر ووعيده المؤكد بعقابه، فليتمتع بكفره ما شاء له ذلك من متاع الدنيا وزخرفها القليل الفاني، حتى يستقبل ما أُعدّ له في داره ومستقره من النار.

أما الصـورة الأخـرى، فهي صورة المؤمن الموحد، المخلص لله فيما يعمل من الطاعات، والخاشع أبداً في عبادته، والذاكر دوماً لربه في جميع أحواله وأحيانه، وفي ضرائه قبل سرائه حذراً وخوفاً من عذاب الآخرة، ورجاء وطمعاً في رحمة الله، فهو في اتصال دائم بالله، ومراقبة خاشعة له، تورثه المعرفة الحقة والعلم اليقيني، ومن ثم يعقـد السياق هذه الموازنـة بين الصـورتـين المتنـاقضتين للإنسان، في شكل هذا الاستفهام، الذي يستنكر فيه تساوي الكافر الضال عن سبيل الله والمؤمن القانت لله تماماً، كما لا يستوي العالمون بحقائق الأمور، والعارفون بعاقبة أعمالهم وخشوعهم لله، وغيرهم ممّن لا يعلمون شيئاً من ذلك، أو يعرفون عواقب ضلالهم ونسيانهم لله، فإن أمثـال هؤلاء لا يفقهـون موعظة ولا ينفعهم التذكير، إنما يعتبر بذلك ويتدبره أصحاب العقول الواعية، والقلوب المتفتحة التي تذكر الله ولا تنساه.

وفي إطار الذكر الدائم لله ومراقبته المستمرة، من حذر المؤمن للآخرة، ورجائه في رحمة ربه، يتوجه سياق الآيات إلى تأسيس هذا الذكر، وتلك المراقبة، حيث يأمر الله نبيه بنداء عباد الله من المؤمنين، أن يلزموا هذه الخشية من الله والرجاء في رحمته، ودوام تقواهم له، بإحسان العمل وإخلاص العبادة، حتى ينالوا بذلك الحسنى في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن / ٦٠)، وألا يعجزهم عن التقوى والإحسان صوارف من الأهل والمال أو الديار والأوطان، بل عليهم تجاوز هذه الأمور وهجرانها إلى أرض الله الواسعة حيث يعبدون الله حق عبادته ويحسنون العمـل والإخـلاص له، متسلحـين بالصـبر على مفارقة الأهل والأوطان، ومقابلة

الشدائد والصعاب، وعندها سيجدون ما يعوضهم الله به عن ذلك من واسع فضله وعظيم أجره كما وعد به عباده الصابرين.

ويأتي الأساس الثاني: إعلانهم بما أمر به صلى الله عليه وسلم من تجريد عقيدة التـوحيد وإخـلاص العبودية لله، حتى يتميز مقام الألوهية لله جل وعلا عن مقام العبودية لرسوله صلى الله عليه وسلم، ويكون بإعلانه هذا أول المسلمين من هذه الأمة وسابقهم إلى التوحيد، والمخالف لما كان عليه قومه من الانحراف عن التوحيد وإخلاص العبودية لله.

ويأتي الأساس الثالث: إعلاناً آخر من الرسول صلى الله عليه وسلم بخوفه من عذاب الله يوم القيامة، وخشيته أهواله الشديدة إن هو عصى ربه[1]، فلم يخلص له التوحيد والعبادة، وأطاع قومه على شركهم وضلالهم، فليحذر هؤلاء ما هم فيه من الغيّ والضلالة.

ثم يتكرر إعلان الرسول صلى الله عليه وسلم للتوحيد وإخلاص العبودية لله، لإظهار إصراره عليه، ولتهديد هؤلاء المصرين على الشرك، والتهكم بهم أن يعبدوا ـ بعد هذا الإعلان والبيان ـ من دون الله ما يشاءون وليعلموا أن عاقبة ذلك هي الوبال والخسران، لأنفسهم وأهليهم، وورودهم وإياهم موارد التهلكة في الآخرة، وليس بعد خسران النفس والأهل في هذا الموقف من خسارة، فذلك هو الخسران الواضح الذي لا اجتماع لهم معه ولا سرور.

وتأتي بقية آيات هذا المقطع مفصلة لذلك الخسران، ومبينة عاقبة الانحراف عن التـوحيد، وفي مقابلها فوز المتقين وعاقبة الموحدين، فهؤلاء الخاسرون تلفهم النار وتحتويهم من جوانبهم وتغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم فهم بين أطباق لهب ـ أعـاذنا الله منها ـ وهذا مشهد حسي يعرضه الله على عباده في الدنيا، يحذرهم منه

(١) وفي هذا الشرط تعريض بالمشركين وتماديهم في عبادة الأوثان من طريق الأولى والأحرى.

ويخوفهم به، وهم بعد في مكنة من الحذر والتقوى، والنجاة بأنفسهم وأهليهم من الوقوع فيه.

أما هؤلاء الذين استجابوا لداعي الله، وأخلصوا التوحيد لله، وجنبوا أنفسهم وأهليهم الشرك وعبادة ما دون الله، ورجعوا إليه وحده في كل ما يهمهم، فإن هؤلاء لهم البشرى من الله بالجنة والثواب العظيم، يحملها إليهم الرسول الكريم، ويبلغها لهم بأمر الله، فهم خليقون بذلك لطيب نفوسهم وزكاوة قلوبهم، التي تجعلهم يقبلون على الطيب من القول، ويعملون ـ بأحسن ما يسمعون منه، فهؤلاء هم الذين وفقهم الله لتوحيده وإخلاص العبادة له لما علم في نفوسهم من الخير، وهؤلاء هم أصحاب العقول السليمة، التي تعين أصحابها على اختيار أوفق الأمور لهم في دينهم ودنياهم، فتزكيهم على غيرهم وتقودهم إلى النجاة مما يُهلك غيرهم، كهؤلاء الذين وجب عليهم عذاب الله واستحقوه بعبادتهم للطاغوت، فهم يندفعون إلى النار التي لا يملك أحد إنقاذهم منها ولو كان محمداً صلى الله عليه وسلم؛ إذ أن من كتب الله عليه الشقوة لا يقدر أحد أن ينقذه من الضلال والهلاك، ومن يضلل الله فلا هادي له.

ويختتم هذا المقطع بتفصيل بشرى المتقين، الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، واتبعوا أحسن ما قيل لهم، فهؤلاء يتقلبون في نعيم الجنة، ولهم فيها الدرجات العليا في طباق يعلو بعضها بعضاً، محكمة البناء ومتقنة الصنع، تظلهم أشجارها الوافرة وتبهجهم أنهارها الجارية من تحتها، في وعد لهؤلاء المتقين مؤكد حصوله ووقوعه، فهو وعد الله الحق الذي يفي بوعده ولا يخلف الميعاد

## من فوائد الآيات:

١ ـ تقلب الكافر واضطرابه النفسي، ومعرفته لله في الشدة، وإعراضه عنه وكفره به في الرخاء.

٢ ـ ذكر المؤمن الدائم لربه على جميع أحواله وفي كل أحيانه، رهباً من عذاب الله ورغباً في رحمته.

٣ ـ عدم تساوي الكافر والمشرك مع المؤمن والموحد، كما لا يستوي العالمون مع غير العالمين.

٤ ـ أن نيل الحسنى في الآخرة لا يكون إلا لمن اتقوا ربهم في الدنيا، وأحسنوا العمل لله وأخلصوا فيه.

٥ ـ مشروعية هجرة المؤمن من موطن لا يمكنه فيه تقوى الله، وإحسان العمل إلى آخر يمكنه فيه ذلك.

٦ ـ جزاء الله الواسع للصابرين على التقوى والإحسان، ومفارقة الخلان والأوطان.

٧ ـ تكرار ذكر التوحيد والإخلاص لله لإظهار ضرورته، وأنه سبيل النجاة من الهلاك في الآخرة.

٨ ـ في المقابلة بين عذاب المشركين ونعيم المتقين، ترهيب للعباد من جهة، وترغيب لهم من جهة أخرى.

٩ ـ من أضله الله فلا هادي له ولا منقذ من النار ولو كان نبياً مرسلاً، وتقدس أن يكون منه ذلك لأنبيائه وأوليائه، لكمال علمه عن قبولهم لهدايته وتثبيتهم عليها.

١٠ ـ استحقاق الموحدين للبشرى من الله، لما لهم من صفات التقوى والإنابة واتباع أحسن القول.

١١ ـ الرد على الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين أو بقرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك من قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ ومن قوله: ﴿ . . . أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾.

## المناقشـــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «خوله، أندادا، قانت، آناء، اجتنبوا، الطاغوت».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وما ملامح الصورة التي عرضها للكافر؟ وماذا تقرر لهذا الكافر من جزاء؟.

٣ ـ لماذا لا يستوي الكافر والمؤمن؟ وضح وجوه عدم تساويهما، مع التدليل على ذلك ما أمكنك؟.

٤ ـ ما أسس ذكر الله ومراقبته التي عرض لها هذا المقطع؟ وما جزاء من أحسن العمل في الدنيا وأتقنه؟.

٥ ـ لماذا تكرر إعلان التوحيد في هذا المقطع؟ وكيف نفهم معه أمر المشركين بعبادة ما يشاءون من دون الله؟.

٦ ـ وضح عاقبة المشركين من الخسران المبين؟ وما الذي يقابل خسرانهم مما أعد للمتقين؟.

٧ ـ مالبشرى التى أعدها الله للمتقين؟ وما سبب استحقاقهم لها؟.

٨ ـ اذكر أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع مع شرح واحدة منها؟.



## المقطع الثالث

### دلائل التوحيد وحقيقته وجزاء المكذبين والصادقين

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| السماء : | السماء يطلق ويراد به ما علا وارتفع، ويطلق ويراد به السموات السبع المبنيه والمراد هنا الأول وهو السحاب. |
| فسلكه : | أدخله في الأرض، وأجراه فيها. |
| ينابيع : | جمع ينبوع، وهو العين من الماء الجارية التي ينبع منها الماء. |
| ألوانه : | الألوان معروفة، والمراد ما هو أعم منها، كالأشكال والأصناف والأنواع والطعوم وغيرها. |
| يهيج : | يجف وييبس ويضمر، بعد اخضرار ورواء ونضارة. |

حطاما : متكسرا ومتفتتا من شدة جفافه ويبسه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ (الكهف/٤٥) .

شـرح : شرح الصدر (القلب) وانشراحه اتساعه وتقبله للشيء، وانفعاله به وفرحه به .

نور من ربه : المراد به البصيرة، والهدى من الله .

للقاسية قلوبهم : قسوة القلب صلابته وجموده وغلظته وجفاؤه، ورفضه لقبول الحق لا يرق له ولا يلين.

متشابهاً : يشبه بعضه بعضاً في الآيات والإحكام، فهو متحد المعاني والأغراض متناسق الخصائص والاتجاهات .

مثاني : من التثنية يعني تثنى فيه القصص وتكرر فيه المواعظ والأحكام، أو بأن أكثر الأشياء المذكورة فيه من زوجين كالأمر والنهي والسماوات والأرض، وأحوال المؤمنين والكافرين، والثواب والعقاب، والجنة والنار .

تقشعر : من القشعريرة وهي الانقباض والاضطراب، تأثرا من فرط الخشية والخوف.

تلين : من الليونة وهي الانبساط والهدوء، أنساً بذكر الله وخشوعاً له .

الخزي : الذل والهوان، كالمسخ والخسف، أو القتل والسبي، وغير ذلك من ضروب النكال .

غير ذي عوج : العوج الاعوجاج والميل والانحراف، والمراد: لا لبس فيه أو اختلاف بوجه من الوجوه .

متشاكسون : متنازعون مختلفون، لسوء طبعهم واختلاف وجهاتهم .

سلماً : سالماً وخالصاً لصاحبه، لا اختلاف عليه، ولا تنازع فيه من شركاء .

ميّـت : بتشديد الياء من لم يمت بعد وسيموت وهو المراد، وبتخفيفها من مات فعلاً وفارقته الروح .

تختصمون : من المخاصمة، وهي : الاحتكام للقضاء، والفصل بين الناس.

الصـدق : ما هو ضد الكذب، والمراد ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق كالتوحيد والوحي والمعاد وغيرها .

مثـوى : مقاماً، أصله من ثوى بالمكان إذا أقام به .

أسـوأ وأحسن : معـروفان في التفضيل، والمراد مطلق السيئات والحسنات، يتجاوز عن الأولى ويثيبهم عن الثانية تفضلاً منه .

## المعنى الإجمالي:

يبدأ هذا المقطع بلفت أنظار المشاهدين والرائين إلى بعض دلائل التوحيد، وما تتضمنه من عظيم قدرة الله وبديع صنعه، فذكر من ذلك مشهداً دنيوياً كثيراً ما يرد في القرآن الكريم، مثلاً على زهرة الدنيا وفنائها السريع، قصدا للاعتبار بها وعدم الركون أو الاطمئنان إليها.

فكثيراً ما يشاهد الإنسان إنزال الله للماء من السحب سيولاً منهمرة على الأرض، حيث تجري الأنهار بكثير منه على سطحها، ويتسرب كثير منه إلى داخلها، حيث يختزن في باطنها وطبقاتها القريبة، لتنتفع به الحياة والأحياء عندما يأذن بذلك الله، فتتفجر به ينابيع الأرض وعيونها، أو تتدفق به آبارها ومجاريها، ومن ثم تنشأ به الحياة النباتية شاقة حجاب الأرض، خارجة على ظهرها بألوان وأصناف شتى من الزرع النضر والنبـات الخضر، الـذي ما يلبث أن يبلغ تمامه، ويأتي إلى نضجه ويبسه، وتنتهي دورته فيتغير لونه وتضعف قوته وصلابته ليصير حطاماً هشيماً، كل ذلك تتملاه الأعين وتشهده دوماً فيملأ القلوب الواعية بالذكرى والتدبر، ويعمق إيمانها بالواحد المبدع والقادر المقتدر.

ومثل هذه القلوب المتفتحة للخير والعقول المتدبرة لصنع الله، هي التي ينتفع أصحابها بهذه الدلائل ويتعظون بهذه المشاهد، حيث هيأهم الله لتقبل ذلك والانفعال به، والاطمئنان إلى إسلامهم لربهم، فعاشوا حياتهم على هدى من نوره، ولم يكونوا كغيرهم مِمَّن توعدهم الله بالويل والهلاك، لغلظ قلوبهم وقسوتها، التي لم ترق أو تلن لذكر الله، وظلمة نفوسهم التي لم تشرق بنوره، فعاشوا حياتهم في ظلام لا نور لهم، وغواية وضلالة لا هادي لهم فيها ولا مرشد.

وها هو كتاب الله فيه النور والهدى لمن أراد أن يحيا ويهتدي، أنزله الله حديثاً حسناً وقرآناً كريماً يشبه بعضه بعضاً، وتعاد فيه المعاني وتتناسق وتتكرر وتتزاوج، ولكنها أبداً لا تختلف أو تتناقض، ومن ثم تنفعل به نفوس الذين يخشون ربهم ويتقونه، فترتجف له أعضاؤهم وترتعش منه جلودهم، رهباً من عذاب الله وخشية عقابه، ثم تهدأ نفوسهم فتنبسط جلودهم وتأنس قلوبهم وتطمئن إلى ذكر الله، رغباً في رحمته ورجاء ثوابه، وهكذا يهدي الله بهذا الكتاب من يشاء هدايته وتوفيقه، كما تكون هداية المهتدين بهدي الله؛ أما من يخذله الله ويضله، ويجعل قلبه قاسياً مظلماً غير قابل للحق لإعراضه عنه، فلن تجد له مخرجاً من الضلالة أو هادياً إلى الحق.

وكما اختلف شأن هؤلاء في تلقيهم لكتاب الله وهديه، يختلف شأنهم يوم القيامة، ولن يتساوى هذا الشارد عن الحق في الدنيا، الذي يدفع عذابه في الآخرة بوجهه (أشرف أعضائه) لانغلال يديه وقيدهما إلى عنقه ـ لن يتساوى مع من قبل الحق في الدنيا فهو في الآخرة آمِن مِن المكاره، لا يخشى مكروهاً أو عقاباً، مع ما يناله أمثال هذا الأول من الإهانة والتأنيب على ظلمهم لأنفسهم بالشركِ والضلال، حين يقال لهم تهكماً بهم واستهزاء: ذوقوا وبال شرككم وضلالكم في الدنيا وجزاء ما كسبتم من الانحراف عن الحق، وعلى هؤلاء المشركين أن يختاروا لأنفسهم ويتداركوها بما يقيهم العذاب في الآخرة ويسلمهم من مكارهها، أو يظلوا على تكذيبهم مثل من قبلهم من الأمم التي كذبت رسلها، فأنزل الله بهم عقابه وعذابه بغتة من حيث لا يحتسبون أو

يتوقعون، ولحقهم الذل والهوان في الدنيا، مع ما ينتظرهم في الآخرة مما هو أكبر من خزي الدنيا وصغارها، لو علم هؤلاء أو اتعظوا بتلك الموعظة، وهيهات لهم أن يعلموا أو يتعظوا!.

وعن ذكر هذا المثل من مكذبي الأمم، يقرر السياق أن هذه الأمثال في القرآن الكريم ـ مما يحتاج إليها البشر ـ إنما ذكرت رجاء أن يتعظ بها المشركون فيقلعوا عن شركهم وتكذيبهم، ويعتبروا بما حدث لغيرهم وبخاصة أن هذه الأمثال جاءتهم بهذا القرآن العربي، الذي لا تخفى عليهم فصاحته أو يغيب عنهم بيانه، فلا اعوجاج فيه أو انحراف، بل يدركون استقامته على الحق ووضوح القصد، ولعلهم ـ بعد ذلك ـ تنفعهم الذكرى والموعظة، فيتقوا كفرهم بالله وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم ويخلصوا لله العبادة ويبرأوا من الآلهة والأنداد.

ومن هذه الأمثال في القرآن ما يذكره الله مثالاً لمن يعبد إلهاً واحدا يعرف ما يرضيه فيفعله وما يغضبه فيتقيه، ومن يعبد آلهة متعددة يتوزع هواه بينهم وتتبدد جهوده في رضاهم، فهما لا يستويان مثلاً ولا يتفقان حالاً، كما لا يستوي حال العبد الذي يملكه سيد واحد لا ينازعه أحد فيه، مع حال العبد الذي يملكه سادة متنازعون، ولما كان حال هذين لا يستويان كما لا يستوي التوحيد والكفر، ثبت أن المستحق للحمد هو الله الواحد المالك لكل شيء، وليس الشركاء المتشاكسون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون استحقاق الله للحمد فيشركون معه سواه، وهم ـ لا شك ـ مدركو ذلك ومقرروه عندما تنتهي حياتك يا محمد وحياتهم، ويقفون جميعاً للخصومة والتقاضي يوم القيامة عند صاحب الحمد، ويومها يتبين المحق من المبطل، ومن كان على الهدى والضلال، من الموحدين الصادقين والكاذبين الظالمين.

ويطلعنا الله في نهاية هذا المقطع على حقيقة الموحدين والمشركين، وما أعد لهم من الجزاء، فيقرر: أن ليس هناك أظلم ممن جمعوا أطراف الباطل، إذ يكذبون على الله بزعمهم أن له بنات وولدا، ويجعلون له شركاء وأنداداً، ثم هم يُكذِّبون بالصدق

الذي جاءهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم من التوحيد والوحي والمعاد وغيرها، فدخلوا بكذبهم وتكذيبهم في عداد الكافرين، واستحقوا جهنم مثوى لهم وساء مقاماً.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاءهم بهذا الصدق، ومعه المؤمنون الذين صدقوه وتابعوه إلى يوم الدين، فهم المتقون الموحدون الذين برئوا من الشرك والضلال، ولهذا كان لهم عند ربهم ما يشاءونه من أنواع النعيم والكرامة، الذي أعده الله لأمثالهم من المخلصين والمحسنين، وفي هذا إيذان برفع درجاتهم، والتفضل عليهم إذ يجزيهم الله بما هو فوق العدل فلا يؤاخذهم بسيئات أعمالهم، بل يتجاوز عنها ويغفرها لهم على حين يثيبهم ويجزيهم بحسناتهم تفضلاً منه وإحساناً فوق إحسان و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن/٦٠).

## من فوائد الآيات:

١ - في إنزال الماء من السحب واختزانه في الأرض لإخراج الزرع به آيات على وحدانية الله وقدرته.

٢ - عدم الاطمئنان إلى الدنيا أو الركون إليها، فزهرتها ذابلة حتماً وخضرتها إلى هشيم وحطام.

٣ - تفاوت تأثير القرآن على الناس حيث يحيا به المؤمن ويهتدي، ويضل عن هديه الكافر ويرتدي.

٤ - من شرحت صدورهم للإسلام أمنوا المكاره في الآخرة، ومن قست قلوبهم اتقوا عذابهم بوجوههم فيها.

٥ - أن عذاب الدنيا للمكذبين لا يغني عن جزائهم وعذابهم في الآخرة.

٦ - ذكر الأمثال في القرآن الكريم، لتقريب المعاني إلى الأذهان ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال/٤٢)، ﴿... يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ (البقرة/٢٦).

٧ - اختصام الرسول صلى الله عليه وسلم والموحدين مع المشركين المكذبين، والفصل بينهم يوم القيامة.

٨ - أظلم الظلمة الكاذبون على الله المكذبون لرسله عليهم السلام، والذين مأواهم جهنم وبئس مثواهم.

٩ - كرامة الموحدين المحسنين عند ربهم، وتفضله عليهم بغفرانه سيئاتهم، ومجازاتهم بإحسانهم إحسانا.

## المناقشة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «سلكه، يهيج، حطاماً، خزي، متشاكسون، سلماً، مثوى».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وما نوع الدلائل المستخدمة فيه؟ وما المراد بشرح الصدر وقسوة القلب؟.

٣ ـ ما المقصود بكل من أ) تشابه الكتاب ومثانيه، ب) قشعريرة الجلود ولينها، جـ) أسوأ الذي عملوا وأحسنه؟.

٤ ـ «ازدحم هذا المقطع بالأمثال القرآنية» ما الغرض من ذكر الأمثال في القرآن عامة وهذه السورة خاصة؟.

٥ ـ اختر واحد من الأمثال القرآنية في هذا المقطع وفصل القول فيه؟.

٦ ـ «للماء دور في الحياة أي دور» بين ذلك كما عرفته في هذا المقطع مع بيان دلالة ذلك؟.

٧ ـ وازن بين الموحدين والمشركين من حيث: أ) تلقيهم للقرآن وتأثرهم به، ب) جزاؤهم على ذلك في الآخرة؟.

٨ ـ وضح حقيقتي التوحيد والشرك من خلال ما ضربه الله مثلاً لهما؟ وماذا تفيد من هذا المثل؟.

٩ ـ من أظلم الظلمة؟ ولماذا استحقوا هذا الوصف؟ وما جزاؤهم عند الله؟.

١٠ ـ من المتقون المذكورون في هذا المقطع؟ وما جزاؤهم عند ربهم؟ ولماذا استحقوا هذا الجزاء؟.

١١ ـ اذكر ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها؟.

# المقطع الرابع

## حقيقة التوحيد وإعراض المشركين عنه

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ

وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
| --- | --- |
| كاف عبده : | كفيله وحسيبه فلا خوف عليه من غير الله ، والمراد بالعبد الجنس ويدخل فيه محمد صلى الله عليه وسلم دخولاً أولياً . |
| الذين من دونه : | المراد بهم كل ما عبد غير الله (أصناماً وأوثاناً وطواغيت وطغاة وظلمة ومتجبرين وقبور وأضرحة ) مما هو واقع اليوم في كثير من البلدان . |
| ذي انتقام : | الانتقام : إنزال العذاب والعقاب بمن يستحقه أشد ما يكون العذاب والعقاب . |
| برحمة : | إن أراد أن يرحمني . |
| عليه يتوكل : | التوكل الاعتماد على الله ، والالتجاء إليه والاستعانة به . |

مكانتكم : حالتكم وطريقكم التي أنتم عليها، وتمكنتم منها .

بوكيل : أي كفيل بهدايتهم، أو رقيب وحسيب عليهم .

يتوفى الأنفس : يقبضها ويخرجها عن الأبدان، ويقطع تعلقها بها كلياً كما في الموت، أو جزئياً كما في النوم .

شفعاء : من يقضون حاجات الناس عند غيرهم؛ والمراد بهم معبودات المشركين التي زعموا شفاعتها لهم عند ربهم .

اشمأزت : الاشمئزاز الازورار والإعراض، والمراد: انقباض القلب وضيق النفس، الذي يظهر في نفورهم وتبرمهم .

يستبشرون : الاستبشار: انبساط البشرة وارتخاؤها؛ والمراد: فرحهم وابتهاج قلوبهم، الذي يظهر على وجوههم.

الغيب والشهادة : الغيب: ما غاب وخفي عن الأنظار والأبصار من الأسرار وغيرها؛ والشهادة: ما يظهر للأنظار وتشهده الأبصار.

## المعنى الإجمالي:

تكشف بداية هذا المقطع عن هذا التقرير الجازم، من كفاية الله لعباده الموحدين المخلصين، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعيشوا مع ربهم في أمان واطمئنان يجهرون بعبادته وتوحيده، ولا عليهم إذا تمالأت عليهم الدنيا، وتهددتهم بطواغيتها وضلالها، وما داموا في حراسة ربهم فماذا يجدي إذن تخويف المشركين لك ـ أو لأي مؤمن ـ بمن هم دون الله، بل بمن لا حول لهم ولا طول ولا نفع منهم أو ضرر[1]، فكيف جهل هؤلاء هذا الأمر وغفلوا عنه، ولكنه الضلال الذي استحقوه فقضى عليهم به، وما لهم ـ بعد هذا القضاء بالضلال ـ من هاد يرشدهم إلى الخير، أو يخلصهم من ضلالهم أبدا، كما أن من هداه الله إلى الحق ووفقه للأخذ بأسباب

(١) روي عن معمر أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك» فتح الباري ٥٤٨/٨ .

السعادة والخير لا مخرج له من هذه الهداية التي أرادها الله له، ولا صارف له عن الخير الذي وفقه إليه، حيث لا راد لإرادة الله في الحالين ولا مبدل لقضائه فيهما، فهو القوي الغالب المنيع الجانب، المنزل العذاب بأعدائه، والمنتقم منهم أبداً لأوليائه.

ويجيء تقرير عزة الله ونفاذ إرادته، وافتقاد الحول والطول للمعبودات غيره مرة أخرى في صورة إقامة الدليل على بطلان الشرك، وغفلة المشركين وشديد جهلهم في عبادة غير الله، فلقد كانوا يقرون - عند سؤالهم من خلق السماوات والأرض - أنه الله، وهنا يوجه الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يواجههم بهذه الحقيقة الفطرية، المقررة للإرادة العليا في الخلق، مبكتاً لهم وموبخاً، كيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالقهم وتشريك المخلوق مع الخالق في العبادة، والحال أن معبوداتهم هذه المدّعاة، لا تملك ولا تستطيع كشف ما يريده الله برسوله صلى الله عليه وسلم من ضر، أو تمنع وتصرف ما يريده الله به من الخير؟ وإذا كان الأمر كذلك فلا خوف أو رجاء إلا من خالق السماوات والأرض، فهو وحده كاف عباده وحسيبهم، وعليه وحده يعتمدون وبه يستعينون، وإليه يطمئنون وفيه يثقون، وأمورهم كلها مفوضة إليه، فهو نعم المولى ونعم النصير.

وعند وضوح الحجة عليهم هكذا، يأمر الله رسوله بتهديدهم وتوعدهم، أن اعملوا على طريقتكم وما تعتقدون، فأنتم وشأنكم وأنا وشأني، أعمل على طريقتي ومنهجي، وأمضي في دعوتي لا ألوي على شيء، وسوف تعلمون من يقع عليه العذاب، ويخزيه الله في الدنيا فيظهر حينئذ المحق منا والمبطل، فيحق عليه العذاب الدائم والمقيم في الآخرة.

ومع هذه المفارقة بين ما يدعوهم إليه من التوحيد والحق، وما يصرون عليه من الشرك والباطل، كان حزنه صلى الله عليه وسلم شديداً لإصرارهم على الباطل، كما حكى الله عنه في قوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشعراء/٣) ومن هنا أعلمه الله ألا يكترث لضلالهم، لأن مهمته - فحسب - إبلاغ الناس رسالة ربهم،

وكتابه الذي أنزله لهم مشتملاً على الحق ليهتدوا به ويقوموا عليه، وهم بعد ذلك وما يشاءون من هدى أو ضلال، فمن عمل بما فيه واهتدى بهديه فلنفسه بغى الخير وإليها يعود نفع اهتدائه، ومن حاد عن بيان الكتاب وضل عن طريق الحق فيه فإنما يبخس نفسه ويظلمها، وعليها يعود بالضرر والهلاك، أما أنت يا محمد فلست مسئولاً عما يختارون أو رقيباً على أعمالهم ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾[1]، (هود/١٢)، فالناس جميعاً في قبضته في كل أحوالهم من صحوهم ونومهم، وحياتهم ومماتهم، فهو يقبض أنفسهم حين موتهم وعند نومهم، ويقطع تعلقها بأبدانهم، فما استوفت أجلها من النفوس وقضى عليها بالموت أمسكها عنده، وما لم تستوف أجلها أرسلها لتعلق ببدنها إلى أن يحل أجلها المسمى، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)[2]، وفي هذا التوفي للأنفس وإمساك بعضها وإرسال بعضها الآخر عظات عجيبة، ودلالات بليغة على كمال قدرة الله الباهرة لمن يتفكر فيها ويتدبر.

وإذا كانت أنفس الخلق جميعاً في قبضة الله المحيي والمميت، فلا خلاص لهم من حسابه وجزائه فماذا ينفع المشركين من وسائطهم ووسائلهم، التي يزعمون شفاعتها لهم عند ربهم، ويتخذونها أندادا له، وآلهة من دونه، والشفاعة لا تكون ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ (النجم/٢٦)؟؛ ولهذا يجيء توجيه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتهكم بهم، وتوبيخهم على زعمهم في هذا السؤال الساخر المستنكر: أيشفعون لكم عنده، ولو كانوا لا يملكون شيئاً أي شيء فضلاً عن هذه الشفاعة، كما لا يعقلون أي شيء فضلاً عن عبادتكم إياها؟ إنما الشفاعة كل الشفاعة

(١) وهذا قبل الأمر بالجهاد.

(٢) أخرجه مسلم وغيره عن أبي هريرة، صحيح مسلم ٤/٢٠٨٤ كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

لله وحده، ليس لأحد منها شيء، إلا أن يكون الشفيع مأذوناً من الله في شفاعته، والمشفوع له مرضى لله؛ إذ له وحده الخلق والأمر، والملك التام لما في السماوات والأرض، لا يخرج على إرادته أحد في ملكه، بل ولا مهرب أو مفر من الرجوع إليه، والمصير إلى ثوابه أو عقابه.

وثمة تناقض آخر بين إقرارهم بالخالق وشكرهم به، يعرضه السياق في صورة صارخة فاضحة، لتكرره في كل البيئات والأزمان، وهو نفرتهم وانقباض قلوبهم عند سماع التوحيد، وما يذكّر به أو يدعو إليه، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب، أما إذا ذكرت معبوداتهم وشفعاؤهم وطواغيتهم وطغاتهم، فرحوا واستبشروا وأقبلوا على القول في بهجة وبشاشة، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد، ومثل هؤلاء النافرين عن التوحيد والمحبين للشرك، لا فلاح في مواجهتهم إلا بتذكيرهم بنداء الفطرة الخالصة، الذي تنطق به جميع الموجودات، وتشهد بوحدانية الله ورد الأمر كله إليه، فهو منشىء السماوات والأرض، العالم بشؤنها الظاهرة والباطنة، المطلع على أمورهما الغائبة والحاضرة، وهو الحكم بين عباده عند رجوعهم إليه، والفاصل بينهم فيما اختلفوا فيه من التوحيد والشرك، حيث يجازى الموحدين المحسنين، ويعاقب المشركين الظالمين.

## من فوائد الآيات :

١ ـ أن أولياء الله من عباده في حراسته أبداً فهو كافيهم وحسيبهم ومن كان مع الله بالطاعة والإنقياد كان معه بالحفظ والنصر والتأييد.

٢ ـ نفاذ قضاء الله ومضاء إرادته؛ إذ لا هادي لمن أضله الله ولا مضل لمن هداه.

٣ ـ جهالة المشركين وتناقضهم في إقرارهم بالربوبية لله، وإشراكهم معه آخرين في عبادتهم.

٤ ـ اختلاف منهج المؤمنين وطريقهم عن منهج المشركين وطريقهم، كل يعمل على شاكلته وطريقته.

٥ ـ مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم تبليغ الأمة وإنذارها دون هدايتها؛ إذ ليس عليهم بمسيطر ولا وكيل. هذا قبل أن يؤمر بالجهاد.

٦ ـ من أراد الهداية فعمل بكتاب الله الحق فلنفسه جاء بالخير، ومن أبى وأعرض فعليها جنى وجلب الشر.

٧ ـ نفوس البشر كلها في قبضة الله يتوفاها فيمسك ما انتهى أجلها ويرسل الأخرى لتستوفي أجلها.

٨ ـ الشفاعة لله وحده ولا شفاعة لغيره من الأنبياء وغيرهم[1] إلا من أذن الله له أن يشفع ورضي عن المشفوع لـه.

٩ ـ من أبـرز الـدلائل على شرك المشركين اتخاذهم الشفعاء، وفرحهم بذكرهم، ونفورهم من التوحيد وذكر الله.

١٠ ـ علم الله الشـامـل لكـل شيء وفصله بين العباد فيما اختلفوا فيه في الدنيا، ومحاسبتهم على ذلك.

(١) راجع: العقيدة الواسطية وشرحها ص ١٥٦ ـ ١٥٨.

## المناقشـــة

١ ـ وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «كاف عبده، انتقام، يتوكل، وكيل، يتوفى، اشمأزت».

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع، وضح التقريرات التي عرض لها في بدايته مع بيان الفائدة منها؟.

٣ ـ عرضت الآيات استحالة تبديل إرادة الله من أية قوى، وضح ذلك من خلال تفسير الآيات؟.

٤ ـ ما معنى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه بالعمل على مكانتهم؟ وهل تعرف لذلك نظيراً في القرآن؟.

٥ ـ ما حدود مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أمته؟ وماذا تعرف من الآيات في ذلك؟.

٦ ـ ما الفرق بين الموت والنوم فيما عرفت من تفسير آية توفي الأنفس؟ وما العبرة المستفادة من الآية؟.

٧ ـ ما معنى الشفاعة؟ ولمن تثبت من غير الله؟ وما الشرط في ذلك؟.

٨ ـ ما الأمارات البارزة التي يعرف بها المشركون؟ ولماذا عرضتهم الآيات في هذه الصورة؟ وماذا يمكن مواجهتهم به لردهم إلى فطرتهم التي خلقهم الله عليها؟.

٩ ـ اذكر ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.

## المقطع الخامس

### صور من أحوال الظلمة والتائبين وجزاء كل منهم

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

## سبب النزول :

أخرج البخاري والواحدي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك، كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ...﴾[1]، وأخرج النحاس عنه قال: ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، وقال آخرون: إلى سبع آيات منها[2].

(١) راجع: فتح الباري كتاب التفسير باب يا عبادي الذين أسرفوا ٨/٥٤٩، أسباب النزول ص ٣٩٠.

(٢) راجع: فتح القدير ٤/٤٤٧، ٤٧٢.

## معـاني المفـردات :

| الكلمة | معناهـا |
| --- | --- |
| لافتدوا به : | قدموه فدية لهم مما هم فيه، لينأوا بأنفسهم ويحموها من العذاب. |
| يحتسبون : | يظنـون ويتوقعون؛ يعني: لم يكن في حسبانهم، ولم يحدثوا أنفسهم به . |
| حاق بهم : | نزل بهم، وأحاطهم من كل جانب . |
| فتنـة : | محنة واختبار، وبلاء واستدراج . |
| بمعجزين : | فائتين من عقاب الله وعذابه، فلا يعجز الله أو يضعفه عن العقاب أحد من خلقه . |
| يبسط . . . ويقدر : | بسط الرزق سعته وتكثيره، وقدره قبضه وتضييقه والتقتير فيه . |
| أســـرفوا : | الإسراف تجاوز الحـد في كل أمـر، والمـراد هنـا الإفراط في المعاصي والاستكثار منها . |
| لا تقنطـوا : | لا تيأسوا من رحمة الله ومغفرته . |
| أنيبوا وأسلموا : | الإنـابة الرجوع إلى الله بالتوبة، والإسلام: الاستسلام له بالطاعة والإنقياد. |
| بغتـة : | من المباغتة، وهي المفاجأة . |
| فرطـت : | من التفريط، وهو: التقصير في تحصيل الشيء، وإهماله. |
| جنب الله : | الجانب الذي يؤوى إليه، والمراد طاعته وعبادته. |
| كـــرة : | رجعة إلى الدنيا، وعودة إليها . |
| آياتي : | الآية العلامة، وتطلق على الدليل والبرهان، والعظة والعبرة، والآية من القرآن. . |

بمفازتهم : المصدر الميمى للفوز، والمراد سعادتهم، لظفرهم بالخير ونجاتهم من الشر .

المعنى الإجمالي :

اختتم المقطع السابق بالإشارة إلى رجوع الخلق إلى الله ليحكم بينهم، ويشرع هذا المقطع في عرض أحوال الظلمة والتائبين في الدنيا وعند رجوعهم إلى الله ؛ ويقرر السياق هول ما يلاقيه الظلمة المشركون من العذاب في اليوم الآخر، بحيث يهون عليهم افتداء أنفسهم منه بجميع ما في هذه الأرض من الذخائر والأموال، وكل ما يملك في الدنيا ويحرص عليه ، بل بأضعاف ذلك لو كان ملكاً خالصاً لهم، ويزداد فزعهم وهولهم حين يظهر لهم من عذاب الله وسخطه ما لم يكن في حسبانهم أو يرد لهم على بال، كما يشتد ألمهم حين يظهر لهم مع ذلك أن ما ظنوه من أعمالهم صالحا، لشركهم بالله وعبادتهم غيره، هو أسوأ ما اكتسبوه من الأعمال، وأقبح ما اقترفوه من الأفعال، وحينذاك يحيط بهم العذاب، ويحق عليهم وعيد الله وتهديده، الذي استهزأوا به كثيراً وأنكروا وقوعه .

ومثل هؤلاء الظلمة كثير من بني الإنسان الذين تفسد فطرتهم ويضلون عن طريق الحق، فلا يعرفون الله إلا في الشدة والضراء، فيدعونه ليزيل شدتهم ويكشف عنهم ضرهم، ثم إذا منحهم الله من نعمه ونالوا شيئاً من الرخاء والخير، ووسع الله لهم في أرزاقهم زعموا إنما أوتوا هذا كله بجدهم واجتهادهم، ولعلم عندهم بأمور الدنيا وطرق المكاسب فيها ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (المؤمنون/٥٥ - ٥٦) نعم لا يشعرون أن هذا العطاء والإنعام استدراج لهم وامتحان واختبار لحالهم، أيشكرون أم يكفرون، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك، فلهذا يقولون ما يقولون، ويدَّعون من الدعاوى ما لا يفقهون.

ولم يكن المشركون بدعا في ذلك، فقد قالها من قبلهم من كانوا على شاكلتهم من

الأمم السابقة، قالها قارون في الزمن القريب منهم ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ ﴾ (القصص/٧٨)، ولكن هؤلاء لم يغن عنهم كسبهم شيئاً من عذاب الله حين جاءهم، ولم ينفعهم جدهم وعلمهم كما حكى الله عنهم، بل ضلوا بزعمهم هذا، وهلكوا بكسبهم وجدهم وعلمهم، حين أصابهم جزاء كسبهم السيء وزعمهم الباطل، ووقع بهم نكال الله وخزيه في الدنيا، كما يصيب هؤلاء الظلمة من المشركين مثل ما أصاب من قبلهم من الغابرين سنة الله لا تتبدل ولا تتغير حيث قالوا مثل قولتهم: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (سبأ/٣٥) فلم يفوتوا من عقاب الله وعذابه، بل ذاقوا وبال كسبهم قحطاً وقتلاً وأسراً، وهو عذاب الله المنتظر الذي لا يفوت أبداً من يقول هذه الكلمة اليوم - وبعد اليوم - من هؤلاء المخدوعين بعلومهم وصنايعهم، الغافلين عن مصدر نعمهم وواهب علومهم، ومقدر أرزاقهم.

أما إبطال دعاوى هؤلاء وأولئك فيجيء رداً صريحاً من الله تعالى، بإرجاع سعة الرزق وضيقه إلى محض مشيئته وإرادته، ليبتلي عباده بالبسط والقبض، وفق حكمته وتقديره في ذلك، دون تعلق لهما بشيء مما زعموه، فربما كان القادر العارف بضروب الكسب مضيقاً عليه في رزقه، وموسعاً على غيره من الضعفاء الجاهلين بهذه الأمور، وفي ذلك من العظات والعبر ما لا يعرفه وينتفع به إلا المؤمنون، الذين يعرفون أن مرد الرزق إلى الله وحده دون سواه.

ثم يعود السياق إلى إطماع هؤلاء الظلمة في جناب الله، والتلويح لهم أن يشملهم من مغفرة الله ورحمته، ما يشمل عباد الله المسرفين في الذنوب والمعاصي، إذا هم رجعوا إليه وولجوا أبواب التوبة، غير قانطين ولا يائسين من رحمته، فإن الله يغفر ذنوبهم جميعها، ولو كانت مثل زبد البحر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء/١١٠) فمن أصر من العباد على

الشرك وظلم نفسه ولم يرحمها ولم يبادر بالتوبة، فقد أبى غفران الله ورحمته، وهو الغفور لعباده الكثير الرحمة بهم[١].

وهكـذا يفتح الله أبواب الرجاء واسعة أمام عباده، ويدعوهم جميعاً إلى رحمته، ليثوب الشارد منهم، ويستسلم العاصي، ويعودوا عباداً طائعين لله وهم في فسحة من العمل، وقبل أن يفصل في أمرهم وتغلق الأبواب دونهم ويأتيهم عذاب الله، ثم لا يجدوا لهم من يمنعه عنهم، ويحول بينهم وبينه، وليتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم كتـاب الله الذي بين أيديهم، فيعملوا بأوامره ويجتنبوا مناهيه، من قبل أن يجيئهم عذاب الله فجأة دون تحسب أو توقع، فيحول بينهم وبين الاتباع والعمل.

وعند ذاك يكون ندمهم على تقصيرهم في طاعة الله وضياع أعمارهم كبيراً، وتكون حسرتهم شديدة على تفريطهم في حق الله وما يوصلهم إلى جواره، وسخريتهم المريرة بدين الله وأهله ووعيده الذي يلقونه آنئذ؛ أو يتعللون أن الله لم يرشدهم إلى الاتباع والعمل بطاعته وترك ما هم فيه من الشرك والمعاصي، ولو شاء الله هدايتهم لكانوا من المتقين[٢] الذين يجازون أحسن الجزاء، فها هي فرصتهم ما تزال سانحة، ووسائل الهدى حاضرة، وباب التوبة لم يغلق بعد، أو يتمنون عند رؤيتهم للعذاب يوم القيامة أن تكون لهم عودة إلى الدنيا، لتدارك ما فاتهم وإحسان عقيدتهم وأعمالهم، ولكنها أمنية لا تنال، فإذا انتهت حياتهم فلا عودة ولا رجوع، بل إنها كلمة يقولونها وحسب. ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون/١٠٠) ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (الأنعام/٢٨).

---

(١) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله أو ابن الله ومن زعم أن عزيرا ابن الله فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة/٧٤)، كما دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء من قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات/٢٤)، ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص/٣٨) قال: «فمن آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل» تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩.

(٢) هذا من علل المجرمين الباطلة كما حكى الله عنهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا .. ﴾ (الأنعام/١٤٨).

ولهذا يجيء رد الله على تمنيهم حاسماً كلا : لا عودة ولا رجوع فقد جاءتكم الآيات والحجج ، ووسائل الهداية ودلائل الإيمان على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفي الكتاب المنزل إليكم وفي الخلق من حولكم ، ولكنكم أعرضتم واستكبرتم عن الأتباع والهداية ، وفضلتم على ذلك أن تكونوا من الكافرين المكذبين .

و يختتم المقطع باطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من تصح منهم الرؤية على صورة للكاذبين على الله ، المدعين أن له ولداً أو شريكاً ، وعبدوا آلهة من دونه ، حيث تكون وجوههم يوم القيامة مسودة من الخزي والحزن ، وتعلوها الذلة والصغار ، لما شاهدوه من غضب الله ونقمته ، وأحاط بهم من عذابه ، وقد كانوا في الدنيا من المتكبرين المستنكفين عن الإيمان واتباع الحق ، فهذه جهنم موئلهم الأخير وسجنهم الأبدي ؛ أما فريق المتقين الذين عاشوا في حذر من الآخرة وطمع في رحمة الله ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ لأنهم أمنوا من كل فزع ، ونجوا من كل شر ، وفازوا بكل خير ، وسعدوا ونعموا برضا الله عز وجل .

## من فوائد الآيات :

١ - لا فداء للظالمين من عذاب الله يوم القيامة ، ولو كان فداؤهم كل ما يملك في هذه الدنيا .

٢ - أن عذاب الله للظالمين والمشركين فوق ما يخطر ببالهم وأسوأ مما يتوقعون أو يظنون .

٣ - فساد فطرة الكثير من المترفين المنعمين ، وزعمهم أن ترفهم ونعيمهم أوتوه بجدهم وعلمهم .

٤ - بسط الرزق وقبضه قائم على محض مشيئة الله ، ووفق حكمته وتقديره .

٥ - عدم اليأس والقنوط من رحمة الله ، فهو يغفر ذنوب البشر جميعاً إن تابوا إليه ورجعوا إلى جنابه .

٦ ـ ضرورة التعجيل بتوبة العباد وإسراعهم في طاعة الله واتباع منهجه، قبل فوات العمر وضياعه.

٧ ـ الدنيا دار العمل، والندامة في الآخرة لمن قصر في ذلك، وتعلل بالأعذار، وتمنى العودة إلى الدنيا ليحسن العمل.

٨ ـ سواد وجوه المشركين الكاذبين على الله يوم القيامة، واستقرارهم في جهنم مع المتكبرين والكافرين.

٩ ـ أمن المتقين وفوزهم في الآخرة وسعادتهم بالخير ورضا الله، ونجاتهم من الشر وغضب الله.

## المناقشـــة

١ - وضح معـاني الكلمات القـرآنية التـالية: «افتـدوا، حاق، أسرفوا، تقنطوا، فرطت، كرة، مفازتهم».

٢ - ما موضـوع هذا المقـطع؟ وكيف صورت الآيات هول يوم القيامة؟ وما المراد بالظلمة المذكورين؟.

٣ - «تفسد النعم فطرة الكثير من بني الإنسان» كيف صورت الآيات ذلك؟ وما جزاء هؤلاء عند الله؟

٤ - ما القاعدة في توزيع الرزق على العباد؟ وما الحكمة في بسطه تعالى لقوم وقدره على آخرين؟.

٥ - هل يقبل الله توبة الكافر ويغفر ذنوبه؟ وكيف نفهم الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ ؟.

٦ - حثت الآيات على اغتنـام العمر في طاعة الله والإسراع بالتوبة، اذكر الآيات الدالة على ذلك واشرحها؟.

٧ - لماذا يتحسر الظلمة والمتكبرون في الآخرة؟ وبم يتعللون؟ وماذا يتمنون؟ وكيف رد الله عليهم؟.

٨ - ما صورة الكاذبين والمتقين ومصيرهم في الآخرة؟ وماذا تحفظ من الآيات الكريمة في ذلك؟.

٩ - اذكر ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها؟.

## المقطع السادس

### حقيقة التوحيد ومشهد من سوق الخلق إلى مصائرهم

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا

فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

## معاني المفردات :

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| مقاليد : | جمع مقليد، وهي خزائن السماوات والأرض أو مفاتيحها، والمراد أن أزمة الأمور بيده. |
| ليحبطن : | من الإحباط، وهو: الإبطال والإفساد . |
| ما قدروا الله : | ما عظموا الله، وما عرفوا له قدره . |
| قبضته : | المرة من القبض على الشيء، وفي ذلك دلالة على ثبوت القبضة لله على ما يليق بجلاله تعالى . |

بيمينه : اليمين معروفة، وإضافتها إلى ضمير الجلالة لتأكيد طيّ السماوات بيمينه تعالى[1] .

فصعق : الصعق الغشيان والفزع من هزة أو صوت شديد، والمراد به موت المصعوق .

إلا من شاء : المستثنى من الصعق غير معين ، وقيل : الشهداء أو مشاهير الملائكة ، كجبريل وحملة العرش وغيرهم .

أشرقت : أضاءت من الإشراق وهو الإضاءة .

بنور ربها : المراد نور الله الحقيقي ، إذا تجلى للفصل بين الخلائق .

ووضع الكتاب : كتاب أعمال العباد وصحائفهم ، والمراد بسط الكتاب والصحائف لحساب الخلق .

الشهداء : الذين يشهدون على الأمم من الأمة المحمدية ، أو الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد[2] .

وسيق : من السَّوْق وهو دفع الناس إلى السير وحثهم عليه ، بعنف وإيلام أو لطف وإكرام

زُمَراً : جمع زمرة وهي الفرقة ، والمراد : جماعات وأفواج متفرقة ، بعضها في إثر بعض .

خزنتها : جمع خازن ، والمراد حراس جهنم من الزبانية ، وحراس الجنة من الملائكة .

وأورثنا الأرض : أي أرض الجنة أورثوها ، كأنها صارت من غيرهم إليهم .

نتبوأ : من التبوء وهو اتخاذ المنزل ، والمراد اتخاذهم المسكن فيها حيث يشاءون .

---

(١) هذا ولا يفهم من نسبة اليمين لله مشابهتها ليمين العباد، بل هي إحدى الصفات الخبرية كالعين والقدم الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى/١١).

(٢) لكل من القولين ما يدل عليه من القرآن، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة/١٤٣)، ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق/٢١).

حافين: محيطين ومحلقين، وهو جمع لا واحد له، إذ لا يقع إلا للمجتمعين على الشيء المحيطين به.

## المعنى الإجمالي:

يعرض هذا المقطع الأخير من السورة، حقيقة التوحيد من جانب اختصاص الله وحده بخلق المخلوقات جميعها وقيامه عليها، فكيف يشرك به غيره ممن لا يَخْلُقون شيئاً وهم يُخلَقون؟ وهكذا تقرر الآيات خلق الله لجميع الأشياء في الدنيا والآخرة، وأنه رب جميع الأشياء ومليكها المتصرف فيها والقائم عليها، فكلها موكولة إليه ومشمولة بتدبيره ورعايته؛ إذ إن أزمة الأمور بيده، وله وحده قياد السماوات والأرض ومقاليدهما، على ما يشهد له الواقع ويقرره العقل والضمير، وتنطق به آيات الله في كتابه وخلقه، فأما الذين كفروا بذلك كله وكذبوا بآيات الله، فأولئك هم الخاسرون؛ لأنهم خسروا في الدنيا أمن المؤمنين وإدراك الموحدين، وخسروا في الآخرة الجنة وصاروا إلى الجحيم.

ولما كانت حقيقة التوحيد واضحة جلية تنطق بها كل الموجودات، فقد نعى الله على المشركين جهلهم المطبق بهذه الحقيقة، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستنكر عرضهم عليه، أن يعبد غير الله ويشاركهم عبادة آلهتهم التي ليس لها شيء من صفات الله، ويعقب هذا النعي تحذير من الشرك وتهديد من مغبته، يتوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والرسل من قبله ـ ولكنه تعريض بغيرهم[1] ـ إذ أوحى الله إليه وإلى من قبله منهم إن هو أشرك بالله وأعرض عن توحيده، ليبطلن أعماله ويفسدها، فلا ينال عليها أجراً أو ثواباً، وليكونن ممن خسروا حظوظهم في الدنيا والآخرة، ومن هنا يختم هذا التحذير بأمره صلى الله عليه وسلم بعبادة الله وحده، والإعراض عما أمروه به من الشرك، وأن يحمد الله ويشكره لإنعامه عليه بالتوحيد والدعوة إليه، ليكون من عباد الله الشاكرين، الذين يعرفون لله عظمته وقدره اللائقين به.

---

(١) هذا التحذير للأنبياء على سبيل الفرض والتقدير للإعلان بشناعة الشرك وقبحه؛ إذ إن طائف الشرك لا يتطرق إلى قلوب الأنبياء أبداً، فإذا حذروا منه وكان موجباً لإحباط عملهم، كان غيرهم من أممهم أولى بذلك منهم.

أمـا هؤلاء وقد أشركوا بالله بعض خلقه، ولم يدركوا وحدانيته، فما عظموه حق عظمته، ولا عرفوا له قدره، تلك العظمة وذلك القدر اللذين تكشف لنا الآيات عن جانب منهما يوم القيامة، وتقربه في صورة محسَّة واضحة، حيث الأرض كلها بفجاجها وأرجائها في قبضة الله يصرفها كيف يشاء، والسماوات على عظمتها وسعتها قد طواها الله بيمينه، كما يطوي السجل الكتب ويحتويها في تمكن واقتدار، فسبحان من كانت هذه قوته وقدرته، وتنزه عما يشركون به من المعبودات. وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يحمل السموات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ الآية[1]

وعلى ذكر عظمة الله وقدرته في قبض الأرض وطي السماوات يوم القيامة، يجيء مشهد هذه القيامة بتفصيلاته المطولة، التي تختتم بها السورة، ويبدأ هذا المشهد بنفخة إسرافيل في القرن التي يموت بها أهل الأرض والسماوات، غير من شاء الله إرجاء موتهم وقبضهم إليه، كملك الموت وصاحب الصور وغيرهما، ثم تكون النفخة الأخرى التي يقوم لها الخلق من قبورهم بعد أن كانوا رفاتاً، ويبعثون أحياء ينظرون أهوال القيامة، وينتظرون حساب ربهم، وساعتها تشرق أرض المحشر وتضاء ساحة الحساب بنور الله الذي لا نور غيره في هذا المقام، ويهيؤ الموقف كله للحساب فتوضع صحائف الأعمال وتنشر الكتب، ويجاء بالنبيين للشهادة على أممهم، والحفظة والشهود من الملائكة ليشهدوا على العباد، وتكتمل الحجج وتنقطع المعاذير بشهادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويتم القضاء بين الخلق بالحق والعدل، إذ لا ظلم اليوم، بل

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ/ ٤ ز٦٢ي طبعة دار المعرفة بيروت وفتح القدير للشوكاني حـ/ ٤ ز ٤٧٧ طبعة دار الفكر بيروت.

توفى كل نفس بما كسبت واستحقت من خير أو شر، فالله أعلم بما عملوا ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء/٤٧).

وتنفض ساحة القضاء حيث تذهب كل نفس لاستيفاء حقها، فيساق الكفار المشركون إلى جهنم، ويندفع ركبهم أفواجاً متدافعة وفرقاً متزاحمة، وما أن يصلوها حتى تفتح أبوابها سريعاً تعجيلاً لعقوبتهم وإسراعاً في إهانتهم، حيث يستقبلهم خزانها وسدنتها بالتقريع والتوبيخ، والتهكم بهم في هذا السؤال الكاشف عن سبب مجيئهم إلى جهنم واستحقاقهم إياها: ألم يرسل الله لكم رسلاً من جنسكم تفهمون عنهم ما يأمرونكم به من طاعة ربكم وتوحيده وترك الشرك به، ويقيمون لكم الحجج والبراهين على ذلك؟، ويخوفونكم لقاء هذا اليوم، الذي صرتم إليه وذقتم أهواله؟.

وسرعان ما يقرون ويعترفون ـ فقد انكشف الأمر وظهر ـ بلى، قد جاءتنا الرسل بآيات الله وأنذرونا بهذا اليوم وما سنلقاه، ولكنا كذبناهم وخالفناهم وعدلنا عن الحق إلى الباطل، فوجب علينا عذاب ربنا بسوء اختيارنا وشنيع فعلنا، وحقت علينا كلمته ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة / ١٣)، وعند اعترافهم وإقرارهم هذا يقال لهم: ادخلوا جهنم من أيّ أبوابها السبعة شئتم، فامكثوا فيها خالدين لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها؛ إذ هي مصيركم الأخير ومثواكم مع المتكبرين، فبئس مصيركم ومثواكم، وبئس حالكم ومآلكم.

أما ركب الجنة من المتقين الموحدين، فيساقون إليها وفوداً وجماعات يتلو بعضها بعضاً، المقربون والأبرار والأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، ويسرع بهم جميعاً لإكرامهم وإعزازهم في دار النعيم، حتى إذا جاءوها وأبوابها الثمانية مفتحة لاستقبالهم، ومنازلها مهيأة لمقدمهم، فرحوا بما أفاء الله عليهم من نعيمها وسعدوا بترحيب خزانها واستقبالهم الطيب، حيث يهنئونهم بهذا النعيم، ويبشرونهم بالأمن والسلامة من الآلام والمكاره، فقد طابوا في الدنيا وتطهروا من دنس الشرك، فطاب

سعيهم وجزاؤهم، وطاب مقامهم ونعيمهم، فلينعموا فيها خالدين لا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها.

وعند معاينة المتقين نعيمهم في دار المقامة يلهجون بحمد الله وشكره، فقد تحقق لهم ما وعدهم الله به على ألسنة الرسل عليهم السلام، وأورثهم أرض الجنة التي تستحق أن تورث، وكان لهم منها - مع منازلهم - منازل غيرهم من الكفار لو آمنوا، فهم يسكنون فيها حيث يشاءون، وينزلون منها حيث يريدون، ونعم الأجر هذا للعاملين بطاعة الله، ونعم الثواب هذا لمن وحّده ولم يكفره.

وأخيراً يختم مشهد القيامة هذا - كما تختم معه سورة التوحيد - بما يناسب الموضوع، وما يغمر النفس رهبة وجلالاً، فالملائكة محيطون بالعرش، ويسبحون ويحمدون ويشكرون في خشوع واستسلام، وعباد الله قد قضي بينهم بالحق والعدل، فسيق إلى النار أصحابها، وإلى الجنة أصحابها، والكل يشهد بالقضاء الحق ويلهج بالثناء على الله الحق، ويتوجه بالحمد لصاحب الحمد، الذي خلق فسوى وأرشد فهدى، وقضى فعدل، وأثاب فأجزل، فهو رب العالمين الذي له الحمد في الأولى والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

## من فوائد الآيات :

١ - تفرد الله بالخلق لجميع الأشياء والقيام عليها، وتصريفه لشئون السماوات والأرض، وملكه زمامها.

٢ - خسران المشركين للدنيا والآخرة، لجهلهم المطبق بوحدانية الله، وعدم تقديرهم وتعظيمهم له.

٣ - عظمة الله وسيطرته المطلقة على الأرض والسماوات، اللتين لا يخرجان عن قبضته ويمينه.

٤ - صفات الله الخبرية والذاتية كالقبضة واليمين والعين وغيرها، ثابتة لله على ما يليق بجلاله وكماله.

٥ ـ إماتة الله للأحياء في الأرض والسماوات بنفخة إسرافيل في آخر الدنيا وبعثه لهم بنفخته الثانية.

٦ ـ قضاء الله بين العباد بالحق، واستيفاء الخلق ما يستحقون من جزاء، وسوقهم إلى مصيرهم الأخير.

٧ ـ إقرار المشركين في الآخرة بالتوحيد وصدق الرسل، و اعترافهم باستحقاق العذاب وخلودهم في جهنم.

٨ ـ خلود المتقين في الجنة وطيب مقامهم بها، لطيب نفوسهم وتطهرها من دنس الشرك والمعاصي.

٩ ـ لهج الخلق جميعاً يوم القيامة بالثناء على الله الحق، وتسبيح الواحد الأحد، والحمد لصاحب الحمد.

## المناقشـــة

١ - وضح معاني الكلمات القرآنية التالية: «مقاليد، ليحبطن، قبضة ، صعق، سيق، نتبوأ، حافين».

٢ - ما موضوع هذا المقطع؟ ومن أي الآيات نفهم قيومية الله على جميع الموجودات؟ ولماذا خسر الكافرون؟.

٣ - ما سبب نعي الله على المشركين جهلهم المطبق؟ وكيف كان تحذيره لهم؟ وبماذا حذرهم؟.

٤ - كيف صورت الآيات عظمة الله وقدرته يوم القيامة؟ وماذا دلت عليه الآية من صفات الله؟.

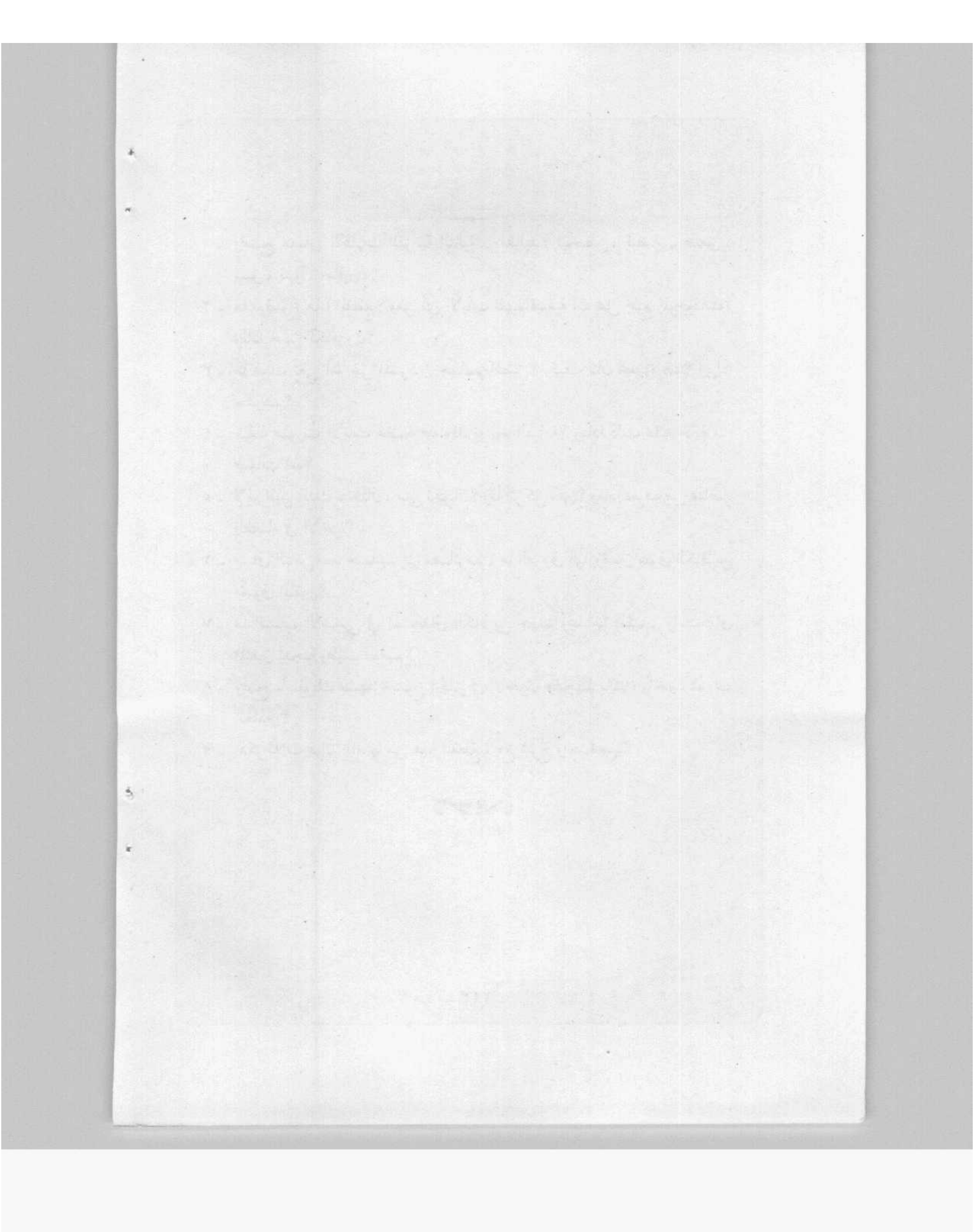
٥ - لإسرافيل الملك نفختان، متى تكونان؟ وما أثر كل منهما؟ وماذا تعرف من عناصر القضاء في الآخرة؟.

٦ - يساق الناس بعد حسابهم إلى مصائرهم، ما الفروق البارزة بين سوق الكافرين وسوق المتقين؟.

٧ - ما السبب الأساسي في استحقاق الكافرين جهنم وعذابها المقيم، واستحقاق المتقين للجنة وطيب النعيم؟.

٨ - وضح بأسلوبك مشهد خشوع الخلق في الآخرة، ولهجهم بالثناء والحمد لله رب العالمين؟.

٩ - اذكر ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها؟.



# مراجع كتاب التفسير

## للصف الثالث الثانوي - بالمعاهد العلمية


١ - أسباب النزول - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ).

٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ).

٣ - بذل المجهود في حل أبي داود - المحدث الشيخ خليل أحمد السهار نفوري الهندي (ت ١٣٤٦هـ).

٤ - البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤هـ).

٥ - التبصرة في القراءات السبع - الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

٦ - تفسير القرآن العظيم - الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

٧ - تفسير المراغي - الشيخ أحمد مصطفى المراغي من أساتذة دار العلوم سابقاً.

٨ - التفسير الواضح - الشيخ محمد محمود حجازي من علماء الأزهر الشريف.

٩ - الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ).

١٠ - الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ).

١١ - خلق الإنسان بين الطب والقرآن - محمد علي البار.

١٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ).

١٣ - سنن الدارمي - الحافظ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ).

١٤ - شرح السنة وبيان اختلاف الفقهاء - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء (ت ٥١٦هـ).

١٥ ـ صحيح مسلم ـ الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).
١٦ ـ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها ـ للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
١٧ ـ غيث النفع في القراءات السبع ـ الشيخ علي النوري الصفاقسي بهامش سراج القارىء لابن الناصح.
١٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ـ الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
١٩ ـ الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ أحمد عبدالرحمن البنا (ت ١٣٧٨هـ).
٢٠ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).
٢١ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب (ت ١٩٦٦م).
٢٢ ـ كلمات القرآن ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً.
٢٣ ـ لسان العرب ـ لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ).
٢٤ ـ معالم التنزيل ـ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء (ت ٥١٦هـ).
٢٥ ـ المفردات في غريب القرآن ـ للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ).
٢٦ ـ المكتفي في الوقف والابتداء ـ الإمام أبو عمرو بن عثمان الداني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ).
٢٧ ـ هداية القرآن في الآفاق والأنفس وإعجازه العلمي ـ محمد إبراهيم شريف.

# أصـول التفسـير

## للسنة الثالثة الثانوية

موضوعات مختارة من كتاب

## الوجيز في أصول التفسير

تأليف الشيخ مناع القطان

بسم الله الرحمن الرحيم

# الضمــائر

أصل وضع الضمير للاختصار، فهو يغني عن ذكر ألفاظ كثيرة، ويحل محلها مع سلامة المعنى وعدم التكرار، فقد قام في قوله تعالى:

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

مقام عشرين كلمة لو أتى بها مظهرة هي المذكورة في صدر الآية

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب/٣٥).

ولا بد لضمير الغيبة من مرجع يعود إليه ـ ويكون المرجع ملفوظاً به سابقاً عليه مطابقاً له ـ وهذا هو الكثير الغالب ـ كقوله:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ (هود/٤٢).

أو يكون ما سبق متضمناً له كقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ (المائدة/٨)

فإن ضمير (هو) يعود على العدل الذي يتضمنه لفظ (اعدلوا) أي العدل أقرب للتقوى ـ أو دالًا عليه بالالتزام كقوله:

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ﴾ (البقرة / ١٧٨)

فالضمير في (إليه) يعود على العافي الذي يستلزمه (عفي).

وقد يكون المرجع متأخراً لفظاً لا رتبة كقوله:

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ (طه / ٦٧)

أو لفظاً ورتبة كما في باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس كقوله:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص/١)

وقوله: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ ﴾ (الأنبياء/٩٧)

وقوله ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (الكهف/٥٠)

وقوله: ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ ﴾ (الأعراف/١٧٧)

أو متأخراً دالاً عليه كقوله:

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ (الواقعة/٨٣)

فضمير الرفع مضمر يدل عليه الحلقوم، والتقدير: فلو لا إذا بلغت الروح الحلقوم - أو مفهوماً من السياق كقوله:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن/٢٦) أي على الأرض.

وربما عاد الضمير على اللفظ دون المعنى كقوله:

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ (فاطر/١١)

فالضمير في (عمره) المراد به عمر معمر آخر - أو عاد على المعنى فقط كقوله:

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾ (النساء/١٧٦)

فالضمير في (كانتا) لم يتقدمه لفظ تثنية يعود عليه لأن الكلالة تقع على الواحد والإثنين والجمع، فثنى الضمير الراجع إليها حملاً على المعنى - وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين كقوله:

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (الرحمن/٢٢)

وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب - أو يعود على ملابس ما هو له كقوله:

﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات/٤٦)

أي ضحى يومها لا ضحى العشية لأن العشية لا ضحى لها.

# الفرق بين المحكم والمتشابه[1]

## الاحكام العام والتشابه العام

المحكم لغة : مأخوذ من حكمت الدابة وأحكمت . بمعنى منعت ، والحكم : هو الفصل بين الشيئين ، فالحاكم يمنع الظالم ويفصل بين الخصمين ، ويميز بين الحق والباطل ، والصدق والكذب «ويقال حكمت السفينة أو أحكمته : إذا أخذت على يديه ، وحكمت الدابة أو أحكمتها : إذا جعلت لها حكمة , وهي ما أحاط بالحنك من اللجام لأنها تمنع الفرس عن الاضطراب ، ومنه الحكمة : لأنها تمنع صاحبها عما لا يليق» ، وإحكام الشيء : اتقانه ، والمحكم : المتقن .

فاحكام الكلام : اتقانه بتميز الصدق من الكذب في إخباره ، والرشد من الغي في أوامره : والمحكم منه : ما كان كذلك .

وقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم على هذا المعنى فقال :

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود/١، ٢)

وقال : ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (يونس/١، ٢)

فالقرآن كله محكم : أي أنه كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل والصدق والكذب . وهذا هو الأحكام العام .

والمتشابه لغة : مأخوذ من التشابه : وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر؟ والشبهة هو ألا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى ، قال تعالى :

﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ (البقرة/٢٥)

أي شيء يشبه بعضه لوناً لا طعماً وحقيقة ، وقيل متماثلاً في الكمال والجودة .

---

(١) راجع هذا الفصل فيما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية عن المحكم والمتشابه والتأويل في التدمرية وغيرها من رسائله .

وتشابه الكلام: هو تماثله وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضاً وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنى فقال:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ (الزمر/٢٣)

فالقرآن كله متشابه: أي أنه يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة، ويصدق بعضه بعضاً في المعنى ويماثله وهذا هو التشابه العام.

وكل من المحكم والمتشابه بمعناه المطلق المتقدم لا ينافي الآخر، فالقرآن كله محكم الاتقان وهو متماثل يصدق بعضه بعضاً، فإن الكلام المحكم المتقن تتفق معانيه وإن اختلفت ألفاظه، فإذا أمر القرآن بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، وإنما يأمر به أو بنظيره، وكذلك الشأن في نواهيه وأخباره. فلا تضاد فيه ولا اختلاف

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء/٨٢).

## الإحكام الخاص والتشابه الخاص

وهناك إحكام خاص وتشابه خاص ذكرهما الله في قوله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران/٧)

وفي معناهما وقع الاختلاف على أقوال أهمها:

أ ) المحكم: ما عرف المراد منه ـ والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه.

ب ) المحكم: ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً ـ والمتشابه: ما احتمل أوجهاً.

جـ ) المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان ـ والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.

ويمثلون للمحكم في القرآن بناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ووعده ووعيده، وللمتشابه: بمنسوخه وكيفيات أسماء الله وصفاته التي في قوله:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه/٥)

وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص/٨٨)

وقوله : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح/١٠)

وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام/١٨)

وقوله : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ (الفجر/٢٢)

وقوله : ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفتح/٦)

وقوله : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ (البينة/٨)

وقوله : ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران/٣١)

إلى غير ذلك، وأوائل السور المفتتحة بحروف المعجم وحقائق اليوم الآخر وعلم الساعة.

## الاختلاف في معرفة المتشابه

وكما وقع الاختلاف في معنى كل من المحكم والمتشابه الخاصين وقع الاختلاف في إمكان معرفة المتشابه، ومنشأ هذا الاختلاف اختلافهم في الوقف في قوله تعالى:

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾

هل هومبتدأ خبره « يَقُولُونَ » والواو للاستئناف، والوقف على قوله:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾؟

أو هو معطوف و « يَقُولُونَ » حال، والوقف على قوله « وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ».

فذهب إلى الأول «الاستئناف» طائفة منهم أُبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، مستدلين بمثل ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ

**﴿وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم ﴾.**

وبقراءة ابن سعود **﴿وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾**

وبما دلت عليه الآية من ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة. وقد

أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ - إلى قوله تعالى - أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم».

وذهب إلى الرأى الثاني «العطف» طائفة على رأسهم مجاهد، فقد روى عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته، أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها. واختار هذا القول النووي، فقال في شرح مسلم: أنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.

## التوفيق بين الرأيين بفهم معنى التأويل

بالرجوع إلى معنى «التأويل» يتبين أنه لا منافاة بين الرأيين، فإن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان:

«الأول» صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح أكثر المتأخرين.

«الثاني» التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه.

«الثالث» التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخـر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، وعلى هذا المعنى جاء قول عائشة: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن. تعني قوله تعالى:

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ (النصر/٣)».

والحديث في الصحيحين.

فالـذيـن يـقـولـون بالـوقــف عـلـى قــولـه : ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ ويجعلـون « والـراسخـون في العـلـم » استئنافاً ، إنمـا عـنوا بذلـك التـأويل بالمعـنى الثـالـث ، أي الحقيقـة الـتي يـؤول إليـهـا الكـلام ، فحـقيـقـة ذات اللّـه وكنـهها وكيـفيـة أسمـائـه وصفـاتـه وحقيـقـة المعـاد لا يعـلمهـا إلا اللّـه .

والذين يقولون بالوقف على قوله : « وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ » على أن الواو للعطف وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني، أي التفسير؛ ومجاهد إمام المفسرين، حتى قال الثورى فيه : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به أنه يعرف تفسيره.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين المذهبين في النهاية، وإنما يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل.

ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، ولكن الحقيقة ليست كالحقيقـة، فأسماء الله وصفاته وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في اللفظ والمعنى الكلي إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، والعلماء المحققون يفهمون معانيها ويميزون الفرق بينها، وأما نفس الحقيقة فهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله . ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى : « ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ » قالوا : «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنـه بدعة، وكذلك قال ربيعة بن عبدالرحمن شيخ مالك قبله : «الاستـواء معلوم، والكيف مجهـول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ وعلينا الإيمان» فبين أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى إخبار الله عن اليوم الآخر، ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا في الدنيا إلا أن الحقيقة غير الحقيقة، ففي الآخرة ميزان، وجنة ونار. وفي الجنة :

﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ (القتال/١٥) ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ (الغاشية/١٣، ١٦).

وذلك نعلمه ونؤمن به، وندرك أن الغائب أعظم من الشاهد، وما في الآخرة يمتاز عما في الدنيا، ولكن حقيقة هذا الامتياز غير معلومة لنا، وهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

## التأويل المذموم:

والتأويل المذموم بمعنى: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل لا يصح، إنما لجأ إليه كثير من المتأخرين مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقين كما يزعمون. وهذا زعم باطل أوقعهم في مثل ما هربوا منه أو أشد. فهم حين يؤوّلون اليد بالقدرة مثلاً إنما قصدوا الفرار من أن يثبتوا للخالق يداً لأن للمخلوقين يداً فاشتبه عليهم لفظ اليد فأولوها بالقدرة. وذلك تناقض منهم. لأنهم يلزمهم في المعنى الذي أثبتوه نظير ما زعموا أنه يلزم في المعنى الذي نفوه، لأن العباد لهم قدرة أيضاً. فإن كان ما أثبتوه من القدرة حقاً ممكناً كان اثبات اليد لله حقاً ممكناً أيضاً، وإن كان اثبات اليد باطلاً ممتنعاً لما يلزمه من التشبيه في زعمهم كان اثبات القدرة باطلاً ممتنعاً كذلك. فلا يجوز أن يقال: أن هذا اللفظ مؤول بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح.

وما جاء عن أئمة السلف وغيرهم من ذم للمتأولين إنما هو لمثل هؤلاء الذين تأولوا ما يشتبه عليهم معناه على غير تأويله وإن كان لا يشتبه على غيرهم.

# أقسـام القـرآن[1]

## تعريف القسم وصيغته :

والأقسام : جمع قسم : بفتح السين ، بمعنى الحلف واليمين ، والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل أقسم أو أحلف متعدياً بالباء إلى المقسم به ، ثم يأتي المقسم عليه ، وهو المسمى بجواب القسم ، كقوله تعالى :

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ (النحل/٣٨)

فأجـزاء صيغـة القسم ثلاثـة : ١ ـ الفعـل الـذي يتعـدى بالبـاء ٢ ـ والمقسم به ٣ ـ والمقسم عليه .

ولما كان القسم يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة كقوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ (الليل/١)

وبالتاء في لفظ الجلالة كقوله : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ (الأنبياء/٥٧)

وهذا قليل ، أما الواو فكثيرة .

## فائدة القسم في القرآن :

تمتـاز اللغـة العـربية بدقة التعبير واختلاف الأسـاليب بتنوع الأغراض ، وللمخاطب حالات مختلفـة ، هي المسماة في المعاني بأضرب الخبر الثلاثة : الابتدائي ، والطلبي والانكاري .

فقد يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم فيلقى إليه الكلام غفلاً من التأكيد ، ويسمى هذا الضرب ابتدائياً .

وقد يكون متردداً في ثبوت الحكم وعدمه ، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده ، ويسمى هذا الضرب طلبياً .

وقد يكون منكراً للحكم ، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر انكاره قوة وضعفاً ، ويسمى هذا الضرب انكارياً .

---

(١) أفرد هذا الفصل بالبحث العلامة ابن القيم في كتابه : «أقسام القرآن ، المسمى بالتبيان» وهو كتاب فريد في بابه اختصرنا منه هذا البحث .

والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد، فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة.

## المقسم به في القرآن:

يقسم الله تعالى بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته. وقد أقسم الله بنفسه في القرآن في مواضع منها:

١ - في قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ (التغابن/٧)

٢ - وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ (سبأ/٣)

٣ - وقوله: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (يونس/٥٣)

وفي هذه الثلاثة أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم به

٤ - وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ (مريم/٦٨)

٥ - وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر/٩٢)

٦ - وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء/٦٥)

٧ - وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج/٤٠).

وأكثر القسم في القرآن بمخلوقاته سبحانه، كقوله:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ (الشمس ١ - ٢)

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ (الليل/١ - ٣)

وقوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر/١ - ٢) وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ (التكوير/١٥)

وقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ (التين/١ - ٢).

ولله أن يحلف بما شاء، أما حلف العباد بغير الله فهو ضرب من الشرك، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم. وإنما

أقسم الله بمخلوقاته لأنها تدل على بارئها، وهو الله تعالى، وللإشارة إلى فضيلتها ومنفعتها ليعتبر الناس بها.

## أنواع القسم:

القسم إما ظاهر، وإما مضمر.

١ ـ فالظاهر: هو ما صرح فيه بالمقسم به سواء صرح فيه بفعل القسم أم حذف منه فعل القسم كما هو الغالب اكتفاء بالجار من الباء أو الواو أو التاء، وقد أدخلت «لا» النافية على فعل القسم في بعض المواضع. كقوله تعالى:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ (القيامة/ ١ ـ ٢)

فقيل: لا في الموضعين نافية لمحذوف يناسب المقام، والتقدير مثلاً: لا صحة لما تزعمون أنه لا حساب ولا عقاب، ثم استأنف فقال: أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، أنكم ستبعثون، وقيل: لا لنفي القسم كأنه قال: لا أقسم عليك بذلك اليوم وتلك النفس، ولكني أسألك غير مقسم، أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت؟ إن الأمر من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم ـ وقيل: لا. زائدة وجواب القسم في الآية المذكورة محذوف دل عليه قوله بعد: أيحسب الإنسان.. الخ. والتقدير: لتبعثن ولتحاسبن.

٢ ـ والقسم المضمر: هو ما لم يصرح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى:

﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ (آل عمران / ١٨٦).

## أحوال المقسم عليه:

١ ـ المقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك، كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

٢ ـ وجواب القسم يذكر تارة ـ وهو الغالب ـ وتارة يحذف وتارة يستغنى عنه من غير تقدير كقوله:

﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ ﴾
(الفجر/١-٦)

فالمراد بالقسم أن الزمان المتضمن لمثل هذه الأعمال أهل أن يقسم الرب عز وجل به. فلا يحتاج إلى جواب، وقيل: الجواب محذوف، أي: لتعذبن يا كفار مكة، وقيل: مذكور، وهو قوله:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر/١٤)

والصحيح المناسب أنه لا يحتاج إلى جواب.

وقد يحذف الجواب لدلالة المذكور عليه، كقوله تعالى:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

فجواب القسم محذوف دل عليه قوله بعد ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ .. إلخ ﴾

والتقدير: لتبعثن ولتحاسبن.

٣ ـ والماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام وقد، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام. كقوله تعالى:

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾

(الشمس/١ ـ ٨)

فجواب القسم «قد أفلح من زكاها» حذفت منه اللام لطول الكلام.

ولذلك قالوا في قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ ﴾
(البروج/١ ـ ٤)

أن الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنياً عن الجواب، لأن القصد التنبيه على المقسم به، وأنه من آيات الرب العظيمة، وقيل الجواب محذوف دل عليه «قتل أصحاب الأخدود» أي أنهم ملعونون، يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل حذف

صدره، وتقديره: لقد قتل، لأن الفعل الماضي إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام وقد، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام، كما سبق في قوله تعالى:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . . . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾.

٤ ـ ويقسم الله على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها فتارة يقسم على التوحيد كقوله:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ (الصافات/١-٤).

وتارة يقسم على أن القرآن حق كقوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة/٧٥ ـ ٧٧).

وتارة على أن الرسول حق كقوله:

﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ (يس/١ ـ ٣).

وتارة على الجزاء والوعد والوعيد كقوله:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ (الذاريات/١ ـ ٦).

وتارة على حال الإنسان، كقوله:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ (الليل/١-٤)

والمتتبع لأقسام القرآن يستخلص الفنون الكثيرة.

٥ ـ والقسم إما على جملة خبرية ـ وهو الغالب ـ كقوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (الذاريات/٢٣)

وإما على جملة طلبية في المعنى كقوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ (الحجر/٩٢ ـ ٩٣)

لأن المراد التهديد والوعيد.

# قصص القرآن

## معنى القصص:

القصّ والقصص تتبع الأثر، يقال قصصت أثره: أي تتبعته، قال تعالى:
﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف/٦٤)
أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى:
﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ (القصص/١١)
أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه.

والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة، قال تعالى:
﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ (آل عمران/٦٢)
وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (يوسف/١١١)
والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة ـ وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضى، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

## أنواع القصص في القرآن:

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين. كقصص نوح، وإبراهيم وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

## فوائد قصص القرآن:

وللقصص القرآني فوائد نجمل أهمها فيما يأتي:

١ - إيضاح أسس الدعوة إلى الله: وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/٢٥).

٢ - تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود/١٢٠)

٣ - تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

٤ - إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

٥ - مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى:

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (ال عمران/٩٣)

٦ ـ والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ (يوسف/١١١).

## تكرار القصص في القرآن وحكمته

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص التي تكرر في غير موضع ، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن ، وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والاطناب ، وما شابه ذلك. ومن حكمة هذا :

١ ـ بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها. فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها؟ بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢ ـ قوة الإعجاز ـ فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الاتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣ ـ الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وإمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل ـ مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤ ـ اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ـ فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

آخر ما اختير لهذه السنة ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

١ـ [illegible]
[illegible]

٢ـ [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

١ـ [illegible]

٢ـ [illegible]

٣ـ [illegible]

٤ـ [illegible]

[illegible]

# فهرس مقرر التفسير

| الموضـــوع | الصفحـــة |
| --- | --- |

# فهرس أصول التفسير

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

